جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

صراع الحضارات وأثره في الشعر العربي في العصر العباسي الأول(القرن الثاني الهجري)

إعداد
أحمد عبد القادر محمود عقل

إشراف
الأستاذ الدكتور محمد محمود قاسم نوفل

قدّمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين
1424هـ-2003م

بسم الله الرحمن الرحيم

صراع الحضارات وأثره في الشعر العربي في العصر العباسي الأول(القرن الثاني الهجري)

إعداد

أحمد عبد القادر محمود عقل

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ: **2003/7/22**م وأجيزت

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
1- أ. د. محمد نوفل	رئيساً ومشرفاً------------
2- د. تيسير عودة	ممتحناً خارجياً------------
3- أ.د. وائل أبو صالح	ممتحناً داخلياً------------
4- أ. د. إبراهيم الخواجة	ممتحناً داخلياً------------

الإهداء

إلى علياء المجد أمي رحمها الله

إلى والدي العزيز

إلى زوجتي التي شجعتني على متابعة الدراسة

إلى ابنتي رشا

إلى جميع إخواني عزات وعبد العزيز وعبد الرحيم ومحمد ومحمود وناجح وحنان

إلى كل الشهداء من أبناء شعبي الصامد

إلى كل الذين يبحثون عن الحوار الحضاري بين الشعوب ويبتعدون عن الصراع الحضاري

إلى كل هؤلاء أهدي هذه الأطروحة مدبجة بالحب والوفاء والإخلاص

أحمد

شكر وتقدير

أزجيهما إلى أستاذي الفاضل الدكتور محمد قاسم نوفل الذي استقبلني بصدر رحب مدة كتابتي هذه الأطروحة، ولن أنسى فضله ما دمت حياً.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأساتذة الكرام: الدكتور إبراهيم الخواجة والدكتور وائل أبو صالح، والدكتور تيسير عودة الذين تكبدوا العناء في دراسة هذه الأطروحة، ومراجعتها، مما سيزيدها الكثير من الفائدة والدقة.

ولا أنسى الأستاذ الفاضل "علي طوقان" مدير مكتبة بلدية نابلس. الذي ساعدني في اختيار عنوان هذه الأطروحة.

فهرس موضوعات الأطروحة

الفصل الثاني

أثر صراع الحضارات في شعر العصر العباسي الأول

الفصل الثالث

الفصل الرابع

ملخص

لقد درست في هذه الأطروحة أ ثر الصراع الحضاري في شعر العصر العباسي الأول (القرن الثاني الهجري)، بدأته بفصل تمهيدي عن تاريخ الصراع بين الحضارات القديمة من الفرس واليونان والرومان، ثم انتقلت للحديث عن نشأة الدولة العباسية واشتداد الصراع الحضاري بين الأمم التي عاشت داخل الدولة وبخاصة الفرس، وسقت مثالين لهذا الصراع: الأول: سياسي وإداري مثله الخليفة هارون الرشيد ونكبته للبرامكة والثاني: أدبي: مثله أبو نواس في ثورته على الأطلال ومحاولته سلب العرب أمجادهم وتراثهم وأشعارهم.

ومهما يكن من أمر، فإن اشتداد الصراع الحضاري في العصر العباسي الأول أفسح المجال لظهور أغراض شعرية جديدة مثلت الحياة العباسية مثل التغني بالشعوبية والزندقة والغزل بالمذكر والشعر التعليمي والزهد، كما أثر هذا الصراع في الشعر، فدخلت الكثير من الألفاظ الأعجمية والفلسفية ومالت الأساليب إلى السهولة والبساطة وخاصة في شعر أبي العتاهية وكثرت المبالغات وبخاصة عند أبي نواس.

وكان لا بد لهذا الصراع من نتائج ايجابية وسلبية:

الآثار الايجابية تمثلت في استخدام الشعراء المنطق والفلسفة في شعرهم حيث ارتقى الشعراء إلى الحياة الفكرية، وظهر الشعر التعليمي علامة مميزة في هذا العصر، أدى رسالة تعليمية، وشاهد صدق على نمو العقلية العباسية.

أما الآثار السلبية فقد تمثلت في الأغراض الشعرية الهدامة مثل الشعوبية والزندقة والغزل بالمذكر والتي عملت على تفسيخ كيان المجتمع العباسي، مما حدا بالدكتور طه حسين أن يقول (لقد خسرت الأخلاق وربح الأدب).

ولكن لا ينبغي لنا أن نعمم في الأحكام على كل المجتمع العباسي بالانحلال ؛ لأن عشرات من شعرائه قد عبثوا وتغزلوا، فهذا صنف لم يمثل الشعب.

فصل تمهيدي

تاريخ الصراع الحضاري

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وبعد:

فإن العصر العباسي يعد من أزهى العصور العربية الإسلامية من جميع النواحي وقد اضطرب الباحثون والدارسون في تقسيم هذا العصر؛ بسبب فكرة الربط بين التاريخ السياسي والتاريخ الأدبي، وهناك من الدارسين والباحثين مَن يجعل العصر العباسي الأول ينتهي عند سنة 232هـ، ومنهم من يجعل نهاية العصر العباسي الثاني عند سنة 334هـ، ثم يجعل سقوط بغداد عصراً عباسياً ثالثاً، وهناك من يجعل العصر العباسي الثالث عصراً بين الثالث ويمتد إلى سنة 447هـ، والعصر العباسي الرابع ويمتد حتى سقوط بغداد سنة 656هـ على يد هولاكو قائد المغول.

والأمر اللافت للنظر في هذا العصر، أنه مجتمع جديد كثر فيه الغرباء والوافدون، وشهد ثقافات وعادات وافدة غريبة، هي الثقافة والعادات الفارسية.

ولا غرو أن الانقلاب العباسي مع ما رافقه من طغيان العنصر الأجنبي، قد أحدث هزة عنيفة في الكيان العربي، ولم يكن من السهل انصهار العقليات المختلفة في وقت سريع مما هيأ لنشأة صراع حضاري.

ونظراً لأن الدراسات السابقة في هذا المجال كثيرة، لذا أردت أن أركز كل اهتمامي على القضايا المحددة التي تهم موضوع البحث، واخترت عنوان البحث وهو "صراع الحضارات وأثره في الشعر العربي في العصر العباسي الأول (القرن الثاني الهجري).

وفي هذه الدراسة فإني اتبعت المنهج التكاملي وجمعت إلى ذلك المنهج التاريخي واستلهمت المنهج الأسلوبي في تحليل النصوص، وقد استقام البحث عندي في أربعة فصول، صدرتها بفصل تمهيدي عن تاريخ الصراع الحضاري منذ الفرس وحتى بداية الدولة العباسية ثم تحدثت عن نشأة الدولة العباسية وأثر الموالي في إنجاحها.

أما الفصل الأول فقد جعلته للتعريف بالصراع الحضاري ونشأته في العصر الأمويّ ممثلاً بالشاعر "إسماعيل بن يسار" الذي أطلق الشرارة الأولى لهذا الصراع ثم تبعه الموالي من الشعراء في العصر العباسي أمثال بشار بن برد وأبي نواس، الذين كان لهم الدور الكبير في هذا الصراع، وذكرت مثالين لهذا الصراع: الأول: سياسي، تحدثت فيه عن البرامكة ودورهم في الشعر وحثهم للشعراء، ونكبة الخليفة هارون الرشيد لهم، وأثر هذه النكبة في الشعر العربي، والمثال الثاني: أدبي، تحدثت فيه عن ثورة أبي نُواس على الأطْلال واستخدامه المقدمات الخمرية في مطالع قصائده، والآثار الفنية لها، ورأي الباحثين فيها.

أما الفصل الثاني من هذا البحث فقد جعلته للحديث عن الأغراض الشّعريّة الجديدة التي ظهرت نتيجةً لهذا الصراع الحضاري في العصر العباسي الأول، وهذه الأغراض هي: التغني بالشعوبية، والزندقة والإلحاد، والمجون، والغزل بالمذكر والغزل بالجواري والغلاميات، والشعر التعليمي والزّهد.

ثم انتقلت إلى الفصل الثالث وتحدثت فيه عن أثر الصّراع الحضاري في توجهات الشعر العربي كالألفاظ، والمعنى والخيال، والأساليب والبديع.

أما الفصل الرابع فقد جعلته للحديث عن الآثار الإيجابية والسلبية التي أحدثها صراع الحضارات في حياة المجتمع العباسي.

ثم عرضت نتائج البحث فالمصادر والمراجع.

وأسأل الله عز وجل التوفيق في هذا العمل

تاريخ الصراع الحضاري

إن كل الشعوب والأمم تتبادل الأفكار والعادات والنظم فيما بينها، وهذا التبادل ضروري لتقدم الحضارات، وليست هناك حضارة أصلية خالصة قامت من خلق عقول أبنائها، ولكن كل الحضارات الإنسانية، تكونت نتيجة لجهود أمم وجماعات كثيرة.

وهذه ظاهرة طبيعية لا تختص بعصر دون عصر، ولا ببيئة دون غيرها، ولكنها وجدت على مر العصور والأزمنة، فقد خلقنا الله عز وجل شعوبا وقبائل لنتعارف ونتعاون، لقوله تعالى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا" [1]

وقد ظهر الفرس في منطقة إيران وأسسوا إمبراطورية عظيمة ويرجع الفضل في تأسيسها إلى قورش الكبير (558ق.م) (المعروف عند العرب بكسرى) الذي قام بالاستيلاء على بابل والتقى مع ملك ليديا كريوس في معركة حامية، انتصر فيها قورش واستولى على ليديا، فصارت الإمبراطورية الفارسية مجاورة لمدن اليونان في آسيا الصغرى.[2]

- (وكانت أكثر معارف قدماء الفرس دينية واسم كتابهم المقدس زنداقستا، ويعرف نظامهم بالزرادشتية نسبة لمؤسسه *زرداشت).[3]

وسيطرت الإمبراطورية الفارسية على معظم المدن اليونانية ردحاً من الزمن وأخفق اليونانيون المستعبدون في استرجاع حريتهم المفقودة، حتى حدثت معركة ميكالي الفاصلة سنة 479ق.م والتي انتصر فيها اليونان على الفرس، وذلك لأن اليونان كانوا رياضيين ومتمرنين، وزيادة على ذلك فقد كانوا يحاربون من أجل أنفسهم ولإنقاذ بيوتهم وعائلاتهم، وأرغم الفرس على العودة إلى بلادهم يجرون أذيال الخيبة، وكان من الطبيعي أن يعم الفرح جميع اليونان،[4] فتبارى الشعراء والمصورون والخطباء في تخليد أعمال الأبطال، ورأى أتقياء اليونان أن هذا الخلاص العجيب لم يكن إلا بمداخلة الآلهة، والدارس في تاريخ اليونان يجد كثيراً من الأساطير، وتعد حرب طروادة موضوعاً لتلك الأساطير التي رواها المؤرخون ونظمها الشعراء روايات

([1])- الحجرات، آية:13.

([2])- ينظر التاريخ العام، فيليب فان نس مير، المطبعة الأمريكية، بيروت، ص36.

* زرادشت: 583ق.م، نبي الفرس الأقدمين ومصلح ديانتهم الأولى ومن أتباعه، الأخمينيون، والساسانيون.

([3])- التاريخ العام: فيليب مير، ص38.

([4])- ينظر مجمل تاريخ العالم، تأليف ف. م . هلير، ترجمة إبراهيم ميخائيل عودة،، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ص144.

محزنة مفجعة للتشخيص ونقشها النحاتون على الرخام[1]، ثم تقدم الإسكندر الأكبر عام 226ق.م ملك مقدونيا واليونان، وسار على رأس جيشه وعبر الدردنيل إلى آسيا، وأخذ يحرز النصر تلو النصر ضد الجيوش الفارسية حتى تم له فتح كل فارس، وبعدها تحول إلى مصر التي كانت خاضعة للحكم الفارسي، وفتحها أيضاً، وبنى مدينة الإسكندرية، وأنشأ فيها مكتبة عظيمة أخذت في النمو والاتساع، حتى يقال إنها أصبحت تحتوي على 500 ألف كتاب، وكانت أكبر مكتبة في الأزمان القديمة.[2]

وبعد موت الإسكندر لم يكن أحد قادرا على استخدام السيف الذي سقط من يده، ولما سئل الإسكندر عمن يخلفه في الملك قال: هو الأقوى، ولذلك تشوشت الإمبراطورية الواسعة وتجزأت إلى ثلاث ممالك هي: مقدونيا، وسورية، ومصر، وهذه كلها ابتلعتها المملكة الرومانية.

وصارت كل بلاد اليونان ولاية من ولايات الإمبراطورية الرومانية، فكان من أهم نتائج فتوحات روما تقدمها الحضاري تقدماً كبيراً، فأصبح الرومان أوثق اتصالاً بالعلم الإغريقي، وأكثر تأثراً بحضارته، ولما كانت الحضارة الإغريقية أكثر عراقة، وأرفع مستوى من حضارة الرومان، فإن الرومان قد أقبلوا على أخذ الكثير من مظاهر الحضارة الإغريقية.[3]

وقد عرف اليونانيون الجمال، مما جعلهم ماهرين في نحت الرخام وتصويره، وجعلهم ماهرين في اللغة التي ضمت الحماسيات والتمثيليات والتاريخيات والخطابيات.[4]

وأما الشعر اليوناني فقد مر في عدة مراحل، فكان الشعر القصصي مظهراً لحياة البداوة للأمة اليونانية، فلما عظم حظها من الحضارة المادية، وأخذ عقلها في التفكير، وذاقت لذة الترف والثروة، كان الشعر الغنائي مظهر شعورها، فلما قوي نصيبها من الحضارة، وتأسست فيها

---

(1)- ينظر التاريخ العام: فيليب مير ص48.

(2)- ينظر مجمل تاريخ العالم، تأليف ف.م. هلير، ترجمة إبراهيم ميخائيل عودة، ص155، 156.

(3)- تاريخ الرومان من أقدم العصور، حتى 133 ق. م ـــ د. إبراهيم نصحي، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، 414/1 .1983.

(4)- التاريخ العام: فيليب مير ص104.

المدن المختلفة ذات النظم السياسية والاجتماعية المعقدة، وأخذت الفلسفة تظهر وتبسط سلطانها، كان الشعر التمثيلي مظهر شعورها.[1]

وقد اعتمد المؤرخون في معرفة تاريخ اليونان القديم علـى شـاعر اليونـان الكفيـف هوميروس الذي نظم ملحمتي (الإلياذة) و(الأوديسة) وفيهما وصف دقيق لحياة اليونان. والإلياذة: عبارة عن ملحمة شعرية طويلة يسرد فيها هوميروس قصة حروب طروادة التي نشـبت بـين الإغريق وأهل طروادة، وهي مدينة تقع في آسيا الصغرى، وكان سبب هذه الحـرب أن أحـد أمراء طروادة قد اختطف زوجة أحد قادة اليونان وتدعى هيلين واستمرت هذه الحروب عشـر سنوات وانتهت بسقوط طروادة وانتصار الإغريق.[2]

والإلياذة قصيدة طويلة في ما يزيد على ستة عشر ألف بيت من الشعر، وكان لسليمان البستاني فضل في نقلها إلى العربية.[3]

وهذا مطلع الإلياذة:

(الخفيف)

ربـة الشـعر عـن أخيـلَ بـن فـيلا	أنشـدينا واروي احتـداماً وبـيلا
ذاك كيـد عـم الإخـاء بـلاه	فكـرام النفـوس ألفـت أفـولا

وأخيل من قادة اليونان في الحرب قد غنم فتاة جميلة من الطرواد وقعت من نصـيبه بالقرعـة فانتزعها منه أغاممنون زعيم اليونان، وعظم الأمر على أخيل وكاد يقتل أغاممنون لولا تـدخل آلهة الحكمة وحامية اليونان، فاعتزل أخيل الحرب، فنكل الطرواد باليونان.

ولما سمع أخيل بمقتل صديقه فطرقل، تسعر حقداً على الطرواد وهب للأخذ بالثأر وأغار علـى الطرواد ونكل بهم فلاذوا بالفرار ما خلا هكتور فقد برز للقتال، لكن أخيل تصـدى لـه وقتلـه وربط جثته إلى عربة جرها إلى معسكر الإغريق وسلم جثته إلى قومه الطرواد وانتهت الحرب بين الإغريق والطرواد.[4]

---

(1)- ينظر من تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي، القرن الثاني، المجلد الثاني، طه حسين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1971، ص114.

(2)- البستاني وإلياذة هوميروس، البدوي الملثم، دار المعارف، مصر، ص73.

(3)- المرجع نفسه، ص97.

(4)- المرجع نفسه، .ص74

أما الأوديسة فتحكي في قالب شعري ملحمي أيضاً صراع أحد أبطال حرب طروادة يسمى أوديسيوس من الإغريق مع العودة إلى موطنه ايثاكا والمغامرات التي يتعرض لها خلال رحلته الطويلة التي استغرقت عشر سنوات وتنتهي بعودته سالماً إلى وطنه بعد عشرين عاماً واستعادته لعرشه الذي طمع فيه الطامعون أثناء غيبته الطويلة في طروادة.

ويلي هوميروس في الأهمية هسيودوس الذي جنح إلى الشعر التعليمي كما يظهر في قصائده (الأعمال والأيام) و(أنساب الآلهة) وقصيدة الأعمال والأيام، عبارة عن مجموعة من الأساطير والنصائح الأخلاقية وناتج خبرة عملية في عدة مجالات وبخاصة الزراعة والمعاناة التي لقيها الشاعر من أخيه برسيوس عندما حرمه من الميراث.

أما قصيدة أنساب الآلهة فيشرح هسيودوس فيها بداية تكوين العالم وظهور الآلهة.[1]

وظهر التمثيل بقسميه المحزن والمبهج، كما واشتهرت الفلسفة اليونانية، وعرف من الفلاسفة: سقراط وأفلاطون وأرسطو.

ولأرسطو مؤلفات في البيان والمنطق والنقد والشعر والأخلاق والسياسة.

وجاءت الآداب الرومانية محاكية للآداب الإغريقية محاكاة تامة وأول ما تعلم الرومان من اليونان التمثيليات.[2]

وقد تأثرت الأساطير والديانة الرومانية بالأساطير والديانة الإغريقية فملحمة الإنيادة للشاعر الروماني فرجيليوس والتي استمر بكتابتها إحدى عشرة سنة ومات قبل أن يتمها، هي استمرار لنمط الإلياذة لهوميروس، إذ تحكي قصة إينياس أحد أبطال طروادة التي سقطت بعد حصار الإغريق لها، ثم تجواله بعد ذلك بحثا عن وطن جديد غير طروادة. [3]

والرومان مدينون لليونان بتطور آدابهم، وفي ذلك يقول الشاعر الروماني هورانيوس "إن الرومان هزموا الإغريق عسكرياً، ولكن الإغريق قد هزموا الرومان فكرياً".[4]

وفي أدبنا الجاهلي القديم ما يماثل إلياذة هوميروس فحرب البسوس بين بكر وتغلب وحرب داحس والغبراء تشابه حرب اليونان مع الطرواد[5].

([1])- ينظر كتاب الرومان، د. حسين الشيخ، ص239.دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1998م.

([2])- ينظر التاريخ العام، فيليب مير، ص193.

([3])- ينظر كتاب الرومان، د. حسين الشيخ، ص243.

([4])- ينظر المرجع نفسه، ص242

([5])- البستاني وإلياذة هوميروس، البدوي الملثم ص85.

وذهب بعض المستشرقين إلى أن سيرة عنترة بن شداد "إلياذة العرب" فموضوعها ملحمي، يشتمل على سردٍ لأخبار بطولية ووصف مواقع حربية، وأما الأسلوب فيختلف عن أسلوب الملاحم من حيث أنه نثر يتخلله شعر.

والدارس لسيرة عنترة وملحمة الإلياذة، يلاحظ أن البطولة والحروب تنشأ بسبب امرأة هي هيلانة في الإلياذة، وعبلة في السيرة. (1)

ولم تخضع الأمة العربية قط لفاتح غريب لاعتزالها في صحاريها المنيعة، وكان العرب في الجاهلية يعبدون الأصنام، وفي مكة ولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم- عام 570م، ولما بلغ الأربعين بعثه الله رسولاً للبشرية عامة، ودعا الناس إلى التوحيد والإيمان بالله، ولم يطل به المقام في مكة فهاجر إلى المدينة المنورة وأسس الدولة الإسلامية فيها.

وكانت تتنازع سيادة العالم دولتان هما: الفرس والروم، ويغيب شخص الرسول وتبقى روحه وسنته حية في نفوس المسلمين ويتولى المسؤولية الخلفاء الرشدون الذين استطاعوا أن يكسروا شوكة الجبابرة في معركتي اليرموك والقادسية، ويجيء دور الأمويين في نشر الفكرة المحمدية إلى الصين شرقا والمحيط الأطلسي غرباً.

واجتاز المسلمون مضيق جبل طارق فاتحين بلاد الأندلس عام 92هـ وقدر للدولة الأموية أن تزول عام 132هـ، وتتم الخلافة للعباسيين، وفي العصر العباسي بدأ عهد جديد للحضارة العربية الإسلامية، فلقد أبدع العرب في هذا العصر، بعد أن استعانوا بحضارة اليونان، وحضارة الرومان، وحضارة الفرس، وأنشأوا حضارة جديدة أفضل من تلك الحضارات السابقة، وكان للعرب فضل في حفظ تراث اليونان القديم وخاصة عن طريق الترجمة، وليس هذا فحسب، بل أمدوها بمصدر خصب وهو العلوم العربية، التي كان لها الدور الكبير في نشأة الحضارة الأوروبية الحديثة.

---

[1]- الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم، حنا الفاخوري، ص601، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1986م.

نَظْرَة تَاريخية في قيامِ الدَوْلَةِ العَباسيّة:

ينتسب العباسيون إلى الصحابي الجليل العباس[1] بن عبد المطلب، فهم فرع من بني هاشم، ويُعَدُّ عليُ بن عبد الله بن عباسٍ أولَ شخصيةٍ عباسيةٍ، كان لها طموح ونشاط سياسيّ، أوصاه أبوه بالرّحيل إلى الشام تجنباً لشر ابنِ الزّبيرِ وخطرِه، فعَمل بوصيةِ أبيه، ولحق بالخليفة عبد الملك بن مروان في دمشق فأكرمه.

"وفي عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك، اضطربت حاله وساءت، إذ سجنه وضربه بالسياط مرتين، وذكر ابن كثير صاحب البداية والنهاية أن سبب ضربه أنه عندما تزوج لبابة بنت عبد الله بن جعفر، والتي كانت تحت عبد الملك بن مروان قبل أن يطلقها، فنقم عليه الوليد بن عبد الملك وقال له: إنما أردت أن تذل بنيها من الخلفاء".[2]

ثم نفاه إلى جبال الشراة في جنوبي الأردن؛ لأن الخليفة الوليد اكتشف أنه سعى إلى الخلافة، وقد اشتهر عنه أنه قال: الخلافة صائرة إلى بيته، فنزل علي بالحميمة[3] ببلقاء الشام واتخذها مستقراً له، ومنذ انتقاله إلى الحميمة بدأ العمل السياسي السّري، وقد عاونه ابنه محمد صاحب الشخصية القوية.[4]

وعمل العباسيون في تأليف الجماعات السرية للدعوة، واختاروا من الدعاة اثني عشر نقيباً: منهم سليمان بن كثير الخزاعي، وطلحة بن زريق وقحطبة بن شبيب الطائي، واختار محمد بن علي سبعين رجلاً يأتمرون بأمر هؤلاء الدعاة، وكتب إليهم كتاباً يوصيهم فيه بما يرجو أن يوفقوا إلى العمل وهم يوجهون الدعوة ويحاورون الأحزاب ومما ورد في هذا الكتاب

([1]) – هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الفضل، من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام، وجد الخلفاء العباسيين، قال رسول (ص) في وصفه أجود قريش كفا وأوصلها، وهذا بقية آبائي، وهو عمه، وكان محسناً لقومه، سديد الرأي، واسع العقل، وكانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه، أقام بمكة ينقل أخبار المشركين إلى الرسول (ص)، ثم هاجر إلى المدينة وشهد وقعتي حنين ومكة. ينظر الأعلام قاموس وتراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، تأليف خير الدين الزركلي، 35/4، الطبعة الثالثة، بيروت، 1969م.

ينظر رجال حول الرسول، خالد محمد خالد ص403.

([2]) – البداية والنهاية، لابن كثير 231/9، دار الفكر، بيروت، 1978م.

([3]) – الحميمة: تصغير الحمة، بلد من أرض الشراة من أعمال عمان في أطراف الشام، وكان منزل بني العباس. ينظر معجم البلدان. ياقوت الحموي، 353/2/ تحقيق عبد العزيز الجندي.

([4]) – الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، د. حسين عطوان، ص80، ينظر البداية والنهاية لابن كثير 321/9 طبعة دار الفكر بيروت، سنة 1978م.

"أما الكوفة وسوادها فشيعة علي وولده، وأما البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف تقول "كـن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل. وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمـر ... ولكن عليكم بخراسان، فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وهناك صـدور سـليمة، وقلـوب فارغة لم تتقسمها الأهواء... وبعد فإني أتفاءل إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصـباح الخلق".[1]

ويعد محمد بن عليّ المنظمَ الأول للدعوة العباسية، فقد جعـل الكوفـة مقـراً لدعوتـه الشيعية، وفي الوقت نفسه كانت خراسان مَسْرحاً لهذه الدعوة الجديدة، فقد نجح الدّعاة في نشـر مبادئ الدعوة العباسية فيها، ولما توفي الإمام محمد عام 125هـ، تولى أمر الدعوة ابنه إبراهيم فارتضاه الدعاة في الكوفة وخراسان، "ورأى الإمام أن يتصل مباشرة بخراسان، ويسيطر علـى الوضع فيها سيطرة قوية، فبعث إليها أبا مسلم الخراساني سنة ثمان وعشرين ومائة للهجرة. [2]

"تولى أبو مسلم الخراساني قيادة الدعوة، وكان من دهاة الرّجال ومن أكفئهم في النهوض بجلائل الأمور، فأخذ يصور للناس فَسَاد الحكم الأمويّ والناس يسمعون لـه وينضـَمون إلـى دعوته". [3]

وخلال هذه الفترة قام أبو مسلم بإشعال الفتنة بين القبائل اليمنيـة والمضـرية فنشـبت الحروب بين الطرفين، وسُفكَ فيها كثيرٌ من الدماء، وكان يقود القبائل المضرية نصر بن سـيّار والي خراسان لمروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين، وحين تأكد أبو مسلم من أن القبائل العربية قد استفرغت قوتها بسبب الاقتتال الداخلي، وأنه لم يعد في طاقتها الصمود، وأن نصر بن سيار قد ضعف جانبه، أعلن الثورة على الأمويين، وأخذت رايات العباسيين السوداء تخفق، وحواضر خراسان تسقط واحدة إثر الأخرى، واشتد الصراع بين العباسيين والأمويين.[4]

وفي سنة تسع وعشرين ومائة للهجرة، اطلع الخليفة مروان بن محمد على كتاب مـن إبراهيم الإمام إلى أبي مسلم الخراساني، يأمره فيه بأن لا يُبقي أحداً بأرض خراسان ممن يتكلم بالعربية إلا أباده، فسأل الخليفة مروان عن إبراهيم الإمام فقيل له هو بالبلقاء، فكتب إلى نائـب

---

(1)- عصر المأمون، د. أحمد الرفاعي، 83/1. مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط4، 1928م.

(2)- ينظر البداية والنهاية لابن كثير 27/10 دار الفكر بيروت سنة 1978م.

(3) – العصر العباسي الأول. د شوقي ضيف ص11، دار المعارف 1966

(4) – ينظر المرجع نفسه، ص12.

دمشق أن يحضره، وقُبض على الإمام وسير به إلى الخليفة مروان بحران، فحبسه حتى مات في السّجن، وقد أوصى قبل موته بأن يكون أخوه أبو العباس السفاح الخليفة.[1]

ومن غير المعقول أن يكون موقف الإمام إبراهيم والذي ينتسب إلى أشرف بيت عربي أن يأمر بقتل السكان العرب في خراسان ولربما كان هذا الموقف في ظرف يتطلب من الإمام الحزم في الضغط على المعاونين لبني أمية.

ولما بلغ أهلَ الكوفة مقتلُ الإمام إبراهيم بن محمد،أراد أبو سلمة الخلاّل أن يحول الخلافة إلى آل علي بن أبي طالب، فغلبه بقية النقباء والأمراء وأحضروا أبا العباس السفاح وبايعوه بالخلافة، وكان عمره ستا وعشرين سنة، وكان أول من سلم عليه بالخلافة أبو سلمة الخلال، فلما كان وقت صلاة الجمعة، خرج السفاح إلى المسجد الجامع وصلى بالناس ثم صعد المنبر وبايعه الناس وهو على المنبر وعمه داود بن علي واقف دونه بثلاث درجات وتكلم السفاح وخطب بالناس وكان أول ما نطق به:

(الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه ديناً)[2] وخطب خطبة طويلة، تحدث فيها عن فساد حكم بني أمية وظلمهم للرعية، وأن العباسيين قد أرجعوا الحق إلى نصابه.

وكانت الجيوش العباسية بقيادة عبد الله بن علي عمّ السفاح قد اتجهت لمواجهة الخليفة مروان بن محمد، فالتقت على نهر الزّاب قرب الموصل، وهُزِمَ الأمويون هزيمة ساحقة، وهرب مروان بن محمد إلى مصر ولحقته سيوف العباسيين حتى لقي حتفه في بوصير.[3] وقد قال رجل من ولد سعيد بن العاص في فراره[4]:

(البسيط)

لَجَّ الفرار بمروان فقلت له　　　عاد الظّلومُ ظليماً هَمُّه الهَربُ

([1]) – ينظر البداية والنهاية لابن كثير 39/10.

([2]) – المصدر نفسه، 41/10.

([3]) – بوصير: اسم لأربع قرى بمصر، بها قتل مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، ينظر معجم البلدان، ياقوت الحموي، 603/1، تحقيق فريد الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت.

([4]) – البداية والنهاية لابن كثير 43/10، دار الفكر، بيروت، 1978م.

ولعلّ أهم المبادئ التي بَشر بها العباسيون خلال دعوتهم وبعد نجاح ثورتهم، أنّهم يريدون تطبيق النظام الإسلامي، وتحقيق العدالة والمساواة بين الشعوب كافة دون تفريق بين العرب وغيرهم.(1)

وعلى هذا النحو، ظفرت الثورة العباسية بالخلافة، وقوضت أركان البيت الأمويّ، وقد ساعد العباسيين في نجاح دعوتهم عوامل كثيرة منها: "تحلل الأسرة المروانية من داخلها ووقوع النزاع على السلطة بين أفرادها، وظلمهم للرعيّة، وظهور الطبقية بشكل حادٍ بين العرب وبين أهالي البلاد المفتوحة.(2)

ولقد استغل الدعاة العباسيون العصبية التي فتّت في عضد الأمويين وفرقتهم أشتاتاً وطرائق قدداً خير استغلال، وهو ما كان له أبلغُ أثرٍ في القضاء على سلطان بني أمية وذلك أنّ نصر بن سيار قد تحامل على اليمن وربيعة وقدّم المضريّة عليهم.(3)

ومهما تكن الأسباب التي أدت إلى انهيار الدولة الأموية، فإنّ الانقلاب العباسيّ في حقيقة أمره ثورة اجتماعية غَيرت من صورة المجتمع العربي التي كان عليها أيام بني أمية إلى مجتمع إسلامي جديد، تعيش فيه أُمة إسلامَية تضم إلى جانب العنصر العربي عناصر أجنبية، وبخاصة الفرس، ارتفعت منزلتها الاجتماعية حتى تفوقت على العرب، واستطاعت أن تفرض وجودها ونفوذها في المجتمع العباسيّ، وأن يكون لها تأثيرها الفعال في تطويره، والتأثير فيه من شتى جوانبه، حتى صُبِغَ المجتمع بالصبغة الفارسية، وقد لاحظ الجاحظ هذه الظاهرة واصفاً الدولة الأموية بأنها: (عربية أعرابية، والدولة العباسية بأنها عجمية خراسانية).(4)

وهكذا، "فإن اصطباغ الدولة العباسية بالصبغة الفارسية أو الصّبغة المختلطة كان له نتائجه السياسية، ولكن كانت له نتائج أدبية خطيرة". (5)

---

(1) – الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية د. حسين عطوان، ص83.

(2) – في الأدب العباسي، الرؤية والفن، د. عز الدين إسماعيل، ص15.دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1975م.

(3) – ينظر عصر المأمون: د. أحمد فريد الرفاعي، 78/1، ط4.

(4)– البيان والتبيين، الجاحظ، 64/4، دار الفكر للجميع، 1986م.

(5)– من تاريخ الأدبي العربي "العصر العباسي الأول "القرن الثاني"، طه حسين، 31/2، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، 1976م.

فقد شهد العصر العباسي فنوناً شعرية جديدة، واختلفت مضامين الشعر وأساليبه، وترك معظم الشعراء البوادي واتجهوا نحو المدن، وأصبح الشعر في العصر العباسي يمثل الحضارة الجديدة ويتلاءم معها، فأقبل الشعراء على الحياة الحضرية الجديدة يستمدون منها أغراضهم ومعانيهم.

ومما لا شك فيه، أن الصراع الحضاري بمختلف أشكاله، كان له الأثر الكبير في الشعر في العصر العباسي الأول.

الفصل الأوّل

"نشأة الصِّراع الحَضاري"

1- الصراع لُغة واصطلاحاً

2- الحضارة لُغة واصطلاحاً

3- نشأة الصراع الحضاري في العصر العباسي

نشأة الصراع الحضاري

الصراع لغة و اصطلاحاً :

الصراع كلمة مشتقة من الفعل الثلاثي صرَعَ ومصدرها الصرْع ومعناه الطَرحُ بالأرض وخصه في التهذيب بالإنسان، والمصارعة والصراع: معالجتهما أيهما يصرع صاحبه، ورجل صريع: شديد الصرْع، وصُرَعة: كثير الصرع لأقرانه يصرعُ الناس، والصرْع: علة معروفة. والصَّريع: المجنون، والصُّرعة تأتي الحليم عند الغضب؛ لأن حِلْمه يصرعُ غضبَه. فإنة إذا ملك هذه الصفة كان قد قهر أقوى أعدائه وشرّ خصومه.[1]

ويقال: صرع الباب: جعله ذا مصراعين، وصرع البيت من الشعر جعل شطريه متفقين في التقفية؛ ويجيء التصريع في الشعر على أن صاحبه مبتدئ إما قصة وإما قصيدة يقول امرؤ القيس: (الطويل)

ألا انعم صباحاً أيهــا الطلــل البــالي   وهل يعِمَنْ من كان في العُصُرِ الخالي[2]

فتفعيلة الضرب مساوية لتفعيلة العروض.

وفي الحديث الشريف: أن النبي، صلى الله عليه وسلم: كان يعجبه أن يستاك بالصـــرع؛ قال الأزهري: الصريع: القضيب يسقط من شجر البشام وجمعه صرعان، وقيل الصريع: السوط أو القوس الذي لم ينحت منه شيء.

والصَّرعان: الغداة والعشي، أما الصرْع فهو المِثل؛ قال ابن بري شاهده قول الراجز:

إن أخاك في الأشاوي صرعكا[3]

أما الصراع اصطلاحاً: "فهو تنشط دافعين في آنٍ واحدٍ يتطلبان ضروباً متعارضة من الســلوك، وقد يكون الصرّاع قائماً بين رغبتين أو بين هدفين أو بين وسيلتين للوصول إلى الهــدف" [4]، فالصراع الذي قام في الدولة العباسية كان صراعاً في الإدارة والسياسة صــراعاً فــي الـدين والعقيدة، صراعاً في العادات والتقاليد، صراعاً في العلم والأدب.

---

1 – لسان العرب، ابن منظور 197/8، مادة صرع.

2– المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس ورفاقه، ص572، مادة صرع، 1972م.

3 – لسان العرب، 199/8، مادة صرع.

(4)– الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غربال، ص1121، المجلد الثاني، 1995، 1416هـ.

ولعلّ من أهم ما توحي به هذه الحادثة، أنّ مظاهر المهانة والإذلال التي جوبه بها الموالي، لم تكن لتعبر عن وجهة نظر المواطنين العرب وحسب، ولكنها تعبر في نفس الوقت عن وجهة نظر الحكام والولاة[1].

وللشاعر ابن بشير أشعار في الحط من شأن الموالي منها قوله[2]: (لطويل)

إذا افتقر المولى سعى لك جاهداً لترضى وإنْ نال الغنى عنك أدبرا

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذه النظرة القاسية ليست عامة عند العربِ جميعهم، إنّما كانت هذه النظرة سائدةً بين البدو والولاة، أما في الأوساط العلمية والدينية فقد سادت نظرة المساواة بين جميع الشّعب، فكان هناك الكثير من العلماء، وهم من الموالي أمثال: الحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وسعيد بن جبير والناس قد منحوهم من الإجلال والإكبار العظيمين.

وكانت العناصر الفارسية أيام الحكم الأمويّ تحتل مكانها في الصفوف الخلفيّة من المجتمع العربي، واستأثر العرب بكل المناصب الهامّة في الدولة.

"ولقد كان في الخلفاء الأمويين نعرة عربية قوية وعصبية ضد غير العرب، تجاوزوا بها حدّ العقل وزاغوا بها عن سبيل القصد، فأثاروا سخط أقوامٍ وبدا ذلك في أنهم ما كانوا يسمحون بالزّواج من الفرس أو الروم أو الترك".[3]

وكانت النتيجة الطبيعية لهذه المعاملة الشاذة أن امتلأت نفوس الموالي سخطاً وحقداً على العرب ، و لما كان السلطان العربي في أوج قوته ، اضطر الموالي إلى كبت هذا الشعور في أعماق نفوسهم، ولكنهم كانوا لا يكادون يجدون فُرصةً تخفف عنهم هذا الشعوّر حتى يميلوا إلى اعتناقها، ولعلّ هذا ما يفسّر مشاركتهم في أكثر الثورات التي قامت ضد الدولة الأموية.[4]

" وكان للفرس قبل الإسلام سيادة ظاهرة على العرب، فشقّ عليهم الأمر واندفعوا يدافعون عن كرامتهم، ومن هنا نشأ الصراع الحضاري، وأخذ كل فريق من الشعراء يدافع عن نفسه وحضارته".[5] وقد بدأ الصوتُ الأجنبيّ ممثلاً بالفرس وغيرهم، يتقدم بخوف وحذر منذ

([1]) – شعر الصراع السياسي في القرن الثاني الهجري، د. إبراهيم الخواجه، ص80.

([2]) – الأغاني، الأصفهاني، 150/14، طبعة بولاق.

([3])– تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني: د. إبراهيم علي أبو الخشب، ص22.

([4]) – ينظر كتاب تاريخ الشعر في العصر العباسي، د. يوسف خليف، ص18.

([5]) – عصر المأمون: د، أحمد فريد الرّفاعي، 79/1.

الحضارة لغةً واصطلاحاً:

حضر: الحضور: نقيض المغيب والغيبة؛ حضر يحضرُ حُضوراً وحِضارة.

والحَضَر: خلاف البَدْو، والحاضر: خلاف البادي. وفي الحديث النبوي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتلقى الركبان، وأن يبيع حاضر لباد" [1]

وقد جاء عن ابن عباس أنه سئل "لا يبعْ حاضر لباد قال: لا يكون له سمساراً.

والحِضارة: الإقامة في الحضر، والقصد من هذا الحديث الشريف: أنه يحرم على تاجر المدينة أن يزيد في ثمن البضاعة التي أبقاها عنده تاجر البادية.

وكانَ الأصمعي يقول: الحضارة بالفتح؛ قال القطامي:

(الوافر)

فمن تكن الحضارةُ أعجبته ... فأيَّ رجالِ باديةٍ ترانا

والحضار من الإبل: البيضاء، الواحد والجمع في ذلك سواء. [2]

والحضارة في الاصطلاح: "مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني والرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي". [3]

"والصراع الحضاري نوع من التغيرات والتأثيرات التي يحدثها كل طرف في الطرف الآخر صاحب الحضارة، نتيجة لاتصال الحضارات وتفاعلها بعضها ببعض وهذه الميزة مستمدة من كيانها الإنساني والاجتماعي". [4]

نَشأة الصراع الحضاري في العصر العباسي الأول:

أحرزَ العرب منذ صدر الإسلام كثيراً من الانتصارات والفتوحات الإسلامية في بلاد الشام ومصر وفارس، وتكونت نتيجة لذلك طبقة ثرية من القبائل التي شاركت في هذه الفتوحات، فقد استشعرت قوتها وتفوقها بالقياس إلى الشعوب التي خضعت لها، كما أصابت

([1])- مختصر صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني باب البيوع، ص250، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، 1982، بيروت.

([2]) – لسان العرب، مادة حضر.

([3])- المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس ورفاقه ، ص181، جذر حضر.

([4])- في معركة الحضارة، قسطنطين زُرَيق، ص212، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، سنة 1977م.

كثيراً من الانتعاش المادي، "واستقر في روع هؤلاء الفاتحين أن العربي خلقَ ليسودَ وخلق غيره ليخدم". [1]

ومن ثم انقسم رعايا الدولة إلى طبقتين: طبقة السادة من العرب وطبقة الموالي من غير العرب.

والموالي جمع مولى ومن المعاني اللغوية لكلمة المولى: الرب والمالك والصاحب والحليف والنزيل والجار والشريك والصهر والقريب من العصبية، كالعم وابن العم والمُنعِم والمُنعَم عليه والمُعتِق، والمُعتَق، والعبد والتابع [2].

وطبقة الموالي معظمها من العجم، يعيشون مع العرب ويخالطونهم، ويرتبطون برابطة الولاء، وللولاء مظاهر شتى: فقد يكون نتيجة للعتق، إذ ينسب العتيق إلى سيده الذي أعتقه، أو قبيلة من أعتقه، وقد يكون نتيجة لإسلام أعجمي على يد عربي يعاهده على أن يكون مولى له،[3] وقد يكون ثمرة لإسلام الأعجمي مطلقاً، سواءً أكان عبداً لقربى أم لا وسواءً أسلم على يد عربي والاه أم لا، ولهذا سمي الأعاجم مواليا، لأن بلادهم فتحت عنوة بأيدي العرب، وكان للعرب استرقاقهم، فإذا تركوهم أحراراً فكأنهم أعتقوهم، والموالي هم المعتقون". [4]

"ولما أفضت الخلافة إلى الأمويين كان عددُ الموالي آخذاً في الازدياد بسبب الفتوحات الإسلامية الواسعة، على أنه مع ما كانَ لكثير منهم من قدمٍ راسخة في العلم والأدب والفنون، كان العربُ ينظرون إليهم دائماً نظرة احتقارٍ وازدراءٍ في المعاملة والأحاديث عَنهم" [5] ويقول صاحب العقد الفريد (وكانوا يقولون- أي العرب- لا يقطع الصلاة إلا ثلاثة، حمار أو كلب أو مولى". [6]

وجرى العرف على التمييز بين المحاربين العرب والموالي الذين يحاربون إلى جوارهم في المعارك، حيث كان يقاتل الموالي مترجلين ومكانهم الصفوف الخلفية[7]، وهذا يتنافى وتعاليم الإسلام، الذي يدعو إلى المساواة بين المسلمين كافة، ولا يفرق بين عربي ولا عجمي إلا

([1])- العصر العباسي الأول: عبد العزيز الدوري ص6، مطبعة التفيض بغداد، 1945م.

([2])- المعجم الوسيط: د. إبراهيم أنيس ورفاقه مادة ولي.

([3])- أدب السياسة في العصر الأموي، د. أحمد محمد الحوفي، ص450، ط4، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 1974.

([4])- فجر الإسلام، أحمد أمين، ص104.

([5]) - عصر المأمون د. أحمد فريد الرفاعي، ص79.

([6]) - العقد الفريد، ابن عبد ربه، 270/2، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1935م.

[7] - في الأدب العباسي الرؤية والفن، د. عز الدين إسماعيل، ص72.

بالتقوى، ولقوله تعالى: " يا أيها الناسُ إنا خَلقْناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لتعارفوا إن أكرمكم عندَ الله أتقاكمُ، إن اللهَ عليمٌ خبير" [1]

فالله عز وجل يطلع جميع الناس على الغاية من جعلهم شعوباً وقبائل، إنها ليست التناحر والخصام وإنما هي التعارف والوئام، فأما اختلاف الألسنة والألوان والطباع والأخلاق فتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق، وليس للون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله، إنما هنالك ميزان واحد يعرف به فضل الناس وهو التقوى وهكذا تسقط جميع الفوارق وتتوارى جميع أسباب الخصومات في الأرض، وقد حارب الإسلام هذه العصبية الجاهلية في كل صورها وأشكالها ليقيم نظامه الإنساني العالمي في ظل راية واحدة: راية الله" [2]

ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ فقد وصل أمر التمييز إلى منع زواج الموالي من الأعرابيات، بل وصل إلى حدّ تطليقهن من أزواجهن.

فقد روي أنّ أحد الأعاجم تزوج أعرابية من بني سليم، فركب الشاعر [3] محمد ابن بشير الخارجي إلى المدينة، وواليها يومئذ إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن المغيرة، فاستعداه على المولى، فأرسل الوالي إلى المولى وفرق بين المولى وزوجته وضربه مائتي سوط وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه فقال الشاعر محمد بن بشير في ذلك:

(البحر الوافر)

شهدتُ غداةَ خَصْمَ بني سليمٍ ... وجوهاً من قضائِكَ غير سودِ
قضيتَ بسنةٍ وحكمتَ عَدْلاً ... ولم ترثِ الحكومة من بَعيدِ
وفي المائتين للمولى نكال ... وفي سلب الحواجب والخدود
إذا كافأتهم ببنات كسرى ... فهل يجدُ الموالي من مزيد؟
فأيّ الحقّ أنصف للموالي ... من اصهار العبيد إلى العبيد [4]

---

[1] – الحجرات، آية13.

[2] -ينظر في ظلال القرآن، سيد قطب، 3348/26.، ط12، دار الشروق، بيروت، 1986م.

[3] – محمد بن بشير، ينتهي نسبه إلى بني خارجة، ويكنى أبا سليمان، شاعر حجازي، مطبوع، من شعراء الدولة الأموية ينظر كتاب الأغاني، الأصفهاني، 148/14، طبعة بولاق.

([4]) – الأغاني، الأصفهاني، 150/14، طبعة بولاق، ينظر ضحى الإسلام، أحمد أمين، 25/1 الطبعة الخامسة، 1956م.

القرن الثاني الهجري، فما زالت الدولة الأموية عربية متعصبة لعروبتها، وأستطيع أن أرى في شعر الشاعر إسماعيل بن يسار النسائي مثالاً قوياً لبداية الصراع الحضاري الذي ظهر وقوي في العصر العباسي، وعلى الرغم من الحصار الشديد من بني أمية يقول الشاعر إسماعيل بن يسار:

(الخفيف)

رُبَّ خالٍ مُتوّجٍ لي وعمّ ... ماجدٍ مجتدى كريم النّصابِ

إنّما سُمّيَ الفوارسُ بالفر ... س مُضاهاة رفعة الأنسابِ

فاتركي الفخر يا أمام علينا ... واتركي الجور وانطقي بالصّوابِ

وأسألي إنْ جَهِلتِ عنّا وعنكم ... كيف كُنّا في سالفِ الأحقابِ

إذ نربي بناتنا وتدسّو ... ن سفاهاً بناتكم في التراب[1]

"فقال رجل من آل كثير بن الصلت: إنّ حاجتَنا إلى بناتنا، غَير حاجتكم فأفْحمه، يريد القائل إنّ العجم يربّون بناتهم لينكحوهُن، والعرب لا تفعل ذلك. وكان أشعب في المجلس، فقال له بشأن البيت الأخير من الأبيات المذكورة: صدقت والله يا أبا[2] فائد، أراد القوم بناتهم لغير ما أردتموهن له، قال: وما ذاك؟

قال أشعب: دفن القوم بناتهم خوفاً من العار وربيتموهن لتنكحوهُن، قال: فضحك القوم حتى استغربوا، وخجل إسماعيل حتى لو قدر أن يسيخ في الأرض لفعل". [3]

ومن المواقف التي تدلّ على بداية هذا الصّراع تلك الحادثة التي وقعت أيضاً مع الشاعر إسماعيل[4] بن يسار، يقول صاحب الأغاني:

([1]) – الأغاني للأصفهاني 120/4، الصراع السياسي في القرن الثاني الهجري، د. إبراهيم الخواجه، ص79.

([2]) – هي كنية الشاعر إسماعيل بن يسار.

([3]) – الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، 120/4، طبعة بولاق.

([4])– هو إسماعيل بن يسار النسائي مولى بني تيم بن مُرّه، وكان منقطعاً إلى آل الزبير فلما أفضت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان وفد إليه مع عروةَ بن الزبيرِ ومدحه ومدحَ الخلفاء من ولده بعده، وعاش عمراً طويلاً إلى أنْ أدرك آخر سلطان بني أمية، ولم يدرك الدولة العباسية وكان طيباً مليحاً مندراً، كنيته أبو فائد، كان شديد التعصب للعجم، وله شعر كثير تظهر فيه شعوبيته التي يفخر بها على العرب، ينظر الكتاب الأغاني 120/4، 121.

"دخل الشاعر إسماعيل بن يسار على هشام بن عبد الملك في خلافته، وهو بالرّصافة جالس على بركة له في قصره، فاستنشده، وهو يرى أنة يُنشد مديحاً له، فأنشده قصيدته التي يفتخر فيها بالعجم: (1)

(البسيط)

- يا ربَعَ رامةَ بالعلياء من ريم — هل ترجعَنّ إذا حييتِ تسليمي

حتى انتهى إلى قوله:

إني وجَدّك ما عودي بذي خورٍ — عند الحفاظِ ولا حوضي بمهدوم

أصلي كريم ومجدي لا يُقاس به — ولي لسانٌ كحَدّ السيفِ مسموم

أحمي به مجدَ أقوامٍ ذوي حَسَبٍ — من كلّ قرمٍ* بتاج المُلك معموم

جحاجحٍ* سادةٍ بُلْجٍ* مرازبةٍ* — جُردٍ* عَتاقٍ* مساميحٍ* مطاعيم*

مَن مثلُ كسرى وسابور الجنود معاً — والهرمزان لفخرٍ أو لتعظيم

أسد الكتائب يوم الروعِ إن زحفوا — وهم أذلّوا ملوك الترك والروم

يمشون في حلق المآذي* سابغة — مَشي الضراغمةِ الأسدِ اللهاميم*

هناك إنْ تَسألي تنبَي بأنّ لنا — جرثومةً قهرتْ عزَّ الجراثيم

---

(1)- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني 125/4، ينظر دراسات في الأدب العربي "العصر العباسي". د.محمد زغلول سلام،ص18.

* – القَرم: السيد المعظم.

* – جحاجح: مفردها جحجاح وهو السيد السمح الكريم.

* – بُلْجُ: مفردها أبلج وهو الواضح، وفي المثل الحق أبلجُ، والباطل لَجلَج. المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس، ص68.

*– مرازبة: مفردها مرزبان وهو رئيس الفرس، أو الفارس الشجاع المقدّم على القوم، مادة رزب.

* – جُرْد: مفردها أجرد وهو السبّاق، مادة جرد.

* – عِتاق: مفردها عتيق وهوالكريم، مادة عتق.

* – مساميح: مفردها مِسماح وهو الكثير السماح،مادة سمح.

* – مطاعيم، مفردها مِطعام وهو الكثير الإطعام للأضياف، وتستوي الصفة في المذكر. والمؤنث يقال: امرأة مطعام، مادة طعم.

* – المآذي: كل سلاح من الحديد والمانية: الدرع البيضاء،

* – اللهاميم، جمع لهميم، وهو السابق الجواد من الخيل والناس.

فغضب هشام عند سماع هذه الأبيات وقال: يا عاضّ بظر أمه، أعلي تفخر وإياي تنشد قصيدة تمدح بها نفسك وأعلاج قومك؟

غطّوه في الماء، فغطوه في البركة حتى كادت نفسه تخرج، ثم أمر بإخراجه وهو يشر، ونفاه من وقته، فأُخرج عن الرصافة منفياً إلى الحجاز، وكان مبتلى بالعصبية للعجم والفخر بهم، فكان لا يزال محروماً مطروداً". [1]

وهكذا كان عقاب إسماعيل حين أطلق لنفسه العنان فراح يكشف عن دخيلة نفسه، وقد كان مدار حديثه على الفخر بأصوله الفارسية وأمجاد قومه، وما كان لهم من حضارة باذخة، وهذا الفخر وإن لم يتعرض فيه الشاعر إلى العرب بأية إهانه، كان في تقدير الخليفة الأموي إهانة له وللعرب، لما يحمله من نبرة الاعتزاز بقومية غير القومية العربية وحضارة غير الحضارة العربية، ومهما يكن من أمر، فإن الحادثة تدل على انتفاض الموالي على العرب.[2] وسرعان ما تغيرت الصورة عندما قامت الدولة العباسية، فقد كان للموالي من غير العرب دور كبير في إنجاحها، وقد لعب أبو مسلم الخراساني دوراً مهماً في القضاء على جيوش الأمويين، "وكان من أبطال الحرب والسياسة، شديد الإخلاص للعباسيين، مسرفاً في خدمتهم.[3]

فلا عجب أن يكون الفرس أصحاب النفوذ في العصر العباسي الأول فلقد كانوا موضع تقديرٍ من العباسيين، بيد أن نفوذهم كان يقوى حيناً ويتضاءل حيناً آخر، كان يتضاءل أمام عزم الحاكم الحازم كالسفاح والمنصور اللذين قتلا أبا سلمة الخلال وأبا مسلم الخراسانّي.[4]

وصاحب البداية والنهاية يذكر قصة مقتل أبي مسلم الخراساني فيقول:

ولم يزل المنصور يراسله تارةً بالرغبة وتارة بالرهبة، ويستخف أحلامَ من حوله من الأمراء والرسل الذين يبعثهم أبو مسلم إلى المنصور ويعدهم، حتى حسّنوا لأبي مسلم في رأيه القدوم عليه سوى أميرٍ معه يقال له نيزك فإنهّ لم يوافق على ذلك، فلمّا رأى أبا مسلمٍ قد انصاع لهم أنشد عند ذلك هذا البيت:

([1])- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، 125/4، طبعة بولاق، ينظر الصراع السياسي في القرن الثاني الهجري، رسالة دكتوراه، إبراهيم الخواجه، ص79، ينظر كتاب دراسات في الأدب العربي في العصر العباسي، د. محمد زغلول سلام، ص18.

([2])- ينظر في الأدب العباسي، د. عز الدين اسماعيل، ص78.

([3]) - عصر المأمون، د. أحمد فريد الرفاعي، 84/1.

([4])- مظاهر الشعوبية في الأدب العربي، د. محمد نبيه حجاب، ص176.

(بحر الكامل)

مـــا للرجـــال مـــع القضـــاء محالـــة   ذهـــب القضـــاء بحيلـــة الأقـــوام

وأشار نيزك على أبي مسلم قتل المنصور، ولكن أبا مسلم قرر الـذهاب إلـى الخليفـة المنصور.

فقدم أبو مسلم المدائن، وتلقاه الأمراء، وأشار أبو أيوب كاتب الرسائل عند المنصور أن لا يقتله يوم وصوله بل يؤجله للغد، فلما كان الغد، أرصد له المنصور من الأمراء أربعة ليقتلوه، فدخل على المنصور في اليوم التالي، وأخذ المنصور يعاتبه على مخالفته له وأبو مسلمٍ يعتـذر، حتى قال له المنصور: فلِمَ قتلت سليمانَ بنَ كثير وإبراهيم بن ميمون؟

قال: لأنّهم عصوني وخالفوا أمري.[1]

فغضب المنصور وقال: ويحك، أنت تقتل إذا عُصيت وأنا لا أقتلـك وقـد عصـيتني!! فصفق المنصور بيديه، وكانت الإشارة بينه وبين المرصدين لقتله، فتبـادروا إليـه وضـربوه بسيوفهم فقطعوه قطعاً قطعاً ولفوه في عباءة ثم ألقي في دجلة.

ولربما الذي دفع أبا جعفر المنصور لهذا العمل حرصه على وحـدة أراضـي الدولـة الإسلامية، لأنه شعر بقوة أبي مسلم الخراساني وأتباعه.

"ويروى أن المنصور لما قتله، وقف عليه فقال: رحمك الله أبا مسلم بايعتنـا فبايعنـاك، وعاهدتنا فعاهدناك، ووفيت لنا فوفيناك، وإناّ بايعناك على أن لا يخرج علينا أحد في هذه الأيام إلا قتلناه، فخرجت علينا فقتلناك، وحكمنا عليك حكمك على نفسك لنا

ويقال إن المنصور قال: الحمد لله الذي أرانا يومك يا عدوّ الله".[2]

وقال المنصور عند ذلك:

(بحر السريع)

زَعَمْـتَ بـأنّ الـدَّيْن لا يُقتَضـى   فاسـتوفِ بالكيـل أبـا مجـرمِ

سُـقيت كأسـاً كنـت تسـقي بهـا   أمـرّ فـي الحلْـقِ مـن العلقـمِ[3]

وكان مقتل أبي مسلم سنة سبع وثلاثين ومائة للهجرة.

([1]) – ينظر البداية والنهاية. لابن كثير، 69/10، 70.

([2])البداية والنهاية. لابن كثير،71/10.

([3]) – البداية والنهاية، 73/10، ينظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، تأليف حسن إبراهيم، المجلد الثاني/ص101.

وفي هذه السنة خرج سنباذ يطلب دَم أبي مسلم، وقد كانَ سنباذ مجوسيا تَغَلَّب على قومس وأصبهان، فبعث إليه المنصور جيشاً قوامه عشرة آلاف فارس، فهزم سنباذ وقُتِلَ من أصحابه ستون ألفاً.[1]

ومع أن هذه الحركة المسماة حركة سنباذ، لم يظهر لها أهداف محددة إلا أنها كانت حركة أجنبية، عملت على الانفصال عن الخلافة العباسية، وإحياء دولة الفرس الدارسة.-

وخرج غير سنباذ كثيرون طلباً لثأر أبي مسلم، وكان المقنع الخراساني أشدهم خطراً واعتقد بعضهم أنه لم يمت، بل كانوا ينظرون رجعته ليملأ الأرض عدلاً.[2]

ولقد كان الخليفة أبو جعفر المنصور يقظاً حذراً مما قد يأتي به هذا العنصر الجديد الذي دخل في حياة الدولة الإسلامية بصورة فعالة مُؤثِّرة، فكان في بنائه بغداد، ما يُستدل على احتياطه وتحفظه من جهة فارس من أخطار قد تهدّد كيان الدولة، فجعلها متصلةً من الغرب ببلاد العرب ، منفصلة عن فارس وبلاد العجم بنهر دجلة، وكأنه كان يدرك بواسع حيلته ما يمكن أن يبيته الفرس والأعاجم من غدرٍ بدولته أو المحاولة بالاستقلال عن الدولة الإسلامية، فقام بالقضاء على أبي مسلم الخراساني قبل استفحال أمره.[3]

"وفي قصة الخليفة الرشيد مع يحيى بن برمك لما أراد أن يهدم إيوان كسرى، فقال له يحيى لا تهدم بناءً دَلَّ على فخامة شأن بانيه الذي غلبته وأخذت ملكه فقال الرشيد: هذا من ميلك للمجوس، لا بد من هدمه فقدر للنفقة على هدمه شيء فاستكثره الرشيد وأمر بترك هدمه"[4].

وهذه القصة تدل على أن الخلفاء العباسيين لم يكونوا يغترون بولاء الأعاجم، بل كانوا يَعْرفون ما يساورهم من الحنين إلى ماضيهم وتاريخهم البعيد.

وعلى الرُّغم من ذلك فقد نشأ للموالي حزبهم الّذي يعمل في الخفاء، ففي عهد الخليفة هارون الرشيد، كانت أسرة البرامكة (وهي فارسية الأصل) الرأس المدبّر لهذا الحزب، ومنهم خالد البرمكيّ وابناه يحيى وجعفر، وحين تجمعت لدى الرشيد الملاحظات الدّالّة على خيانة

([1])- البداية والنهاية لابن كثير 73/10، ينظر تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن ابراهيم، 102/2.

([2])- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن ابراهيم، 102/2.

([3]) – ينظر الشعر في بغداد. أحمد عبد الستار الجواري، ص120.

([4]) – الوزراء والكتاب، الجهشياري ص229، تحقيق مصطفى السقا، ط1، القاهرة 1938.

البرامكة، قام بالقضاء عليهم، فيما يعرف بالتاريخ"نكبة البرامكة" التي سوف أتناولها كمثال للصراع الحضاري بين حضارتين: الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الفارسيّة.

وقبل وفاة الرشيد عهدَ إلى ولديه: محمد الملقب بالأمين وعبد الله الملقب بالمأمون وكان هذا الصنيّع نذير شؤمٍ على الأخوين، فلم يكد الرشّيد ينتقل إلى جوارِ ربّه، حتى نشب الخلاف بينهما، إذ أخذت حاشية الأمين تسّول له أن ينقض العهد الموثّق في البيت الحرام، وشاعت الظروف أن يقعَ الأخَوانِ فريسةً للتنافس بين الحزبين: العربي والفارسي، وكان الحزب العربي يغلب على الأمين، بينما الحزب الفارسي كان يغلب على المأمون، وكانت أم الأمين عربية هاشمية هي زبيدة بنت جعفر بن المنصور، بينما كانت أم المأمون أمة فارسية تسمّى مراجل، وفي عام 197هـ وقعت الحرب بين الطرفين،[1] ويحاصر الأمين ببغداد ويحيط به أمراء المأمون وهم طاهر بن الحسين، وهرثمة ابن أعين وزهير بن المسيب في جيوشهم وقاتلت مع الأمين الرعية ودام الحصار سنة، واشتد البلاء وعظم الخطب.

وفي عام 198هـ ظفر طاهر بن الحسين بالأمين فقتله ونصب رأسه على رمح، وينتصر الحزب الفارسي في هذا الصراع،[2]

وقد ترك مقتل الأمين صدى كبيراً عند الشعراء فرثاه الكثير منهم، فها هو ذا الحسين بن الضحاك يرثي الأمين ويهجو المأمون بقوله: [3](الطويل)

أطِلْ حَزَناً وابْكِ الإمامَ محمداً	بِحزنٍ وإنْ خفتَ الحسامَ المهندا
فَلا تَمّت الأشياءَ بعْدَ محمدٍ	ولا زالَ شَملُ الملكِ منها مَبدّدا
ولا فَرِحَ المأمونُ بالملكِ بَعْده	ولا زال في الدنيا طريداً مشرّدا

"ولكن المأمونَ سرعان ما قضى على آل سهل؛ لأنهم فكروا في الانقلاب عليه، ولماّ ولي المعتصم- وأمُه تركية- استعان بالأتراك، فاشترى عشرات الآلاف منهم، وأحاطَ نفسه بفرقة من الفرسان المدربين على أحدث أساليب القتال وبنى لهم مدينة خاصة بهم سّماها سامراء".[4]

([1]) – العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، ص38.

([2])- ينظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، 347/1.ينظر كتاب العصر العباسي الأول د. شوقي ضيف ص: 38، ط9، 1966م،

([3]) – الحسين بن الضحاك، "الشاعر الخليع" د. محمد حمود، ص148.

([4]) – مظاهر الشعوبية في الأدب العربي د. محمد نبيه حجاب، ص177.

"على أن العنصر العربيّ ظلّ ممثلاً بقوة في الخلفاء العباسيين وفي الـدين الإسـلامي واللغة العربية، ولكن مما لا شكَ فيه أن الأعاجم كانوا متفوقين طوال العصـر العباسـيّ الأوّل فوقفوا من العرب نفس الموقف الذي كانوا يقفونه منهم في عصر بني أميّة".[1]

وأدت الظّروف أنْ يكون الفرس في جانب والعرب في جانبِ آخر، "وهكذا انقلبت الآية، ويبدأ صراع من نوعٍ جديدٍ، فبعد أن كانَ الموالي مستضعفين يشعرون بالظلم والاضـطهاد، إذا هم أصحاب الكلمة يتميزون ويستعلون، وإذا العربُ يـدافعون عـن أنفسـهم، وبـدأ صـراع العصبيتين: العربية والشعوبية يأخذ شكله الحاد، وتقف كل عصبية متحفزةً للأخرى، وانتشـرت الدعوة إلى التفاخر بالأنساب والحضارات كل يشيد بتاريخه وتراثه وحضارته، وقد أثر ذلك في نواحي الحياة العلمية والأدبية والسياسية، وظهر هذا واضحاً في افتخار الشعوبِ بانتسابهم إلـى الفرس والسخرية من حياة العرب ومستوى معيشتهم، ويرون أنّ حضارة الروم أو الفرس أكثر رقياً من حضارة العرب في الجاهلية". [2]

([1])- الفن ومذاهب في الشعر العربي، د. شوقي ضيف، ص96، ط10.

([2]) - موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي. د. محمد زكي العشماوي، ص54.

نموذجان من الصراع الحضاري
في العصر العباسي الأول

أ - الصراع السياسي والإداري:

"هارون الرشيد والبرامكة"

ب- الصراع الأدبي:

" ثورة أبي نواس على الأطلال"

أ- الصراع السياسي والإداري
"هارون الرشيد والبرامكة"

1. نشأة البرامكة

2. أثر البرامكة في تشجيع الشعر والشعراء

3. مأساة البرامكة

4. أثر المأساة في الشعر العربي في العصر العباسي الأول

البرامكة

1- نَشْأة البرامكة:

"كان برمك جَدّ الأُسرة البرمكية سادن بيت النار ببلخ، يقوم بالإشراف على هذا البيت، وهو معبد للمجوس، وقد تألق اسم خالد بن برمك في أوائل الدولة العباسية الذي تقلّد الوزارة في عهدي السفاح والمنصور"([1])

" ولما ولي هارونُ الرشيدُ الخلافةَ، اتخذ يحيى وزيراً له، وكان يحيى عاقلاً حصيفاً يحسن السياسة والإدارة، فاعتنى بالطب وترجمة كنوز الثقافات الهندية والفارسية واليونانية، وبعث نهضةً فكريةً واسعة، وفتحَ أبوابه لكلّ الشعراء"([2])

" وكان الفضلُ أكبر أولاد يحيى من كرام أهل عصره، ولما ولد الأمين، عهد الرشيدُ إلى الفضل بتربيته، وفي سنة 176هـ ولاه الخليفة هارون الرشيد بلاد خراسان، فقضى على الفتنة التي قامت بها، وأحسن معاملة أهلها، وبنى بها المساجد". ([3])

أما جعفر بن يحيى فقد اشتهر بالفصاحة والفطنة والحلم والكرم، وكان الرشيد يأنس به لسهولة أخلاقه، وكان الرشيد يؤثر جعفراً على أخيه الفضل، وقد ولاه مصر في سنة 176هـ.([4])

2. أثر البرامكة في تشجيع الشعر والشعراء***

عاش البرامكة حياة قوامها البذخ والإسراف وحب الظهور، فأغدقوا الأموال على الشعراء والعلماء، ولم يردوا قاصداً، وفتحوا أبوابهم لكل الشعراء وأسبغوا عليهم العطايا الجزيلة، فمدحهم الشعراء.([5])

([1])- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، تأليف الدكتور حسن إبراهيم حسن 54/2، الطبعة السابعة.

([2])- العصر العباسي الأول. د شوقي ضيف، ص327.

([3])- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، تأليف الدكتور حسن إبراهيم حسن56/2.

([4])- المرجع نفسه، 57/2.

([5])- العصر العباسي الأول د. شوقي ضيف ص327، ط9، سنة 1966م.

وكان الشاعرُ ابنُ مناذر([1]) كثير المدح ليحيى بن خالد البرمكي ومن أشعاره قوله يمدحه:

"بحر الطويل"

أتانا بنو الأملاك من آل برمكٍ	فياطيب أخبارٍ ويا حسنَ مَنْظرِ
لهم رحلة في كل عامٍ إلى العدا	وأخرى إلى البيت العتيق المسترِ
إذا نزلوا بطحاء مكة أشرقت	بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفرِ
فما خُلِقَتْ إلاّ لجودِ أكفُهم	وأقدامُهمُ إلاّ لأعواد مِنْبَرِ
إذا رام يحيى الأمرَ ذلّت صعابه	وحسبك من راعٍ له ومدبّرِ
ترى النّاس إجلالاً له وكأنهم	غرانيق ماءٍ تحت بازٍ مصرصَرِ([2])

وهذه القصيدة طويلة جداً تمتاز بجودة ألفاظها ومعانيها.

ومن أهم الشعراء الذين مدحوا البرامكة: أبانَ بن عبد الحميد اللاحقي، ومسلم بن الوليد، والرقاشي،([3]) وأشجع بن عمرو السُّلمي، وبشار بن برد، وأبو نواس وغيرهم. "فالرقاشي من الشعراء الذين انقطعوا للبرامكة، وكان من العجم من أهل الرّي، وكان البرامكة يصولون به على الشعراء ويُروون أولادَهم شعره، ويدونون القليل والكثير منها تعصباً له و حفظاً لخدمته وتنويهاً بأسمه وتحريكاً لنشاطه فحفظ ذلك لهم بعد نكبتهم، وفي أثناء سجنهم، ينشدهم ويسامرهم حتى ماتوا". ([4])

([1])- هو محمد بن مناذر: مولى بني صبير بن يربوع، ويكنى أبا جعفر، شاعر فصيح مُقدّم في العلم باللغة، وكان في أول أمره يتنَسّك، ثم عَدَل عن ذلك فهجا الناس وتهتك وخلع وقذف المحصنات وشتم الأعراض فوجبت عليه حدود فهرب إلى مكة وبقي بها حتى مات، وكان يجالس سفيان بن عيينه ويسأله عن غريب الحديث ومعانيه فيجيبه عن ذلك، ومن أجمل أبياته في الرثاء قوله يرثي صديقه عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي:

إنّ عبد المجيد يوم تولّى	هَدَّ ركنا ما كان بالمهدودِ
هدّ عبد المجيد ركني	وقد كنت بركنٍ أنوء منه شديد
ما درى نعشه ولا حاملوه	ما على النعش من عَفافٍ وجودِ

ينظر الأغاني للاصفهاني 17/صفحة 9 وما بعدها، طبعة بولاق، 1970م.

([2])- طبقات الشعراء لابن المعتز ص125، ط2.

([3])- هو الفضل بن عبد الصمد مولى رقاش وهو من ربيعة، وكان مطبوعاً سهل الشعر نقي الكلام، مدح الرشيد وأجازه، إلا أن انقطاعه كان إلى آل برمك.

ينظر الأغاني 35/15 طبعة بولاق، بيروت، 1970م.

([4])- الأغاني، الأصفهاني، 35/15.

وبشار بن برد كان شاعراً مدّاحاً، فقد مدح البرامكة وبخاصة خالد بن برمك وهو علـى بـلاد فارس:

"بحر الطويل"

أخالـدُ لـم أخـبطْ إليـك بنعمـة	سـوى أنني عـافٍ وأنـت جـوادُ
فإن تعطني أفـرغ عليـك محامـدي	وإن تـأبَ لـم يضـربْ عليـك سـدادُ
أخالـد بـين الأجـر والحمـد حـاجتي	فأيهمـا تـأتي فأنـت عمـادُ([1])

قال: فدعا خالد بأربعة آلاف دينارٍ في أربعة أكياسٍ فوضع واحداً عن يمينه وواحداً عن شماله وآخرَ بين يديه وآخرَ خلفه وقال: يا أبا معاذ، هل استقلّ العماد؟ فلَمس الأكياس، ثم قـال: استقلّ والله أيها الأمير.

ويقول أيضاً في مدح خالد في مجلسه:

"بحر الطويل"

حَـذا خالـد فـي فعلـه حـذوَ برمـك	فمجـدٌ لَـه مسـتطرفٌ وأصَـيلُ
وكـان ذوو الآمـال يـدعون قبلـه	بلفـظٍ علـى الإعـدام فيـه دليـلُ
يُسـمّوْنَ بالسّـؤالِ فـي كـلّ مـوطنٍ	وإن كـان فـيهم نابـه وجليـلُ
فسـماهم الـزوّارَ[3] سـتراً علـيهم	فأسـتاره فـي المهتـدين سُـدولُ([2])

وكان بشار حاضراً المجلس في الساعة التي تكلمَ خالد بهذا الكلام فـي أمـر الـزوار فأعطاه لكل بيتٍ ألف درهم.

والبيت الرابع من الأبيات المذكور يدل على مدى حب البرامكة لفعل الخير دون منٍ أو أذى على أحد.

([1])- ديوان بشار بن برد. مهدي محمد ناصر الدين، ص370.

([2])- المرجع نفسه، ص573.

([3])- الزوار: طلاب السؤال والحاجة كان خالد بن برمك يسميهم بالزوار لأنه فيهم الأشراف والأحرار وأبناء النعيم.

ينظر الأغاني 36/3 طبعة بولاق.

ومن أشعاره أيضاً في البرامكة قوله في جعفر بن برمك:

"بحر الطويل"

لعمري لقد أجدى عليّ ابن برمك ... وما كلّ من كان الغنى عنده يجْدي

حَلَبْتُ بشِعري راحتيه فدَرّتا ... سَماحاً كما دَرَّ السحابُ على الرّعد

له نِعم في القوم لا يستثيبها ... جزاء وكيلُ التاجر المُدّ بالمُدّ

مُفيدٌ ومِتلافٌ سبيل تراثه ... إذا ما غدا أو راح بالجزر والمَدّ

أجعفر إنّ الحمدَ يبقى لأهله ... جمالاً ولا تبقى الكنوزُ على الكَدّ

فأطعمْ وكلْ من عارةٍ مستردةٍ ... ولا تُبقِها إنّ العواريَّ للرّدِّ(1)

فأعطاه جعفر ثلاثين ألف درهم وكان قبل ذلك يعطيه كل وفادةٍ خمسة آلاف درهم.

"وهكذا بدأ النفوذ الفارسي والأعجمي يتغلغل في الحياة العباسيّة وأوضح ما يمثّله نفوذ الأسرة البرمكيّة التي بدأ شأنها في الارتفاع أيام محمد المهدي وبلغ أمرها ذروته في زمن هارون الرشيد، فجمعت حولها الشعراء وأغدقت عليهم الأموال فصار الشعراء يمدحون رجالها مدحاً مجيداً ويضعونها في مصاف الخلفاء". (2)

ويقول سلم[3] الخاسر في مدحه البرامكة ومنهم الفضل بن يحيى حين سار إلى خراسان بأمرٍ من الرشيد.(4)

" بحر الوافر"

وكيفَ تخافُ من بؤسٍ بدارٍ ... يجاورُها البرامكةُ البحورُ

وقومٌ منهم الفضل بن يحيى ... نفيرٌ ما يوازنه نفيرُ

له يومان: يوم ندىً وبأسٍ ... كأنَّ الدَّهر بينهما أسيرُ

إذا ما البرمكيُّ غدا ابنَ عشرٍ ... فهمّتُهُ أميرٌ أو وَزيرُ

---

(1)- ديوان بشار بن برد، تحقيق مهدي محمد ناصر الدين، ص414.

(2)- الشعر في بغداد، أحمد عبد الستار الجواري ص127.

(3) – هو سلم بن عمرو بن حماد بن عطاء، وإنما قيل له الخاسر لأنه باع مصحفاً واشترى به ديوان شعر لامرئ القيس، وقيل لأنه أنفق مائتي ألف في صناعة الأدب، كان شاعراً منطيقا له قدرة على الإنشاء وذكر الخطيب أنه كان في طريقة غير مرضية من المجون والفسق وأنه كان من تلاميذ بشار. وقد حصل من الخلفاء والبرامكة على أموال كثيرة تقدر بأربعين ألف دينار.

ينظر البداية والنهاية 188/10.

(4)- المصدر نفسه، 172/10.

وهذه الأبيات المذكورة قالها الشّاعر سَلم عند توجه الفضل إلى خراسان بأمر من الخليفة الرشيد فأحسن السيرة فيها، وبنى فيها المساجد، وغزا ما وراء النهر، واتخذ بها جُنداً من العجم سماهم العباسية وجعل ولاءهم له، ثم قفلَ راجعاً إلى بغداد، فلما اقترب منها خرج الرشيد ووجوه الناس إليه، وقدم عليه الشعراء والخطباء، فجعل يطلق الألف ألف، والخمسمائة ألف، وأنفذ في ذلك من الأموال شيئاً كثيراً لا يمكن حَصْره إلاّ بتَعبٍ وكلفة. ([1])

ومن جيد ما يروى لسلم كلمته في يحيى بن خالد البرمكي ومنها هذه الأبيات:

"الوافر"

بقاء الدين والدنيا جميعاً	إذا بقي الخليفة والوزير
يغار على حمى الإسلام يحيى	إذا ما ضيع الحزم الغيور
وما ألهاك عما أنت فيه	نعيم الملك والوطيء الوثير
بلوت الناس من عجم وعرب	فما أحد يسير كما تسير
فكل الأمر من قول وفعل	إذا علقت يداك به صغير
تفرجت الأمور ببرمكي	تضيء له المنابر والسرير
لنا مَلِكٌ نَعَمْ ووزير مُلْك	عليه من لباس الشيب نور
ولا غرس الأمور ولا اجتناها	كيحيى حين يعزم أو يسير([2])

والشاعر في الأبيات المذكورة وبخاصة البيت الأول يجمع الخليفة والوزير معاً، ولعله يريد أن يضعهما في مرتبة واحدة، وهذا ما يريده البرامكة.

ويقال: إنه أخذ عليها مالاً عظيماً حتى قيل: إنه من عمل بما في هذه الأبيات من قصيدته جاز أن يكون وزيراً.

([1])- البداية والنهاية لابن كثير، 173/10.

([2])- طبقات الشعراء، لابن المعتز، ص100،ص 101.

"وكان أبان([1]) بن عبد الحميد اللاحقي شاعراً ظريفاً يمدح البرامكة، وكان مخصوصاً من بينهم بجعفر لا يكاد يفارقه، وكانت البرامكة إذا أرادوا تفرقة مالٍ على الشعراء ولّوه ذلك، فأُمِر له بمالٍ يفرّقه بينهم، وكان كثيراً له خطر، ففرقه وأمر لأبي نواس بدرهمٍ ناقصٍ، وأرسل إليه: إنّي قد أعطيتُ كلَّ شاعرٍ على قدره وهذا مقْدارك".

فوجد عليه أبو نواس، فلما قال اللاحقي قصيدته الحائية التي يصف بها نفسه ويلفق فيهما عند جعفر بن يحيى ومنها": ([2])

"بحر الخفيف"

أنا من حاجة الأمير وكنز	من كنوز الأمير ذو أرباحِ
كاتب حاسِب أديب خطيب	ناصح راجح على النَصاحِ
شاعر مُفْلق أخفُ من الريـ	شة ما تكون تحتَ الجَناحِ
لو رآني الأميرُ عاينَ منّي	شَمَّرياً[3] كالجلجل[4] الصيّاحِ
لحيةٌ سَبْطة وأنف طويلٌ	واتّقادٌ كشعلة المِصْباحِ
لستُ بالمفرط الطويلِ ولا بالمـ	ـستِكن* المجحدرِ* الدّحْداحِ
أيمنُ الناسِ طائراً يومَ صيدٍ	لغُدوٍ دعيتُ أم لرواحِ
أبصَرُ الناس بالجوارحِ والأكْلـ	ـبِ والخُرّدِ الصّباحِ الملاحِ

([1])- أبان بن عبد الحميد بن لاحق مولى بني رقاش. وأكثر شعره مزدوج ومسمط، نقل كتباً من الفارسية إلى العربية وله ذكر خاص في آداب اللغة؛ لأنه نظم كتاب كليلة ودمنة شعراً بإشارة من البرامكة ليسهل حفظه على الأذهان وقد نقله ابن المقفع نثراً وهاك مطلع الترجمة الشعرية:

هذا كتابُ أدبٍ ومحنة	وهو الذي يدعى كليلة ودمنة
فيه احتيالاتٌ وفيه رشد	وهو كتاب وضعته الهندُ

فأعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار وأعطاه الفضل خمسة آلاف دينار ولم يعطه جعفر شيئاً وقال: ألا يكفيك أن أحفظهِ فأكون راويتك. وهذا النقل من جملة أفضال البرامكة على اللغة العربية، لكن المنظومة ضاعت ولم يبق منها إلاّ هذان البيتان"

ينظر الأغاني 73/20، تاريخ آداب اللغة العربية جورجي زيدان 82/2.

[2]- ينظر الأغاني 73/20، طبقات الشعراء لابن المعتز ص202 ط2 تحقيق عبد الستار فراج سنة1956م.

([3]) – الشمري: الماضي في الأمور والمجرب والمجد.

([4]) – الجلجل: الجرس الصغير.(ورواية أخرى البلبل الصياح)،

* – المستكن: المستتر..

* – المجحدر،الدحداح: معناهما: القصير.

ويظهر أبان في هذه الأبيات معجباً بنفسه وبعلمه وبأدبه، تياها إلى حد الغرور والافتتان.

"وبلَغَ أبا نواس هذه القصيدة فقال والله لأُعرفنه نفسه وأنشأ يقول:([1])

(بحر الخفيف) -

إنّ أولـــى بخســـة الحـــظّ منـــي	للمُســـــمىّ بالجلجـــــل الصَـــيّاحِ
فَبِلَــوا منـــه حـــين غَنّـــى لـــديهم	أخـــرس الصـــوتِ غيـــرَ ذي إفصـــاحِ
ثُم بالريش شَـبَه الـنفس فـي الخفّـــ	ـــةِ ممـــا يكـــون تحـــت الجنـــاحِ
فـــإذا الشّـــمّ مـــن شـــماريخَ رضـــوى	عنـــده خِفَـــة نَـــوى الســـبّاحِ([2])
لـــم يكـــن فيـــك غيـــرُ شـــيئين ممـــا	قلـــت مـــن بعـــد خلْقـــك الدحـــداحِ
لحيـــة ســـبطة وأنـــف طويـــل	وهبـــاء ســـواهُما فـــي الرّيـــاحِ
فيك مـــا يحمـــل الملـــوك علـــى الخـــر	قِ ويـــزري بالســـيد الجحجـــاحِ([3])
فيـــك تيـــه وفيـــك عُجـــب شـــديد	وطِمـــاح يفـــوقُ كـــلَّ طِمـــاحِ
بـــاردُ الطـــرفِ مُظلـــمُ الكِـــذْب تَيـــا	ه معيـــدُ الحـــديثِ غَـــثّ المُـــزاحِ

فلما انتهى الشعر إلى اللاحقي سُقط في يده، وعلم أنه إنْ بلغ ذلك البرامكة أسقط عندهم، وندمَ على ما كان منه، فَبعث إلى أبي نواس: أنْ لا تذعْها ولكَ حُكْمُك، فبعث إليه أبـو نـواس يقول: لو أعطيتني الدنيا ما كان بد من إذاعتها، فاصبر علىحرارة كَيها، واعرف قدْرك، قـال: فلما سَمِع جعفر شعر أبي نواس في اللاحقي قال: واللهِ لقد قرّقه بخمسِ خصال لا تقبله السـفلة على واحدة منها، فكيف تقبله الملوك؟

فقيل له: يا سيدّنا إنه كذب عليه.

فتمثل يقول:

قَـــدْ قيـــل ذلـــك إنْ حقـــاً وإنْ كَـــذباً	فمـــا اعتـــذارك مـــن شـــيءٍ إذا قـــيلا

وصار أبان بعد ذلك لأبي نواس كالعبد، لا يلقاه ولا يذكر له إلا يُجلَّه([4])

([1])- طبقات الشعراء لابن المعتز ص203 ط2 دار المعارف مصر 1956.

([2])- السباح والمسباح صيغة مبالغة من سبح سبحاناً أي قال: سبحان الله وكان تسبيحهم بالنوى يحُصون به عدد التسبيح.

([3]) – الجحجاح: المسارع إلى المكارم.

([4])- ينظر طبقات الشعراء لابن المعتز ص204.

ويقول في شيخ البرامكة يحيى:

(الطويل)

سَألتُ الندى: هل أنــت حــر؟ فقــال: لا ولكنني عبــدٌ ليحيــى بــنِ خالــدِ[1]

ونرى أشجع[2] يمدح جعفراً بصورة فيها نوع من التعالي على الخلفاء:

"بحر الكامل"

ذهبــت مكــارمُ جعفــرٍ وفعالُــه في النـــاس مثــل مــذاهبِ الشــمسِ

مِلــكٌ تسيــوس لــه المعــالي نفسُــها والعقــل خيــرُ سياســةِ الــنفسِ

فــإذا تراعتــه الملــوكُ تراجعــوا جهــر الكــلام بمنطــق همــسِ

ســاد البرامــكَ جعفــر وهــم الألــى بعــد الخلائــف ســادة الإنــسِ[3]

ويقول أيضاً في الفضل بن يحيى ويقدمه في الشجاعة والمكارم:

(الطويل)

وما قدّم الفضل بن يحيى مكانه على غيرهِ بل قدمته المكارم

لقد أرهب الأعداء حتى كأنما على كل ثغر بالمنية قائم[4]

فأعجب الفضل بهذه الأبيات وقال لأشجع كم أعطاك جعفر فقال عشرة آلاف درهم فقال الفضل أعطوه عشرين ألفاً.

"إن البرمكي هنا ينازع الخليفة في كل شيء وهذا ما كانت تستهدفه البرمكية". [5]

([1])- الأغاني، 34/17.

([2])- هو أشجع بن عمرو السلمي، يكنى أبا الوليد، نشأ باليمامة ثم مات أبوه، فقدمت به أمه البصرة، أجاد الشعر وعد في الفحول، مدح البرامكة وانقطع إلى جعفر ووصله إلى الرشيد ومدحه (ينظر الأغاني، 30/17)

([3])- المصدر نفسه، 33/17.

([4])- المصدر نفسه، 34/17.

([5])- الحياة الأدبية في البصرة حتى نهاية القرن الثاني الهجري د. أحمد كمال زكي ص419.

وما أحسن ما قال بعض الشعراء في الفضل بن يحيى:

"بحر الطويل"

لك الفضل يا فضل بن يحيى بـن خالـد	وما كل من يُدعى بفضـلٍ لـه فضـلُ
رأى الله فضلاً منك في النـاس واسـعاً	فسمّاك فضلاً فالتقى الاسـم والفعـل[1]

وإن دلت هذه الأعطيات على تشجيع البرامكة للشعر والشعراء فإنها تدل من ناحية أخرى أن الوزراء البرامكة كانوا يسيطرون على الشؤون المالية في الدولة ويتصرفون فيهـا كيفمـا يشاؤون ومتى يشاؤون.

حيث أنهم كانوا ينافسون الأسر العربية في الكرم والجاه، ومن الشخصـيات العربيـة المشهورة في العصر العباسي معن بن زائدة.

3. مأساة البرامكة

"وما زال الشعراء يتناشدون الوزير وابنيه جعفر ويحيى حتى سنة مائة وسبع وثمـانين للهجرة إذ نكبهم الرشيد نكبته المشهورة آمراً بقتل جعفر وصلب أجزاء جسده وحبسِ أبيه وأخيه وظلا في الحبس إلى أن ماتا في السجن". [2]

"ويقال إن البرامكة كانوا يريدون إبطال خلافة الرشيد وإظهار الزندقة وقيل إنما قـتلهم بسبب العباسة". [3]

وفي ذلك يقول أبو نواس:

ألا قـــل لامـــين الله	وابـــن القـــادة الساســـه
إذا مـــا ناكـــث ســـر	ك إن تفقـــده راســـه
فـــلا تقتلـــه بالســـيف	وزوجـــه بعباســـه [4]

"وذكر ابن الجوزي أن الرشيد سئل عن سبب قتله البرامكة فقال: لو أعلم أن قميصـي يعلم ذلك لأحرقته، وقد كان جعفر يدخل على الرشيد بغير إذن حتى كان يدخل عليه وهو فـي

([1]) – البداية والنهاية لابن كثير ج10/211. دار الفكر بيروت، 1978م.

([2])– العصر العباسي الأول د. شوقي ضيف ص329، الطبعة التاسعة، 1996م.

([3])– البداية والنهاية 10/189.

([4])– ديوان أبي نواس، تحقيق أحمد الغزالي، ص520.

الفراش مع حظاياه، وكان أحب أهله إليه أخته العباسة بنت المهدي، وكــان يحضــرها معــه، وجعفر البرمكي حاضر أيضاً معه، فزوجه بها ليحل النظر إليها، واشترط عليهِ أنْ لا يطأها". [1]

وذكر ابن خلكان أن الرشيد لما زوج أخته العباسة من جعفر، أحبها حباً شديداً، فراودته عن نفسه فامتنع أشد الامتناع خوفاً من الرشيد، فاحتالت عليه- وكانت أمه تهدي له في كلّ ليلة جمعة جارية حسناء بكراً- فقالت لأمه: أدخليني عليه بصفة جارية، فهابت ذلك فتهددتْها حتــى فَعلت ذلك، فلما دخلت عليه لم يتحقق وجْهها فواقعها فقالت له: كيف رأيت خديعة بنات الملوك؟ وحَمَلت من تلك الليلة، فدخل على أمه فقال: بعتيني والله برخيص، ويقال: إنّ بعض الجواري قد نَمّتْ عليها إلى الرشيد. [2]

"ونودي في بغداد: أن لا أمان للبرامكة ولا لمن آواهم، ثم شحنت السجون بهم، وقد أكثر الشعراء من المراثي بهم". [3]

ولقد كثر الجدال والكلام في الأسباب التي حملت الخليفة هارون الرشــيد علــى الفتــك بالبرامكة وقد اختلفت كلمة المؤرخين وأصحاب السير في السبب الذي دفــع الخليفــة هــارون الرشيد إلى نكبة البرامكة، فبعضهم يرى أنّ الرشيد غضب عليهم لوجود علاقات بين جعفر بن يحيى وبين أخته العباسة، وبعضهم يقول: إن ذلك بسبب إطلاق جعفر البرمكي يحيى بن عبد الله العلوي بعد أن أمره الرشيد بحبسه، وبعضهم يقول إن استبداد البرامكة بالملك وجمعهم الأموال قد استمال الناس إليهم، وأن ذلك أوغر صدر الرشيد عليهم وحمله على الايقاع بهم، أضف إلى ذلك ما أظهره البرامكة من الدالة على الرشيد مما لا تحمله نفوس الملــوك، وســعاية أعــداء البرامكة وبخاصة الفضل بن الربيع بهم عند الرشيد. [4]

---

[1]- البداية والنهاية لابن كثير، 189/10.

[2]- ينظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي311/1.

[3]- البداية والنهاية لابن كثير 190/10.

[4]- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي تأليف الدكتور حسن إبراهيم حسن. المجلد الثاني ص166، ص167.

وفي ذلك يقول ابن خلدون "وإنما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة، واحتجابهم أموال الجباية، حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل إليه، فغلبوه على أمره وشاركوه في سلطانه، فعظمت آثارهم وبعد صيتهم وعمروا مراتب الدولة".[1]

ويتهم البغدادي البرامكة، فيرميهم بالزندقة والميل إلى مذاهب المجوس، وقد زينوا للرشيد أن يتخذ في جوف الكعبة مجمرة يتبخر عليها العود، فعلم الرشيد أنهم أرادوا من ذلك عبادة النار في الكعبة[2].

وذكر ابن النديم أن البرامكة بأسرها – إلا محمد بن خالد بن برمك- كانت زنادقة"[3] ولذلك قال الأصمعي فيهم:

إذا ذكر الشرك في مجلس أثارت قلوب بني برمك
وإن تليت عندهم آية أتوا بالأحاديث عن مزدك[4]

وصفوة القول إن نكبة البرامكة كان نتيجة حوادث متتابعة، دفعت الرشيد إلى القضاء عليهم، وإن قصة العباسة وزواجها من جعفر لم تكن السبب الكافي للتخلص منهم ولكن السبب الأقوى هو السبب نفسه الذي أودى بالقائدين أبي مسلم وأبي سلمة لما تجاوزا حدودهم في تدبير شؤون الدولة ومحاولتهم الانقلاب على الحكم، وسيطرتهم على الشؤون المالية. ولعل ابن خلدون في مقدمته قد قارب الصواب عندما جعل سبب مقتلهم هو استبدادهم بأموال الدولة وسيطرتهم على الناحية الاقتصادية.

ولا غرو فإن نكبة البرامكة قد حملت في معناها الضعف في نفوذ الفرسِ وانتصار الحزب العباسي في العصر العباسي الأول.

([1]) – مقدمة ابن خلدون، تأليف عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ص15، ص16، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، مصر.

([2])– الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، ص270 دار الآفاق الجديدة، بيروت 1978م، ط3، 1978

([3])– الفهرست، ابن النديم، محمد بن اسحاق، ص473القاهرة. سنة 1348هـ.

([4]) – شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، ص337.

4. أثر المأساة في الشعر العربي في العصر العباسي الأول

ومهما تكن الأسباب التي أطاحت بالبرامكة، فإن ما حل بهم من سجن وتنكيل وصلب لم يذهبْ هدراً، ولم يمر على الناس الذين أحبوهم مروراً عابراً فكان طبيعياً أن يبكيهم الشعراء، وأن يذرفوا الدموع عليهم مدراراً؛ لما أغدقوا عليهم من النعم والعطايا والهبات.

ومن طرائف مراثيهم قول منصور النمري:

"مجزوء البسيط"

أُنْدبْ بني برمكٍ لِدُنيا ... تبكي عليهم بكلّ وادِ

كانت بهم بُرهةً عروساً ... فأضحتِ الأرضُ في حِداد [1]

وكان الفضل بن عبد الصمد الرقاشي منقطعاً إليهم، وطالما نوهوا باسمه وأجزلوا في عطائه، فلم ينكر هذا الجميل، فلما صُلب جسد جعفر بن يحيى على الجسر اجتاز به وهو على الجذع فوقف يبكي أحرَّ بكاءٍ بقوله:

"بحر الوافر"

أمين الله هب فضل بن يحيى ... لنفسك أيها الملك الهمام

وما طلبي إليك العفو عنه ... وقد قعد الوشاة به وقاموا

أرى سبب الرضا فيه قوياً ... على الله الزيادة والتمام

نذرت علي فيه صيام عام ... فإن وجب الرضا وجب الصيام

وهذا جعفر بالجسر تمحو ... محاسن وجهه ريح قتام

أقول له وقمت لديه نصبا ... إلى أن كاد يفضحني القيام

أما والله لولا خوفُ واشٍ ... وعينُ للخليفة لا تنامُ

لَطُفْنا حولَ جذعك واستلمنا ... كما للناس بالحجر استلامُ

فما أبصرتُ قبلَك يا ابن يحيى ... حساماً حتفه السيفُ الحسامُ

على اللّذات والدّنيا جميعاً ... ودولة آل برمكِ السّلامُ [2]

" فكتب أهل الأخبار بذلك إلى الرشيد فأحضره فقال: ما حَمَلك على ما قلت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كان إليّ محسناً فلما رأيته على الحال التي هو عليها حركني إحسانهُ فما ملكتُ

---

(1) – مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودي، 364/4 المجلد الثاني، الشركة العالمية للكتاب. مكتبة المدرسة، الدار الإفريقية العربية، الطبعة الثانية 1990م.

(2)-شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، 315/1.

نفسي حتى قلتُ الذي قلته قال: وكم كانَ يجري عليك قال: ألف دينارٍ في كل سنة قال: فإنا قد أضعفناها لك".[1]

ومن مراثيهِ في جعفر قوله:

"البسيط"

كم هاتف بك من باكٍ وباكية	يا طيب للضيف إذ تدعى وللجار
إنْ يُعدَم القطْر كنتَ المزنَ بارقةً	لمع الدنانير لا ما خيل الساري
لعمرُك ما بالموتِ عار على الفتى	إذا لم تصبه في الحياة المعايرُ
وما أحد حيّ وإن كان سالماً	بأسلمَ مما غيبته المقابرُ
ومن كان مما يُحدثُ الدّهرُ جازعاً	فلا بُد يوماً أن يرى وهو صابرُ
وليسَ لذي عيشٍ عن الموت مُقصّر	وليس على الأيام والدّهرُ غابرُ
وكل شبابٍ أو جديدٍ إلى البلى	وكلّ امرئ يوماً إلى الله صائرُ
فلا يبعدنّك الله عني جعفراً	بروحي ولو دارت عليّ الدوائر
فآليتُ لا أنفكُ أبكيك ما دَعت	على فننٍ ورقاءُ أوْطار طائرُ،[2]

وقال شاعرٌ مجهول وقد كتب هذه الأبيات على منزلٍ من منازل البرامكة:

"الكامل"

يا منزلاً لعب الزمان بأهله	فأبادهم بتفرق لا يجمع
إنّ الذين عهدتهم فيما مضى	كان الزمان بهم يضر وينفع
أصبحت تفزعُ من رآك وطالما	كنا إليك من المخاوف نفزعُ[3]

ولما قتل الرّشيدُ جعفراً وقفت امرأة على حمار فاره، فقالت بلسان فصيح والله يا جعفر لئن صرت اليوم آية، لقد كنت في المكارم غاية، ثم أنشأت تقول:

"بحر الطويل"

ولما رأيتُ السيف خالط جعفراً	ونادى منادٍ للخليفة في يحيى
بكيتُ على الدنيا وأيقنت أنمّا	قصارى الفتى يوماً مفارقة الدنيا
وما هي إلا دولةٌ بعد دولةٍ	تخوّل ذا نُعمى وتعقب ذا بلْوى

([1])- الأغاني 36/15.

([2]) – المصدر نفسه، 35/15.

([3]) – تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني، إبراهيم علي أبو الخشب، ص87.

إذا أنزلـــت هـــذا منَـــازلَ رِفعــةٍ | من الملك حطّت ذا إلى الغاية القصوى[1]

قال: ثم حركت حمارها فذهبت فكأنها كانت ريحاً لا أثر لها، ولا يعرف أين ذهبت.

ومن أروع أبيات الرثاء قول الشاعر:

سألت النــدى والجــود مــالي أراكمــا | تبــــدّلتما ذُلاً بعِـــزٍ مؤبــــد
وما بالُ ركــن المجــد أمســى مهــدّماً | فقــالا: أُصــبنا بــابن يحيــى محمــد
فقلـــت: فهـــلاّ مُتمـــا عنـــدِ مَوتـــه | فقــد كنتمــا عبديــه فــي كــل مَشــهد
فقـــالا: أقمنـــا كـــي نُعـــزى بفقــده | مســافة يــوم ثــم نتلــوه فــي غــد[2]

والناظر إلى شعر الرثاء الذي قيل في البرامكة، يجد أن معظم قائليه مجهولون؛ والسبب هو الخشية من عقاب الخليفة لكل من يذكرهم بخير.

فالشاعر ابن مناذر قد تعرض للضرب والإهانة بسبب مدحهم يوم كانوا وزراء للخليفة هارون الرشيد، فأصبحت قصيدته المشهورة في مدح البرامكة نذير شؤم عليه تلاحقه حتى بعد نكبتهم على يد الرشيد، فقد تعرض ابن مناذر للضرب والأذى، ويروي صاحب الأغــاني ذلـك قال: حدثنا ابن مناذر قال (حج الرشيد بعد إيقاعه بالبرامكة وحج معه الفضل بن الربيع وكـان مملقاً، فدخلت على الخليفة فبدرني الفضل قبل أن أتكلم فقال: يا أمير المــؤمنين، هــذا شــاعر البرامكة ومادحهم فتغير وجهه وعبس، فقال الفضل: مره يا أمير المؤمنين أن ينشدك قوله فيهم: أتانا بنو الأملاك من آل برمك.

فقال لي: أنشد، فأبيت فتوعدني وأكرهني فأنشدته، وقلت بعدها كانوا أولياءك يا أميـر المؤمنين أيام مدحتهم وفي طاعتك لم يلحقهم سخطك ولم تحلل بهم نقمتك ولم أكــن فــي ذلـك مبتدعا ولا خلا أحد من نظرائي من مدحهم وكانوا قوماً قد أظلني فضــلهم وأغنــاني رفــدهم فأثنيت، بما أولوا فقال الرشيد: يا غلام الطم وجهه فلطمت والله حتى سدرت وأظلم ما كان بيني وبين أهل المجلس ثم قال: اسحبوه على وجهه ثم قال: والله لأحرمنك ولا تركت أحداً يعطيـك شيئاً من هذا العام. وانصرفت وأنا أسوأ الناس حالاً في نفسي وحالي وعيالي.[3]

([1]) – البداية والنهاية لابن كثير 192/10.

([2])– دلائل الاعجاز، الإمام عبد القاهر الجرجاني، ص242.

([3]) – الأغاني 25/17، طبعة بولاق.

ومع أن صفحة البرامكة قد طويت بعد هذه النكبة المشهورة إلا أن مشاركتهم الفاعلة في الحياة العباسية قد نشأ عنها تحول أساسي في الحياة الاجتماعية، فأرادوا أن يحلوا محل أمراء العرب وسادتهم في توجيه الحياة الاجتماعية والأدبية، فاجتذبوا إليهم الشعراء يغدقون عليهم الأموال، ويهيئون لهم من ألوان الحياة ما يدفعهم إلى التحدث عنها ووصفها، حتى لقد أغروهم بالحيلة بالثورة على تقاليد الشعر القديمة. (1)

وظهر أسلوب المبالغة والتهويل في مدح البرامكة، فأسبغ الشعراء عليهم ثوباً من التقديس لم يكن معروفاً في الشعر العربي من قبل، على أن أمراء البرامكة وقفوا نداً للخلفاء العباسيين، وسيطروا على معظم جوانب الحياة قبل البطش بهم.

---

(1)- ينظر الشعر في بغداد. أحمد عبد الستار الجواري ص133. دار الكشاف للطباعة والنشر والتوزيع 1956م.

ب- الصراع الأدبي

ثورة أبي نُواسَ على الأطلال

1. الشعر في العصر الجاهلي
2. مفهوم الأطلال
3. تفسير ظاهرة الأطلال قديماً وحديثاً
4. التزام الشعراء الإسلاميين والأمويين والعباسيين بالأطلال
5. ثورة أبي نواس على الأطلال
6. الآثار الفنية للمقدمة الخمرية عند أبي نواس
7. رأي الباحثين في ثورة أبي نواس على الأطلال

1. الشعر في العصر الجاهلي:

ظهر الشعر العربي في العصر الجاهلي في القرن الخامس الميلادي قبل الإسلام، والقصائد الشعرية التي ظهرت قصائد ناضجة مكتملة التقاليد والمقومات الفنية، الأمر الذي دفع الباحثين إلى القول بأن هذه القصائد لا يمكن أن تمثل أولية الشعر الجاهلي، وإلا فأين آثار الجاهلية الأولى، وأين هذا الشعر الكثير الذي أشار إليه الرواة والشعراء في الجاهلية الثانية مثل قول عنترة بن شداد في مطلع معلقته:

هل غادر الشعراء من متردم　　　أم هل عرفت الدار بعد توهم؟

ويقصد عنترة من قوله: هل ترك الشعراء الذين سبقوه شيئاً لم يقولوه؟ فإن جميع ما نقل إلينا من الشعر في غاية الإتقان وزناً وقافية ويجمع بين رقة العبارة ودقة الإشارة ومتانة التراكيب، فليس من الممكن أن تكون القصائد التي وصلتنا تمثل أولية الشعر الجاهلي، فلا بد أن يبدأ الشعر قليلاً ثم يكثر وضعيفاً ثم يتقوى.[1]

فالشعر ديوان العرب، ولكنه لم يصل إلينا منه إلا النزر اليسير لأسباب مختلفة منها ضعف التدوين واعتماد العرب في الجاهلية على المشافهة ويقول أبو عمرو ابن العلاء:

"ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير".[2]

وقد نسب أدباء العرب بناء القصيدة إلى المهلهل، وقالوا إنه أول من قصد القصائد.[3]

ومضت القصيدة العربية بعد ذلك في تطورها الفني، وشهد القرنان الخامس والسادس الميلاديان حركة تطور وازدهار ضخمة نهض بها كبار الشعراء الذين خلدهم تاريخ الشعر العربي من أمثال امرئ القيس وطرفة بن العبد والنابغة الذبياني وزهير ابن أبي سلمى وعنترة بن شداد والأعشى.

وأخذت هذه القصيدة على أيديهم صورتها التقليدية فهي تبدأ بمقدمة أكثر ما تكون طللية، يصف فيها الشاعر الأطلال وصاحبة الأطلال، ويصور مشاعر الحب والوفاء التي يحملها لها في قلبه، ويسجل أحزانه ولوعته التي خلفتها له بعد رحيلها، ويرسم صوراً رائعة لوحشة هذه الأطلال بعد أن كانت عامرةً بأهلها، ثم يخرج الشاعر إلى وصف رحلته أو رحلة صاحبته في

([1]) – ينظر الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، حنا الفاخوري، ص132، دار الجيل، بيروت، ط1، 1986.

([2]) – طبقات فحول الشعراء، لابن سلام الجمحي، ص10.

([3]) – الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، حنا الفاخوري، ص137.

أعماق الصحراء[1]، والرحلة شديدة اللصوق بالناقة أو الفرس فيصفها ثم ينتقل إلى الغرض الشعري الذي يريده.

2. مفهوم الأطلال:

هي الآثار التي تخلفها القبيلة وراءها بعد الرَّحيل، وقد دأب الشعراء الجاهليون على بدء قصائدهم بوصف تلك الآثار من خلال صلتها بالمحبوبة التي يحملون لها أعمق المشاعر، فيذكرون أيامهم الماضية معها، ويحنّون إليها، ويتأملون هذه الآثار التي خلت من أصحابها ودرست بعدما كانت بالأمس تمتلئ حياةً وحركة، ويقف الشاعر يبكي ويطلب من رفيقه أو رفيقيه أن يبكيا معه.

وتأتي هذه المقدمة الطللية في القصيدة تمهيداً لموضوعات أخرى يود الشاعر تناولها.

ويرى كثير من الباحثين أن امرأ القيس هو رائد المقدمة الطللية في الشعر الجاهلي، وأنهَ أول من وقف على الأطلال وبكى واستبكى، وحدّد المنازل تحديداً دقيقاً والذي يقول في مطلع معلقته اللامية: (بحر الطويل)

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل   بسقْط اللوى بين الدّخول فحومل[2]

بيد أن امرأ القيس يقول في بيت آخر من الشعر أنه قلد شعراء سبقوه في وصف الأطلال مثل ابن خِدام وغيره:

(بحر الكامل)

عوجا على الطلل المحيل لعلنا   نبكي الديار كما بكى ابنُ خِذام[3]

3. تفسير ظاهرة الوقوف على الأطلال قديماً وحديثاً:

تعد المقدمة الطللية من أهم الموضوعات التي ترددت في القصيدة الجاهلية والعربية، وقد وردت عدة محاولات لتفسير هذه الظاهرة منها: ما نقله ابن قتيبة في كتابه الشّعر والشعراء

([1]) – ينظر كتاب حركات التجديد في الأدب العربي، الفصل الأول العصر الكلاسيكي أصول وتقليد د. يوسف خليف، ص25، دار الثقافة للنشر، 1979.

([2]) – ديوان امرئ القيس تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص8 دار المعارف، مصر، 1958م، 1377هـ.

([3])– طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ص33، تحقيق محمود ومحمد شاكر، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر.

بقوله " وسَمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصِّدَ القصَيد إنّما ابتدأ فيها بذكر الديار والدِّمَن والآثار، فبكى وشكا، وخاطب الربع، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها، إذ كانت نازلة العمد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر، لانتقالهم من ماء إلى ماء، وانتجاعهم الكلأ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان؛ ثم وصل ذلك بالنّسيب، فشكا شدةَ الوجد وألم الفراق، وفرط الصّبابَة والشوق ليميِّلَ نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه لأنّ التشبيبَ قريب من النفوس لائط بالقلوب، لما جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل، وإلف النّساء فليس أحد يخلو من أن يكون متعلقاً فيه بسبب، وضارباً فيه بسهم، حلال أو حرام، فإذا علم أنه استوثق من الإصغاء إليه، والاستماع له، عقّبَ بإيجاب الحقوق، فرحل في شعره وشكا النّصب والسّهر وسرى اللّيل، وحَرّ الهجير، وإنضاء الراحلة والبعير". [1]

و يرى الدكتور القيسي: أنّ بكاء الأطلال ليس عاطفة خاصة ولا تَجربة وجدانية ذاتية، بل لحظة حزينة أمْلاها على الشّاعر شعور الجماعة التي ينتمي إليها بالحرمان من الوطن، وبالحنين إلى الاستقرار والمقام الثابت الذي يستطيع فيه أن يقيم بيتاً، يخلّدُ فيه ذكرياته، ويسترجع مقام صباه، وهو في الواقع لا يواجه ذكرى حبه فحسب، وإنّما تتداعى في ذاكرته صور شبابه الذّاهب، وهذان الدافعان يكفيان لخلق عاطفة تحمل الحنين والشوق.[2]

وترى الدكتورة عَزّة حسن أن المقدمات الطللية أو الغزلية تمثل جزءاً من حياة العربي الجاهلي، وهي تقوم أساساً على صراع الإنسان ضد الطبيعة للتغلب على هذه الحياة والبَقاء في مواجهة القسوة والفناء.[3]

والدكتور يوسف خليف يرى بأنّ مثل هذه المقدمات كانت فرصة للشاعر كي يعبر عن نفسه ويخفف من زحمة الالتزامات القبلية ليحقق وجوده الضائع.[4]

"ومن المعروف أن المقدمة الطللية لم تكن الصورة الوحيدة لمقدمات القصائد الجاهلية، وإنّما كان هناك صور أخرى لهذه المقدّمات، وإن تكن المقدمة الطللية أكثرها شيوعاً وانتشاراً، وأقربها إلى نفوس الشعراء الجاهليين." [5]

([1]) – الشعر والشعراء، ابن قتيبة، 20/1، 21. تحقيق أحمد شاكر، طبعة دار المعارف، مصر، 1967م.

([2])– ينظر كتاب الطبيعة في الشعر الجاهلي، د. نوري حمودي القيسي ص255 ، دار الارشاد، بيروت، 1970م،

([3]) – ينظر كتاب شعر الوقوف على الأطلال، عزة حسن، ص:5، طبعة الترقي دمشق، 1968م.

([4])– ينظر دراسات في الشعر الجاهلي، يوسف خليف، ص118، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 1981م.

([5])– المرجع نفسه، ص:119.

فهناك مقدمات غزلية خالصة لا صلة لها بالأطلال على نحو ما نرى في مقدمة الأعشى لمعلقته: (البسيط)

ودع هريرة إنّ الركـــبَ مرتحــــل   فهل تطيـــق وداعاً أيها الرجـــــل؟[1]

وهناك مقدمات خمريّة على نحو ما نرى في مقدمة عمرو بن كلثوم لمعلقته المشهورة: (الوافر)

ألا هُبّـــي بصــــحنك فاصـــبحينا   ولا تبقـــي خمـــور الأنـــدرينا[2]

وهناك مقدمات فروسيّة يتحدث فيها الشاعر عن فروسيته ومـا يـدور بـين الشـاعر وصاحبته من حديث حولها مثل قصيدة عروة بن الورد: (الطويل)

أقلّـي علـيّ اللـوم يـا ابنــةَ منــذر   ونامي فإن لم تشتهي النـوم فاســهري[3]

" ومن الواضح أنّ المقدّمات للقَصائد تدور حول ثلاثة دوافع أساسية: المرأة، والخمـر، والفروسيّة وهي كلّها مُتع الحياة الجاهلية التي كان فتيان العـرب يعيشـون لهـا ويحرصـون عليها."[4] وقد عبر عنها الشاعر طرفة بن العبد بقوله: (الطويل)

ولولا ثـلاثٌ هـنّ مـن عيشـة الفَتـى   وجـدّك لـم أحفـلْ متـى قـامَ عُـوّدي

فمـــنهن سَـــبقي العـــاذلات بشَـــربة   كميـتٍ متـى مـا تُعـلَ بالمـاء تزبـد

وكَـــرِي إذا نـــادى المُضـــاف مُحنبـــاً*   كَسيـــدِ الغضَـــا نبهتـــه المتَـــورد[5]

4. التزام الشعراء الإسلاميين والأمويين والعباسيين بالمقدمة الطلليّة

([1]) – شرح ديوان الأعشى تحقيق كامل سليمان، ص148، ط1.

([2]) – طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجحمي، ص127. شرح محمود محمد شاكر طبع دار المعارف، 1952م.

([3]) – جمهرة أشعار العرب، أبو زيد القرشي، محمد بن أبي الخطاب، ص: 114، دار السيرة، بيروت: 1978، ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، دراسة وتحقيق وشرح أسماء أبو بكر محمد، ص67، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1: 1992م.

([4]) – دراسات في الشعر الجاهلي، د. يوسف خليف، ص:119.

* – المحنب: الذي في يده انحناء.

([5]) – ديوان طرفه بن العبد، شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق، درية الخطيب، لطفي الصقال، مطبعة دار الكتاب، ص32، 1975م، شرح المعلقات السبع، تحقيق بدر الدين حاضري، ص95، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1998م.

طربت وما شوقاً إلى البيض أطربُ ولا لعباً منّي وذو الشيب يلعب
ولم يُلهني دارٌ ولا رسم منزلٍ ولم يتطربني بنانٌ مخضّبُ*
ولا السانحات* البارحات* عشيةً أمرّ سليم* القرن أم مر أعضبُ*
ولكن إلى أهل الفضائل والتقى وخير بني حواء والخير يطلب
إلى النفر البيض الذين بحبهم إلى الله فيما نابني أتقربُ
بني هاشمٍ رهط النبي فإنني بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب[1]

وهذا الشعر المذهبي يعدّ شيئاً جديداً في الشعر العربي، فالكميت في هذه الأبيات يدعو إلى مذهب التشيع صراحة معتمداً في أشعاره على الحجج والجدال والمنطق، فجاءت أشعار الكميت أشبه بمقالات سياسيّة.

وإن كان الهدف قد اختلف عند الكميت الأسدي، ولكنّ محاولته لم يكتب لها النَجاح.

"أما أبو نواس فقد دعا بقوة إلى التجديد في عمود الشّعر، وجهر بهذه الدعوة؛ لأنه أحسّ أن التقليد لم يعدْ يلائم تلك الحضارة الجديدة بما جاءت من ضروب الطرب وألوان الفتنة." [2]

ويرى الدكتور يوسف خليف "أن أبا نواس كان أهمّ من حمل رايات الثورة ورفع شعاراتها، "فقد اتخذ من خمرياته مجالاً لمهاجمة المقدمة الطللية والاستغناء عنها وإحلال المقدمات الخمرية مكانها؛ لأنها لم يَعُد لها مكان في الحياة الحضاريّة الجديدة، فالحياة تغيرت، ولم يعد هناك حياة بدويّة ومعيشة صحراويّة، وليس فيها ظعن ولا ارتحال". [3]

هذا الدافع من ناحية اجتماعية، ومع هذا العامل كان هناك عامل آخر، وهو "تلك النزعة الفارسيَة التي كانت تملأ نفس أبي نواس أحياناً وتدفعه إلى الشعوبية، فهو يهاجم التراث الفني

---

* بنان مخضب: كناية عن النساء.
* السانحات: الذي يجيء عن اليسار وهذا دليل التشاؤم.
* البارحات: الذي يجيء عن اليمين، وهذا دليل التفاؤل.
* سليم القرن: الذي يتيمن به.
* الأعضب: المكسور أحد قرنيه، وهو الذي يتشاءم به.

([1])شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي، ص43، تحقيق د. داود سلوم ود. نوري حمودي القيسي، ط2، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت، 1986م.

([2]) ينظر مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول، د. حسين عطوان، ص:99.

([3]) – في الشعر العباسي نحو منهج جديد، د. يوسف خليف، ص:65.

للإنسان العربي ويسخر من حياة العرب ويتندّر عليهم بل في بعض الأحيان يتخذ ذلك مادةً لمهاجمتهم والحملة عليها، في مقابل الانتصار للفرس وتمجيدهم والتغني بحضارتهم". [1]
فهذه دعوته صريحة لترك الأطلال:

(الرمل)

قـل لمـن يبكـي علـى رسـمٍ دَرَسْ — واقفـاً مـا ضـر لـو كـان جَلَـسْ
اتـرك الربـع وسـلمى جانبـاً — واصـطبحْ كرخيـةً مثـل القَبَـسْ
بنـتُ دَهْـرٍ، هُجِـرتْ فـي دَنِّهـا — ورمـتْ كـلَّ قَـذاةٍ ودنَـسْ
كَـدَمِ الجـوفِ، إذا مـا ذاقهـا — شـاربٌ قطَّـبَ منهـا وعَـبَسْ. [2]

هذه المقدمة الخمرية التي حاول أبو نواس فيها التجديد ويجعل الخمرة أجمل شيءٍ عنده في الحياة، فهي تبعده عن الهموم وتواسيه فيقول في هذا المعنى:

(الكامل)

بكّـرِ صـبوحك بابنـة الكَـرَمِ — بِمُدامـةٍ تعـدي علـى الهَـمِّ
منفيّـة الأقـذاء صـفَّقَها — كـرُّ الليـالي البـيضِ والسُّـحَمِ [3]

6. الآثار الفنية للمقدّمة الخمريّة عند أبي نواس

إنّ أهَم ما تتصف به المقدّمة الخمريّة عند أبي نواس نُعُومة ألفاظها، ورقّتها، وسهولة معانيها وطرافتها، ورشاقة موسيقاها وخفتها واقترابها من الشّعبية فيقول في مدحه العباس ابن عبد الله الهاشمي:

(1) – في الشعر العباسي نحو منهج جديد، د. يوسف خليف، ص: 66.
(2) – ديوان أبي نواس، تحقيق بدر الدين حاضري، محمد حمامي، ص: 326.
(3) – المصدر نفسه، ص: 493.

(مجزوء الرمل)

غَـــــرّدَ الـــــديكُ الصَــــــدوح   فاســــقني طـــابَ الصَـــيَوحُ

واســـقني حتّـــــى تراني   حســـــناً عنـــدي القبـــيحُ

قهـــــوةً تـــــذكرُ نوحــــاً   حـــين شـــاد الفُلـــكَ نــوحُ

نحـــن نخفيهــــا، ويـــأبى   طيـــبُ ريــــحٍ، فتفـــوحُ

أنـــا فـــي دنيـــا مــن العبـــاس   أغــــــــــــــدو وأروح

هاشـــــمي عبـــد لـــــي   عنـــيده يغلـــو المــديحُ

علـــم الجـــود كتـــاب   بـــين عينيـــه يلـــوحُ

كُــلّ جـــودٍ يـــا أميـــري   مـــا خـــلا جـــودك ريـــحُ

بُـــحَّ صـــوتُ المـــالِ مِمـــا   منـــك يشــكو ويصـــيحُ

صُـــورَ الجـــود مثـــالاً   فَلـــه العبـــاسُ روحُ

فَهْـــو بالمـــال جـــوادٌ   وهْـــو بـــالعرْضِ شـــحيحُ[1]

فالخمرة المفضلة عند أبي نواس هي التي تجمع بالإضافة إلى صـفة القـدم، الأصـل الأجنبي وخاصة الخمرة الفارسية، ويبدو أن الخمرة تراث أجنبي أخـذه العـرب مـن الأمـم المجاورة كالفرس والروم. [2]

فأبو نواس يذكر أن خمرته في الأبيات المذكورة من عهد نوح فيقول:

قهـــــوةً تـــــذكرُ نوحــــاً   حـــين شـــاد الفلـــك نــوح

يقول أبو نواس منكراً أن الخمرة من أصل عربي:

تراث أنو شـروان كسـرى ولـم تكـن   مواريـث مـا أبقـت تمـيمٌ ولا بكـر[3]

وهذه الأبيات المذكورة فنياً تنساب انسياباً، فهي أشبه بمقطوعة موسيقية راقصـة؛ لمـا تمتاز به من خفة وزنها، ومن سهولة كلماتها، وهذه النغمات التي تتولد من تكرار حرف الحـاء في أكثر أبياتها. [4]

([1]) – ديوان أبي نواس، تحقيق بدر الدين حاضري، محمد حمامي، ص: 168.

([2]) – ينظر مروج الذهب المسعودي، 180/1.

([3]) – ديوان أبي نواس ، ص102 تحقيق أحمد الغزالي.

([4]) – مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول، د. حسين عطوان، ص:120.

"والجانب القصصي في خمريات أبي نواسٍ طور من التَجديد في شعر الخمرة فقصيدته الخمرية التي سَماها بعض الدارسين بالتائية الكبرى وتقع في ثلاثةٍ وثلاثين بيتاً، أوفى أداة فنية وأكمل أبعاداً وأقرب إلى مفهوم القصة وقد صَدّرها أبو نواس بمقدمة يمتدح فيها إخوانه "فتية كمصابيح الدّجى" مرتفعاً بهم إلى مستوى الأبطال مع صباحة الوجوه والكرم والشجاعة والسؤدد والمروءة والأصالة في النسب". [1]

وهذه أبيات من تلك التائية[2]:

(البسيط)

وفيتـةٍ كمصـابيح الـدّجى غُـرر[3] — شُم الأنوف، من الصـيد[5]المصـاليت[6]

صالوا على الدّهرِ باللهو الـذي وصَـلوا — فلـيس حَـبلُهُم منـه بمبتـوت[7]

إذا بكـافرةٍ شـمطاء[4] قـد بَـرزَتْ — فـي زيٍّ مختشـعٍ لله، زِمّيـت

قالت: من القـومُ؟ قلنـا: مَـن عَـرفْتهمُ — من كُلّ سَـمْحٍ، بفـرط الجـود منعـوتِ

وفي قصيدة أخرى عن الخمرة يقول أبو نواس: (البسيط)

يا خاطـب القهـوة الصـهباء يمهرُهـا — بالرطْـل يأخـذ منهـا مـلأه ذهبـا

قَصّـرْتَ بـالراح فاحـذر أن تسـمعها — فيحلـف الكـرْمُ ألا يحمـل العنبـا

إنـي بـذلت لهـا لمـا بصـرتُ بهـا — صاعاً مـن الـدّر واليـاقوت مـا ثُقبـا

فاستوْحشَـتْ وبكـتْ فـي الـدنّ قائلـةً — يـا أمُ ويحْـك، أخشـى النـار واللهبـا

فقلـت: لا تحذريـه عنـدنا أبـداً — قالت: ولا الشمس؟ قلت الحَـرُّ قـد ذهبَـا

قالت: فمَن خـاطبي هـذا؟ فقلـت: أنـا — قالـت فبعلـي؟ قلـت: المـاء إن عـذبا

قالـت: لقـاحي فقلـت الـثلج أبْـردُهُ — قالت فبيتـي فمـا أستحسـن الخشـبا[8]

([1]) – حركة الشعر العباسي في مجال التجديد بين أبي نواس ومعاصريه، د. حسين خريس2/97، 98.

([2])– ديوان أبي نواس، تحقيق بدر الدين حاضري، محمد حمامي، ص119، الطبعة الأولى، 1992م.

([3]) – غرر: البيض الوجوه.

([4]) – شمطاء: عجوز.

([5]) – الصّيد: جمع أصْيد وهو الرافع رأسه كبراً.

([6]) – المصاليت، جمع مصلات وهو الشجاع.

([7]) – مبتوت: مبتور.

([8]) – ديوان أبي نواس، تحقيق أحمد الغزالي، ص91.

فهذا الحوار الناطق الذي يجري بين الخمرة ومن يرتادها يمثل قدرة الشاعر أبي نواس على السرد القصصي الجميل فقد بعث في هذه القصيدة المذكورة حياة وحيوية وحركة.

وليس هذا كل ما تتصف به المقدّمة الخمريةِ من التجديد، فقد حذف أبو نواس الأجـزاء التقليدية التي كانت تلي المقدّمة الطللية وغيرها من وصف الصحراء والناقة والرحلة والمعارك التي كانت تتشبُ بين حُمر الوحش وكلاب الصيد، وشرع في المديح مباشرة بدون التماس لحسن تخلّص أو تمهيدٍ للانتقال إلى الموضوع الذي بصدده. (1)

لكن أبا نواس لم يلتزم في بقية الأغراض ما التزمه في شعر الخمرة ففي قصيدة المدح قد حافظ على التقاليد القديمة وظهرت المقدمة الطللية في شعره، يقول مادحاً الخليفة الأمـين:

(الكامل)

يـا دارُ مـا فعلـتْ بـكِ الأيـامُ	ضـامتك والأيـام لـيس تُضـام
عـرم الزّمـان علـى الـذين عهـدتهمُ	بِـكِ قـاطنينَ وللزَمـان عُـرامُ(2)

وله قصيدة يمدح بها الخليفة هارون الرشيد تظهر فيها المقدمة الطللية: (الطويل)

لقد طـال فـي رسـمِ الـدّيار بكـائي	وقـد طـال تَـرْدادي بهـا وعنـائي
فلما بَـدا لـيَ اليـأسُ عَـدّيْتُ نـاقتي	عـن الـدّار واسـتولى علـيّ عَزائـي
إلـى بيـت حـانٍ لا تهـر كلابُـه	علـيَّ، ولا ينكـرْنَ طـولَ ثـوائي
وكـأس كمصـباح السـماء شـربتُها	علـى قُبلـة أو موعـدٍ بلقـاءِ
تبـارك مـن سـاسَ الأمـور بعلمـهِ	وفضـل هارونـاً علـى الخلفـاءِ(3)

ويعلق الدكتور محمد هدارة على هذه القصيدة بقوله "ويبدو أنّ هذا المذهب الجديد فـي شعر المديح، قد صَدَم الشعورَ الدينيّ عند الخليفة هارون الرشيد، إذْ يذكرُ لَنا الرواةُ أنَ الخليفة الرشيد قد تغيّر وجهه عند سماع تلك الأبيات في وصف الخمرِ وذكر الحـاني، وأراد أنْ يـأمر بأبي نواس، لولا أنه انتقل إلى مديحه الذي سَر الخليفة، ويبدو أنّ هذه القصيدة كانت أوّل قَصيدة على المذهب الجدَيد يمدح بها خليفة".(4)

---

(1) – ينظر كتاب مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول، د. حسين عطوان، ص: 120.

(2) ديوان أبي نواس، تحقيق بدر الدين حاضري، محمد حمامي، ص510، عرام: الشدة والشراسة.

(3) – المصدر نفسه، ص: 45.

(4) – اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، د. محمد مصطفى هَدارة، ص: 155، طبعة دار المعارف، القاهرة، 1963.

ولعل الدكتور محمد هدارة قصد من هذا الكلام أن الخليفة هارون الرشيد متمسك بالتراث العربي القديم وبالمديح القديم ولا يريد لهذا الشعر الجديد أن ينتشر ويسود؛ لأنه لا يتلاءم مع التعاليم الإسلامية.

- ويقول أبو نواس في قصيدة أخرى تظهر فيها الخمرة والأطلال معاً

يا ابنة الشيخ اصبحينا	ما الذي تنتظرينا
قد جرى في عودكِ الما	ءُ فأجري الخمر فينا
إنما نشربُ منها	فاعلمي ذاك يقينا
كل ما كان خلافاً	لشراب الصالحينا
واصرفيها عن بَخيل	دان بالإمساك دينا
طوّل الدهرُ عليه	فيرى الساعة حينا
قف بربع الظاعنينا*	وابك إن كنت حزينا
واسألِ الدارَ متى فا	رقتِ الدار القطينا*
قد سألناها وتأبى	أن تجيب السائلين[(1)]

ويعلق الدكتور كمال أبو ديب على هذه القصيدة متبعاً المنهج البنيوي في الكشف عن وجهة نظر أبي نواس في الأطلال، ويذكر أن الناظر إلى هذه القصيدة يستنتج أن الشاعر لم يرفض الأطلال، ويعد الدكتور أبو ديب أن هذا الحكم يتصف بالعجز والقصور، فالقصيدة تتألف من قسمين: القسم الأول تحدث فيه أبو نواس عن الخمرة ويضم الستة الأبيات الأولى من القصيدة، والقسم الثاني، تحدث فيه عن الأطلال ويضم الثلاثة الأبيات الأخيرة من القصيدة والشاعر أبو نواس قد استخدم التصريع مرتين وهذا يدل على الاستقلالية لكل قسم، وعلى صعيد أعمق فإن الأطلال في القصيدة المذكورة، تمثل عالم الجدب والجفاء أما الخمرة فإنها تمثل عالم الرواء والاخضرار. [(2)]فأظهر أبو نواس أهمية الخمرة، وأضعف من شأن الاطلال وأهميتها عن طريق الموازنة بينهما.

- الظاعنين: الراحلين. *القطين: الساكنون.

([1]) - ديوان أبي نواس، تحقيق أحمد الغزالي، ص31.

([2]) - ينظر جدلية الخفاء والتجلي دراسات بنيوية في الشعر، كمال أبو ديب، ص171، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979م.

ولعلّ روح العصر العباسي الأوّل والتي تمثلت في إرادة التغيير والحريّة الدينية والاجتماعية، ساهمت في إحداث التّجديد في الفن الشعري، كما أنّ انتقال مركزِ الخلافة من دمشق إلى بغدادَ بالقرب من الفرس كان له الأثرُ الكبيرُ في التأثّر بالحضارة الأجنبية وخاصة أن كثيراً من شعراء العرب الذين هم من أصل فارسي قد حَملوا لواء التغيير والتجديد في الشعر العربي، وظهر ذلك في أشعارهم.

7- رأي الباحثين في ثورة أبي نواس على الأطلال

ينسب الأدباء حركة التجديد الحضاري إلى العصر العباسي الأول، وصارت حركة عارمة في هذا العصر، تتحدى التراث القديم تحدّيا سافراً.

"وينسب الأدباء هذه الحركة التجديدية – في كثير من الأحيان– إلى الحسن بن هانئ، المعروف بأبي نواس، حيث عناصر التجديد ظهرت مجتمعة في شعره، مما حملَ الناس على منحه زعامة هذه الحركة". (1)

فمن أين جاءت كلمة حضاري لهذه الحركة؟

إنّ كلمة الحضارة تجمع العوامل التي أدت إلى إحداث التجديد والتغيير في المجتمع فالتحضر في المجتمع العباسي هو الذي طَوّر الأدب.

على أن "جمهور الأدباء والنقاد القدماء رفضوا هذا التجديد في الموضوعات والمعاني والصور، بل عارضةَ النقاد، وخاصة من غلب عليهم الاتجاه اللغوي؛ لأنهم كانوا يعدّون القصيدة الجاهلية مثالاً يحتذى به في كل زمان ومكان". (2)

وفي العصر الحديث، وقف الدارسون من ثورة أبي نواس على طرفي نقيض، فمنهم من قال: إنّ مذهبه الجديدَ ليس مذهباً شعرياً وفنياً فحسب، وإنما هو مذهب شعوبي أيضاً، إذ كانت غايته إعلاء الفرس ورفعهم والحط من شأن العرب وتحقيرهم، ومنهم من دافع عن أبي نواس وعدّ ثورته التجديدية ثورة حضارية خالصة.

يقول الدكتور طه حسين عن هذه الثورة "كانَ يذمُّ القديمَ لا لأنه قديم بل لأنه قديم وعربيّ، ويمدحُ الحديثَ لا لأنه حديث، بل لأنه حديث ولأنه فارسي، فهو إذن، مذهب تفضيل الفرس على العرب، مذهب الشعوبية المشهور". (3)

---

(1) – حركات التجديد في الأدب العربي، الفصل الثالث، حركة التجديد الحضاري، ثورة أبي نواس، د. حسين نصار، ص55.

(2) –المرجع نفسه، ص61.

(3) – حديث الأربعاء، طه حسين 90/2، دار المعارف، مصر: 1964م.

ويرى الدكتور محمد نبيه حجاب أنّ "أبا نواس كان يقصد من النّعي على القدامى إلى غرضين أساسيين أولهما: تَمجيد الخمرة وإشاعة الإباحيّة.

وثانيهما: الحَطُّ من شأنِ العربِ وآدابهم، حتّى لا يبقى لهم مجال بعد ذلك من فَخرٍ بهذا التراثِ القديم".[1]

والحقيقة أن خمريات أبي نواس قد استوعبت جميع النزعات المنحرفة في العصر العباسي الأوّل مثل الشعوبية والزندقة والمجون واللّهو.

كذلك يرى الدكتور محمد مندور أنه " من العوامل الفاعلة في إخفاق أبي نواس في دعوته إلى التجديد، أنّها لم تكنْ ثورةً على الأصول والرسوم الفنية الجاهلية فحسب، بل لأنها كانت مشوبةً بروح الشعوبية والغضّ من شأن العرب". [2]

ومن أشعار أبي نواس في الحط من شأن العرب والاستهزاء بأسلوبهم في الشعر قوله:

(البسيط)

عاجَ الشقيُ على دارٍ: يُسائلها	وعُجْتُ أسألُ عن خمَارة البَلَدِ
لا يُرقِئ اللهُ عَينَيْ مَن بكى حَجَراً	ولا شَفى وَجْدَ مَن يَصبو إلى وَتَدِ
قالوا ذكرتَ ديارَ الحَيّ من أسدٍ	لا دَرّ دَرُّك، قل لي مَن بَنو أسَدِ
ومَنْ تَميم ومَن قيس وإخُوتُهم	ليسَ الأعاريبُ عند اللهِ مِنْ أحَدِ[3]

ولقد بلغت به الثورة من خلال هذه الأبيات المذكورة حداً لم يعدْ قادراً على الاستماع إلى الشعراء الذين يصفون الأطلال والمنازل الخالية، ليس هذا فحسب، وإنّما يدعو عليهم بالبؤس والشقاء.

وعلى رأس الفريق الثاني الدكتور شوقي ضيف الذي حاول أن يخفف تهمة الشعوبية الملصقة به قائلاً: "وأبو نواس لا يشغب على العربَ شغبَ شعوبية كشعوبية بشّار، فشعوبيته من لون آخر، ذلك أنّه لا يوازن بين خشونة البدو وحضارة الفرس كما يصنع بِشار، إنّما يوازن بين تلك الخشونة والحضارة العباسيّة الماديّة وما يجري فيها من خمرٍ ومجون، كان يعكِفُ عليها

---

(1) – مظاهر الشعوبية في الأدب العربي، د. محمد نبيه حجاب، ص:291.

(2) – النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة مترجم عن الأستاذين: لانسون وماييه، د. محمد مندور، ص: 79، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.

(3) – ديوان أبي نواس، تحقيق بدر الدين حاضري، محمد حمامي، ص:177.

عُكوفاً، ويأخذ ذلك عنده شكل ثورة جامحة على الوقوف بالرسوم والأطلال وبكاء الدّيار، ودعوة حارة إلى المتاع بالخمر" [1]على شاكلة قوله:

(البسيط)

كم بين ناعتِ خمرٍ في مَشاكرها	وبين باكٍ على نؤيٍ ومنتضد
دَعْ ذا، عَدِمتُك واشربها مُعتقةً	صفراء تفرق بين الروح والجسد[2]

ومن الباحثين الذين دافعوا عن أبي نواس وثورته التي تتطلبها روح العصر وحداثته الدكتور حسين عطوان ويعلّق على هذه الثورة بقوله: " إنّ دعوته إلى الجديد كانت ثورةً حضاريةً خالصة لا تشوبها شائبة من شعوبية وغير شعوبية وإنمّا هي دعوة لمعاصريه من الشعراء كي يكونوا صادقين مع النّاس صدقهم مع أنفسهم وحياتهم، فكيف يصفون مناظر الأطْلالِ ومشاهد الصحراء وهم بعيدون كل البعد عنها" [3] يقول أبو نواس:

(البسيط)

مالي بدارٍ خَلَت من أهلها شُغُلُ	ولا شَجاني لها شخص ولا طلَلُ
ولا رسوم ولا أبكي لمنزلةٍ	للأهل عَنْها وللجيران منتقَلُ
ولا قطعتُ على حرفٍ[4] مذكَرةٍ	في مَرْفقيها إذا استعرضتها فَتَلُ
بيداء مقفرةً يوماً فأنْعتها	ولا سرى به فأحكيه بها جَمَلُ
و لا شَتَوتُ بها عاماً فأدركني	فيها المصَيفُ فلي عن ذاك مرتحَلُ
ولا شددتُ بها من خيمةٍ طُنُبا	جاري به الضب والحرباء والوَرَلُ
لا الحزنُ مني برأي العين أعرفهُ	وليس يعرفني سهل ولا جَبَلُ
لا أنعَتُ الروضَ إلاّ ما رأيت به	قصْراً منيفاً عليه النّخل مُشْتملُ[5]

ويرى الشاعر والكاتب اللبناني شوقي بزيع في مقالة له بعنوان "ذهب الزّمان المفقود" نشرتها مجلة الصّدى" أنّ موضوع الأطلال في الشعر العربي قَد تعرض لسوء الفهم واللَبس،

([1]) – العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، ص: 231، الطبعة التاسعة.

([2])– ديوان أبي نواس، تحقيق بدر الدين حاضري، محمد حمامي، ص178.

([3]) – مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول، د. حسين عطوان، ص:113.

([4]) – حرف: الناقة الضامرة.

([5]) – ديوان أبي نواس، تحقيق بدر الدين حاضري، محمد حمامي، ص: 446.

وهذا ما وقع به أبو نواس، حين أسقط حَساسيته القوميةَ ونزعته العصبية على كلّ ما يتصل بالروح العربيّة من تقاليد أدبية وشعريّة، ومن قيمٍ موروثة، يفاخر بها العرب، وكانت فكرة البكاء على الأطلال، هي الضحية الأبرز لهذا الصراع الذي يتم في مكان آخر، ولا تهدف المقالة بالطبع للدفاع عن قضية عمرها ما يزيد على ألفِ عام، أو الانتصار للعرب من موقع العصبية المحضة، بل ترمي إلى الدفاع عن ذلك الرسم الذي تعامل معه أبو نوّاس، ومن دون قصدٍ على الأرجح، بطريقةٍ فكاهية ساخرةٍ داعياً الباكين عليه إلى الجلوس والاستكانة والاستراحة من عناء الوقوف المزمن، إذ يكفي أن نتطلع بإمعان إلى الخلفِ لكي نكتشف، أن الحياةَ التي نعيشها، ليست في حقيقتها سوى وقوفٍ مستمرٍ على طللٍ ما انقضى وتصَرّم". (1)

ويرى الدكتور أحمد كمال زكي في أنّ نزعة أبي نواس إلى التجديد كانت مجرّد نزوة يراد بها التخلص من أثقال الأرستقراطية المتَعجرفة. (2)

ويرى الدكتور حسين خريس أن أبا نواس قد خانه التوفيق في أكثرَ من موقفٍ، وذلك حين أساءَ استخدام الوقوف عَلى الأطلال بصورة عشوائية، في الوقت الذي استبدل بعض الشعراء بالأطلال إطاراً آخرَ، وقفوا فيه على القصور والرياض فكانوا مجددين مقلّدين في نفس الوقت. (3)

"والحق إنّ أصحاب الحماسة للذوق الجديد في العصر العباسي، كانوا في معظم الأحوال من الموالي، لذا نلاحظ أنّ هذه الحملة على المقدّمة الطّللية في قصيدة المدح قد أخذت بُعداً آخر ضد العَربِ، ومن أجل ذلك كانَ طبيعيا أن تستمر حماسة العرب لهذه المقدمة وهذا التقليد، لما في ذلك من استمرارية العنصر العربي حتى في تلك البيئة التي تعددت فيها الأجناس وما تصميم الخلفاء على مدحهم بهذه المقدمات إلا دعوة للتمسك بها، والتمسك بالتقاليد العربية في وجه الذوق الجديد المتمثل بالموالي الذين ينقمون على التقليد". (4)

ويعلق العقاد على هذه الثورة بقوله: "إن بيت القصيد من هذه الثورة على الرسوم هو الازدراء بأهل الأطلال وعيشهم وفخارهم، ولهذا نهى الخليفة هارون الرشيد أبا نواس عن

---

(1) – مجلة الصدى– العدد الثاني والثلاثون، ص130، دار الصدى للصحافة والنشر والتوزيع، الإمارات، دبي، 1999م.

(2) – الحياة الأدبية في البصرة، د. أحمد كما ل زكي ص: 196.

(3) – ينظر: حركة الشعر العباسي في مجال التقليد بين أبي نواس ومعاصريه، د. حسين خريس 323/1 ، ط1 1994م .

(4) – في الأدب العباسي، الرؤية والفن، د. عز الدين إسماعيل ص: 340.

الاستمرار في هذه اللّجاجة لأن الخليفة هارون الرشيد قد عدّ ذلك هجاءً سياسياً للقبائل العربية ولن تحمد عقباه". [1]

ومن هنا نفهم سخط كثير من العرب وأنصار العربية، على هذا المذهب الجديد، ونفهم أيضاً أن الرشيد قد حبس أبا نواس لقصيدة هجا بها العرب.[2]

وهذه أبيات منها: (المنسرح)

ليست بدارٍ عفت وغيرها	ضربان من قطرها وحاصبها
واهج نزاراً وأفر جلدتها	وهتك الستر عن مثالبها
وقيس عيلان لا أريد لها	من المخازي سوى محاربها
وما لبكر بن وائل عصم	إلا بحمقائها وكاذبها[3]

وإذا كان بَشار بن برد لم يرفع صوته عالياً حين هاجم فن الشعر كما صَنع في هجومه على الجنس العربي والحضارة العربية، فإنَّ أبا نواس قَد صنع عكس هذا، حين هاجم القصيدة العربية هجوماً عنيفاً، على أنّ هذه لم تصدر عنه كشاعر فنان، بقدر ما صدرت كشاعر شعوبي، دفعه تبنّي القضية السياسية إلى فرض سيطرتها على قضايا الفن الشعري.

وعليه، فإن عوامل التشكيك في حركة أبي نواس تأتي من صدورها عن لسان شعوبي آثر السخرية من العرب، إلاّ أن ثورته متناقضة بين النظرية والتطبيق، فالمقارنة السريعة بين قصائده الماجنة وقصائده في المدح، نجد أنَه التزم في المدح بالمقدمات الطللية مع شيء من التجديد.

إلاَ أنّ هذا الصوت النواسي قد تهاوى تحت ضغط التراث، وظلت يقظة الخلفاء العباسيين بارزة في محافظتهم على العربية، فدعوة أبي نواس ماتت مع موت صاحبها، بيد أن هذا لا يعني أنَ الفكرة قد زالت تماماً، بل هي محاولة من بين المحاولات التجديدية والأصوات الناضجة التي دوت في آذان العصر العباسي الأوّل. [4]

([1])- أبو نواس "الحسن بن هانيء"، عباس محمود العقاد، ص116.

([2])- ينظر حديث الأربعاء طه حسين 91/2، طبعة دار المعارف مصر، 1964م. الحاصب: الريح التي تحمل التراب

([3])- طبقات الشعراء، ابن المعتز، ص195، ديوان أبي نواس، تحقيق بدر الدين حاضري، محمد حمامي، ص98.

([4]) – ينظر كتاب القصيدة العباسية، قضايا واتجاهات، د. عبد الله التطاوي، ص: 56. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية.

الفصل الثاني

أثر صراع الحضارات
في شعر العصر العباسي الأوّل

** الشعر العباسي

*** ظهور أغراض شعرية جديدة منها:

أولاً: التغني بالشعوبية

ثانياً: الزندقة والإلحاد

ثالثا: المجون

رابعاً: الغزل بالمذكر (الغلمان)

خامساً: الغزل بالجواري والغلاميات

سادساً: الشّعر التعليمي

سابعاً: الزّهد

*** الشّعر العباسي:

لقد ازدهر الشّعر في العصر الجاهلي ازدهاراً كبيراً، فالعرب قبل الإسلام قد اهتموا بالشعر وعدّوه صفة من صفات الكمال عند العربي، ولما جاء الإسلام فتح أبواباً جديدة من الشعر وأغلق أبواباً، فضعف الشعر وانحسرت أغراضه ولانت ألفاظه ومعانيه.

وفي العصر الأموي جدّت على الحياة أمور كثيرة، ولكنّ الدولة كانت عربية خالصة، فشجعت الشعر القديم، ولم تسمح لغير العرب بالسيطرة والمفاخرة.

والشعر في كل عصرٍ صورة دقيقة الملامح لحياة المجتمع، والشعراء أفراد يعيشون فيه، ويتأثرون به، ويشاركون في أحداثه، فالعصر العباسي قد تميز عن العصور التي سبقته، فقد ازدهرت فيه الحضارة ازدهاراً كبيراً، وشهد العصر أحداثاً عظيمة وتياراتٍ سياسية كثيرة، انعكست على الأدب في أغراضه وأشكاله وأساليبه، فراجت الفلسفة وامتزج العرب بالأعاجم، وتأثرت الحضارات في جوانبها المختلفة، فدخل الأدب العربي فنون وأغراض ومعانٍ لم يألفها من قبل، كالغزل بالمذكر والشعوبية والخمريات بقصائدها المستقلة، أما الأسلوب فدخل عليه شيء من الضعف ولكنه اكتسب رقة في التّعبير ودخل عليه التكلف وخاصة البديع، ومال المحدثون إلى الأوزان القصيرة.

كل ذلك حدث تبعاً للتغيرات الاجتماعية والفكريّة والحضارية التي حصلت في المجتمع العباسي.

*** ظهور أغراض شعرية جديدة

لقد شهد العصر العباسيّ الأول نشأة فنون شعرية جديدة، تطورت في معانيها، وإن هذا التطور إنما جاء من أن العرب "قد تأثروا بالفرس والروم،واقتبسوا من ثقافة اليونان"[1] وإن تأثرهم بهذه الحضارات الأجنبية هو الذي أنتج عندهم هذه الألوان الجديدة من الشّعر.[2]

([1])- حضارة العرب، د. جوستاف لوبون، ص159.

([2])- ينظر: من تاريخ الأدب العربي "العصر العباسي الأول: د. طه حسين 47/2.

ويُعزى ظهور الحركة الشعوبية إلى ثلاثة أسباب[1]، أولها اجتماعي، وتدور كل شواهده على استعلاء العرب على الموالي، استعلاءً اعتدوا معه بصراحة أنسابهم، وشرف أحسابهم وصرفَهمَ إلى هذا الكبْر والعُجب النصر العظيم الذي أحرزوه بتغلبهم على الفرس والروم، فتَملّكهُم الشعورُ بالسيادةِ والعظمةِ، ونظروا إلى غيرهم من الشعوبِ نظرةَ السيّد إلى المسود.

من أجل ذلك لا يكنون الموالي بالكُنى ولا يدعونهم إلا بالأسماء والألقاب، ولا يمشون في الصفِ معهم، ولا يقدّمونهم في الموكب، وكان ذلك في العصر الأمويّ.
وثاني الأسباب سياسي، وتمثل في نبذ الأمويين للموالي وإقصائهم من المراكز الحساسة في الدولة.
وثالث الأسباب اقتصادي، وتمثل في إهمال الأمويين للشؤون المالية، وظلمهم لأهل البلاد المفتوحة من الموالي وأهل الذّمَة.

" وقد تناول الباحثون هذه الأسباب الثلاثة بالفحص والتمحيص فخلصوا إلى أن هذه الأسباب لم تشكل الدوافع الحقيقية لتمرد الموالي الفرس على العرب وإنّما كان وراءها سبب دفين آخر، وهو تأصل العصبية الجنسية، وتضخم النزعة القومية الاستقلالية في نفوسهم".[2]

ولو صحّ أن الموالي كانوا يضجون في الدولة الأموية من الظلم الشديد والإجحاف، وأنّهم كانوا يبغون المساواة والعدل لوجب أن يتلاشى هذا التذمر، وينتهي بعد قيام الدولة العباسية، فقد أنصفتهم وسوّت بينهم وبين العرب، وفتحت لهم الأبواب إلى الإدارة والوزارة والجيش، ولكن العكس هو الذي حدث، فقد زاد شعورهم القومي وعداؤهم للعرب، حتى أخذوا يجهرون به بعد أن كانوا يكتمونه في العصر الأموي.

" ولقد تصدّر موائد الشعراء في هذا العصر جماعة من الشعراء وأكثرهم من غير العرب، كما ظهر من العرب شعراء – وهم قلة– ممن أفسدتهم البيئة الجديدة، وجعلتهم يقبلون من العادات ما يستقبحها قومهم،إنّ هذه الأسماء مثّلت بعض الأغراض المستحدثة في العصر العباسي الأول

(1)– شعراء الدولتين الأموية والعباسية، د. حسين عطوان، ص242، ط2، 1981.
(2)– المرجع نفسه، ص244.

مثل الشعوبية والزندقة ومنهم بشار بن برد وأبو نواس ومطيع بن إياس وأبان اللاحقي ووالبة بن الحباب، فشنوا حملة ضد العرب من ناحية وافتخروا بالفرس وأمجادهم من ناحية أخرى".[1]

ومن الشعراء الذين تغنوا بالشعوبية في العصر العباسي الأول بشار بن برد فنجده في هذه الأبيات يتبرأ من ولائه للعرب بقوله:

(الكامل)

أصبحت مـولى ذي الجـلال وبعضـهم	مولى العُريـب فخـذ بفضـلك فـافخر
مـولاك أكـرمُ مـن تمـيمٍ كلّهـا	أهـلِ الفِعـال ومـن قـريش المشـعر
فـارجع إلـى مـولاك غيـر مُـدافعٍ	سـبحان مـولاك الأجـل الأكبـر[2]

والعريب تصغير عرب، والمعنى: أنه عبد الله وليس معتزاً بولاء العرب.

وبذلك يصور بشار تنازله عن ولائه في بني عقيل وتنكره للعرب، وادعاءه الالتجاء إلـى الله، فالله عز وجل أفضل حليف له، ولا يريد محالفة القبائل ويقصد بني عقيل.

ويمضي بشار مفتخراً بأجداده الفرس وأخواله الروم محاولاً الغضَّ والانتقاص من العرب بقوله قصيدة بائية يوازن فيها بين حضارة الفرس وحضارة العرب وهذه أبيات منها:

(مجزوء الرجز)

هـل مـن رسـولٍ مخبـرٍ	عنّـي جميـع العَـربِ
مـن كـان حيـاً مـنهُمُ	ومـن ثـوى فـي التـربِ
بـأنني ذو حسـبٍ	عـالٍ علـى ذي الحسـبِ
جـدي الـذي أسـمو بـه	كسـرى وساسـان أبـي
وقيصـر خـالي إذا	عـددت يومـاً نسـبي
كـم لـي وكـم لـي مـن أبٍ	بتاجـه المعصّـبِ
أشـوس فـي مجلسـه	يجثـى لـه بالركـبِ

[1]- الشعر والشعراء في العصر العباسي، مصطفى الشكعة، ص:172.

[2]- ديوان بشار بن برد، تحقيق مهدي محمد ناصر الدين، 62/4، ينظر الأغاني للأصفهاني، 21/3، طبعة بولاق.

يســـــعى الهبـــــانيق لـــــه	بآنيـــــــات الــــــــذهبِ*
لـــم يُشـــق أقطـــابَ ســـقىً	يشــــربُها فـــي العُلـــب
ولا حَـــدا قـــطٌ أبـــي	خَلـــف بعيـــرِ جَـــرب
ولا أتَـــى حنظلّـــة	ينقُبهـــا مـــن ســـغب*
ولا أتَـــى عرفُطـــة	يخبطُهـــا بالخشـــب*
ولا شَـــوينا ورلاً	*مُنَضنَضـــاً بالـــذّنب
ولا تقصّـــعتُ ولا	أكلـــتُ ضَـــبّ الجِـــزَب
ولا اصـــطلى قـــطّ أبـــي	مُفَحّجـــاً للّهـــب
كـــلاً ولا كـــان أبـــي	يركـــب شـــرجي قتـــب*
إنّـــا ملـــوك لـــم نّـــزل	فـــي ســـالفاتِ الحقـــب
أنـــا ابـــن فرعَـــيْ فـــارسِ	عنهـــا المحـــامي العصَـــب*
نحـــن ذوو التيجـــان والــــ	ملـــك الأشـــمّ الأغلـــب(1)

وتعدّ هذه البائية لبشار من أقوى القصائد التي قالها متغنياً بالشعوبية بصورة جريئة، والقصيدة موازنة غير عادلة بين العرب والفرس تتألف من قسمين:

في القسم الأول: "موازنة بين دوْر العربِ ودور الفرس في الحضارة الإنسانية، يظهر فيها العرب بدواً متخلفين متأخرين في السلّم الحضاري، يعيشون في باديةٍ فقيرةٍ مُجدبة خلف إبلهم العجفاء الهزيلة الجرباء في فقرٍ مدقعٍ وفاقةٍ شديدةٍ يسعون خلف أورال الصحراء وضبابها لينالوا منها ما يسدون به رمَقهم، ويبحثون عن الحنظل* والعرفط* ليطفئوا به ظمأهم.

---

* – الهبانيق، مفردها هبنق وهو الخادم والوصيف، ينظر ديوان بشار، تحقيق مهدي محمد ناصر الدين، ص181، الطبعة الأولى.
* – الحنظلة: شجرة نباتها مُر وثمرها مر.
* – العرفطة: نبتة رائحتها غير محمودة.
* – الورل: دويبة تشبه الضب طويلة الذنب صغيرة الرأس.
* – قتب: أي ركّبَ والده لم يكن مرقعاً.
* – المحامي العصَب: أي حامي العصبية الفارسية.

(1)– مقدمة ديوان بشار، تحقيق مهدي محمد ناصر الدين، 377/1.

* الحنظل: نبت مفترش، ثمرته حجم البرتقالة ولونها فيها لب شديد المرارة.
* العرفط: نبات من الفصيلة القرنية.

وأما الفرس فشعب متحضر، كلهم ملوك يعيشون في قصور فخمة ويلبسون ثيابهم الفاخرة، وتتألق الجواهر فوق رؤوسهم، والكل يركع أمامهم في خشوع وإجلال.

أما القسم الثاني من القصيدة فهو موازنة بين دور العرب ودور الفرس في الحياة السياسية، يظهر فيها العرب منهزمين ضاعت منهم دولة ويظهر الفرس منتصرين دالت إليهم دولة، ولم تكن هزيمة العرب في صراعهم ضد الفرس إلا جزاءً وفاقاً لما ارتكبوه في حق النبي وبيته، هذا الرد العنيف من بشار وهذه الشعوبية الواضحة إنما هي شماتة بالعرب الذين أذلوا كسرى يوم القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص". [1]

" ويروى أنه دخل على المهدي، وقد عرف ثورته على العرب وشعوبيته فقال له المهدي: فيمن تعتد يا بشار؟ فرد عليه بشار: أما اللسان والزي فعربيان، وأما الأصل فعجمي كما قلت في شعري يا أمير المؤمنين:

(بحر المتقارب)

ونبئتُ قوماً بهم جِنّة يقولون: من ذا وكنت العلمْ

ألا أيّها السائلي جاهداً ليعرفني أنا أنفُ الكَرَمْ

نَمَتْ في الكرام بني عامرٍ فروعي وأصلي قريش العَجَمْ

فإني لأغني مقام الفتى وأصبي الفتاة فما تَعتَصِمْ[2]

وسأله المهدي: فمن أي العجم أصلُك؟

فقال: من أكثرها في الفرسان، وأشدّها على الأقران أهل طخارستان". [3]

ومن المعروف أن بشاراً من طخارستان، وجده يرجوخ ممن سباهم المهلب بن أبي صفرة والي خراسان، ومن أجل هذا نشأ والده برد في الرق وفي أصله يقول بشار:

(مجزوء الرجز)

وقيصر خالي إذا عددتُ يوماً نسبي[4]

فهو فارسي الأب رومي الأم.

" وقد ظهرت الشعوبية بداية للرد على ما كان يلقاه الموالي من عصبية الدولة الأموية، ثم تطورت فأصبحت فخراً بالأعجمية وعيباً على العرب".[1]

([1])- تاريخ الشعر في العصر العباسي، د. يوسف خليف، ص47،46.

([2])- ديوان بشار بن برد، ص588.

[3]- الأغاني، 21/3.

[4]- ديوان بشار، ص4..

ويستشف من الحوار المذكور بين بشار والخليفة المهدي ميزة العصر العباسي المختلف عن العصر الأموي في النظر إلى العناصر غير العربية، فلم يغضب المهدي من بشار كما غضب الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك حين افتخر الشاعر إسماعيل بن يسار بآبائه الفرس في مجلسه وأمر بنفيه في الحال.

ثم يتقدم بشار في طريق الشعوبية خطوة جديدة واسعة فيعلن ثورة عارمة ضد الجنس العربي فيقول مخاطباً أحد الأعراب متخذاً منه رمزاً للجنس العربي كله: (الوافر)

أنا ابن الأكرمين أباً وأماً ... تنازعني المرازب من طخارِ

نغاذى *الدرمك المنفوط عزّاً ... ونشربُ في اللجين وفي النّظارِ

ونركبُ في الفريد* إلى الندامى ... وفي الديباج للحرب الحبارِ*

أسِرتُ وكم تقدمَ من أسيرٍ ... يزينُ وجههُ عقْد الأسارِ

إذا انقلب الزّمان علا بعيد ... وسفك بالبطاريق الكبارِ

أحين كسيت بعد العري خزّاً ... ونادمت الكرامَ على العقارِ

خليلي لا أنام على اقتسارٍ ... ولا آبا على مولى وجارِ

سأخبر فاخر الأعرابِ عني ... وعنه حين تأذن بالفخارِ

تفاخر يا ابن راعية وراعٍ ... بني الأحرار حسبك من خسارِ

وكنت إذا ظمئت إلى قداحٍ ... شركت الكلب في ولغ الإطارِ

تريغ بخطبة كسر الموالي ... وينسيك المكارمَ صيدُ فارِ

مُقامك بيننا دنس علينا ... فليتك غائبٍ في حرّ نارِ

وفخرك بين خنزير وكلب ... على مثلي من الحدث الكبارِ(2)

ومناسبة هذه الأبيات المذكورة كما ذكرها الأصفهاني في كتابه الأغاني قائلاً "حدثني أبو عبد الله المقري الجحدري الذي كان يقرأ في المسجد الجامع بالبصرة قال: دخلَ أعرابي على مجزأة بن ثورِ السدوسي وبشار عنده وعليه بزة الشعراء، فقال الأعرابي: من الرجل؟ فقالوا: رجل شاعر، فقال: أمولى هو أم عربي؟ قالوا: بل مولى. فقال الأعرابي: وما للموالي والشعر، فغضب بشار

---

[1]- الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري، دراسة في الحياة الأدبية في العصر العباسي. أحمد عبد الستار الجواري، ص121.

* – الدرمك المنفوط: السميذ المطبوخ،، *الفريد: الفضة المصنوعة، *الحبار: برود الحرير.

(2)– ديوان بشار بن برد، ص483، تحقيق مهدي محمد ناصر الدين، الطبعة الأولى، 1993م.

وسكت هنيهة ثم قال لي: أتأذن يا أبا ثور. قال: قُل ما شئت يا أبا معاذ[1]، فأنشأ بشار هذه الأبيات "فقال: مجزأة للأعرابي، قبحك الله فأنت كَسبت هذا الشر لنفسك ولأمثالك.[2]

" ولولا أنه كان يطوي نفسه على بركان هائج من الغيظ والمقت والبغض للعرب لما انفجر هذا الانفجار، ولما تهور هذا التهور، فإن جهل الأعرابي بمكانته لا يجران شاعراً كبيراً مثله إلى الطعن في الأعراب والهزء بهم ولا إلى التعصب للعجم والتفخيم بهم".[3]

وفي ذلك ما يكشف عن أن بشاراً كان من أخطر دعاة الشعوبية، فقد كان من أشدهم حقداً على العرب، وأطولهم افتخاراً بالفرس والخراسانيين، وأوضحهم تصويراً لأمانيهم الاستقلالية، وأبينهم تعبيراً عن أفكارهم القومية ولم يقف في شعوبيته عند التعصب لبني قومه وحضارتهم بل كان يقوم بتثقيف الموالي وتوعيتهم، بعثاً لشخصياتهم وتنشيطاً لكيانهم ودعوتهم للتمسك بتراثهم، "وإن شعر بشار في الشعوبية يشتمل على بعض مسائل الخلاف بين العرب والموالي، ويدل على أنها كانت تضرب بجذورها في أعماق المجتمع العباسي منذ قيام الدولة العباسية، مثل قضية مساهمة الفريقين في الثورة العباسية وقضية تنافسهم في الأنساب، وقضية تسابقهم في الملك والحضارة"[4]

" وإذا تركنا بشاراً إلى الجيل التالي المعاصر للبرامكة في زمان الرشيد وجدنا هذه الشعوبية تشتد، إذ ازداد تأثر الشعراء بالحضارة الفارسية المادية، ودفعهم ذلك إلى التمرد على التقاليد العربية الإسلامية فخرجوا على عادات العرب الاجتماعية ونظم الإسلام وقوانينه، ولعل أبا نواس خيرُ من يمثل هذا الجيل الاتجاه، وأغلب الظن أن ثورته لم تكن ثورة جنسية بل كانت ثورة حضارية من نوع خاص، ثورة الحضارة الفارسية وكل ما اتصل بها من خمر ومجون على العرب وحياتهم الإسلامية". [5]

([1])- هي كنية بشار بن برد.

([2])- الأغاني للاصفهاني،33/3.

([3])- شعراء الدولتين الأموية والعباسية، د. حسين عطوان، ص260.

([4])- المرجع نفسه، ص262.

([5])- الفن ومذاهبة في الشعر العربي، د. شوقي ضيف، ص:99.

فيقول أبو نواس مفتخراً بالفرس:

(الطويل)

تراث أنو شروان كسرى ولم تكن ... مواريث ما أبقت تميم ولا بكرُ

قصَرتُ بها ليلي وليلَ ابن حُرّةٍ ... له حسب زاكٍ وليس له وفرُ[1]

لقد كان أبو نواس رأساً من رؤوس الشعوبيّة البارزين في العصر العباسي، قاد حملةً بالشعر ضد العرب يستهزئ بهم، ويدعو عليهم بطول الحزن والبكاء بقوله:

(البسيط)

عاج الشقي على دارٍ يسائلها ... وعُجت أسأل عن خمارة البلدِ

لا يُرقئ الله عيني من بكى حجراً ... ولا شفى وَجْدَ من يصبو إلى وتدِ

قالوا ذكرتَ ديار الحيِّ من أسدٍ ... لا دَرّ دَرّكِ قل لي من بنو أسَدِ[2]

فهذه سخرية أليمة تظهر فيها شعوبيته الشعرية في الأبيات المذكورة.

ومن شعره في الفخر بقومه واعتزازه بالكسروية قوله: (الطويل)

بنينا على كسرى سماء مُدامة ... مكلّلة حافاتها بنجوم*

فلورُدّ في كسرى بن ساسان روحه ... إذاً لا صطفاني دون كل نديمِ[3]

فالشاعر يصور كسرى في الإناء وجوانب هذا الإناء محفوفة بالنجوم.

وإذا كان أبو نواس قد نجح في إخفاء ميوله نحو الفرس ونقمته على العرب في بعض قصائده التي تصور الحضارة الجديدة المتأثرة بالفرس فإنه في هذه الأبيات تبدو عصبيته واضحة بقوله:

(الطويل)

إذا ما تميمي أتاك مفاخراً ... فقل عدّ عن ذا، كيف أكْلك للضبِ؟

تفاخر أبناء الملوك سفاهةً ... وبولك يجري فوق ساقك والكعبِ

فنحن ملكنا الأرض شرقاً ومغرباً ... وشيخك ماء في الترائبِ والصلبِ[4]

([1])- ديوان أبي نواس، ص239، تحقيق بدر الدين حاضري، محمد حمامي.

([2])- الديوان، ص177، تحقيق بدر الدين حاضري، محمد حمامي.

* - النجوم: الزبد الذي يحيط بالإناء بعد فورانه.

([3])- الكامل للمبرد، 73/3، دار الفكر للجميع للطباعة والنشر والتوزيع.

([4])- الديوان، ص105، تحقيق بدر الدين حاضري، محمد حمامي.

أما بغضه للعرب وحياتهم فيظهر ذلك من خلال هذه المقارنة بين حياة الفرس المرفهة الناعمة الأنيقة وحياة العرب القاسية الخشنة الجديبة بقوله:

(الوافر)

دع الأطلال تسفيها الجنوب ... وتبلي عهد جِدّتها الخطوبُ
ولا تأخذ من الأعراب لهواً ... ولا عيشاً فعيشهم جديبُ
فأين البدو من إيوان كسرى ... وأين من الميادين الزروب؟[1]

ويقول أيضاً في المقارنة بين حياة الفرس وحياة العرب منكراً على العرب أحاديث عشقهم لينفي عنهم الرقة والإحساس الراقي والمشاعر النبيلة:

(مجزوء الوافر)

دع الرسم الذي دَثَرا ... يقاسي الريحَ والمطرا
ألم تر ما بنى كسرى ... وسابورُ لمِنْ غبرا
إذا ما كنتُ بالأشياء م ... في الأعراب معتبرا
ومن عَجَبٍ لعشقهم م ... الجفاة الجلف والصحرا[2]

"إن هذه الأشعار تدل على أن أبا نواس قد خضع خضوعاً تاماً لمبادئ حزب الموالي، ونفذ سياسته بدقة في إحدى نواحيها إذ اتخذ جانب تمجيد الفرسِ ومدحِ حياتهم الراقية وتحقير العرب وهجاء معيشتهم الجافية الغليظة[3]".

ولا يقف الأمر بأبي نواس وهو يمرح في النيل من أعراض العرب، فقد أنشأ نقائض أممية فيها المفاخرة بقومه الفرس وانتصاراتهم على العرب بقوله وهو يعتز بفارسيته:

(السريع)

ليست بدارٍ عَفَتْ وغيَّرها ... ضَرْبانِ من قطْرِها وحاصِبها
ونحنُ إذ فارس تدافع بَهْـ ... رام قسطْنا على مرازبها
حتى جمعنا إليه مملكةً ... يجتمعُ الطّرفُ في مواكبِها
واهجُ نزاراً وأفْرِ جلدتها ... وهتك الستر عن مثالبها
وقيس عيلان لا أريد لَها ... من المخازي سوى مُحاربها
وما لبكر بن وائل عصم ... إلا بحمقائِها وكاذبها

([1])-ديوان أبي نواس، ص58.

([2])- المصدر نفسه، ص302-303

([3])- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، د. محمد مصطفى هدارة ص: 406.

ولــــم تَعَـــفْ كلبهَـــا بنَـــو أســــدِ عبيــــدُ عيرانـــــة وراكبُهـــــا
وتغلـــــبُ تنـــــدب الطلـــــول ولـــــم تثــــأر قتـــيلاً علـــى ذنائبهـــا [1]

ولقد أطال الرشيد حبس أبي نواس بسبب هذه القصيدة، ومع ذلك كله لم يكتــرث خلفــاء بنــي العباس بذلك الجدل بين العرب والشعوبية سواءً في الشعر أو في غيره؛ لأن الخلفاء العباســيين تعصبوا للإسلام ولم يتعصبوا كثيراً للعربية؛ وذلك طبيعي؛ لأن أكثرهم مولدون من أصل غير عربي.

"يقول ابن المعتز في كتابة طبقات الشعراء وأما قوله:

وما لبكر بن وائل عصم إلا بحمقائها وكاذبها .

فإنه يريد بالكاذب مسيلمة الكذاب وكان من بني حنيفة، والحمقاء هبنقة القيسيّ من بني قيس بن ثعلبة، وهو رجل كان يضرب المثال بحمقه".[2]

وإن أحداً لا يصدق أن مثل هذا الشعر قد قيل في دولة خليفتها عربي من بني هاشــم، وهــو الخليفة هارون الرشيد.

ومن الشعراء الذين تغنوا بالشعوبية أبو يعقوب الخريميّ فهو في هذا البيت يفخــر بأعجميتــه الفارسية:

(البسيط)

إنّي امرؤ من ســراة الصــغد* ألبســني عرق الأعــاجمِ جلــداً طيــب الخَبَــرِ[3]

ومن بين الشعراء الذين نادوا بالشعوبية الشاعر ديك الجن[4]، فمن أقواله في الشعوبية والتعصب على العرب هذه العبارات (ماللعرب علينا فضل، جمعتنا وإياهم ولادة إبراهيم، وأسْـلَمنا لمــا أسلموا، ومن قتل منهم رجلاً قُتِلَ به، ولم نَجدْ الله عز وجل فَضلهم علينا إذ جَمعَنا الدين) [5].

ولعل في هذه القصيدة صورة من شعوبيته التي اتهم فيها، يقول:

([1])-ديوان أبي نواس تحقيق، بدر الدين حاضري، محمد حمامي، ص98.

([2])- طبقات الشعراء، ابن المعتز، ص200.

* الصغد: كورة قصبتها سمرقند.

([3])- ديوان الخريمي، ص38.

([4])- هو عبد السلام بن رغبان، كان شديد التعصب على العرب، شاعر مجيد، من شعراء الدولة العباسية، ذهب مذهب أبي تمام، وكان من ساكني حِمص، ينظر كتاب الأغاني للأصفهاني، 142/12.

([5])- المصدر نفسه، 142/12.

(البسيط)

إنّـــي ببابـــك لا وُدّي يقربنـــي ... ولا أبـــي شـــافع عنـدي ولا نسـبي
إنْ كانَ عُرفُـك مـذخوراً لـذي سَـبب ... فاضمم يديْك علـى حُـرٍ أخـي سـبب
أو كُنـتَ وافقتـه يومـاً علـى نسـبِ ... فاضـمم يـديك فـإني لسـت بـالعربي
إني امرؤ بازل** فـي ذروتـي شـرف ... لقيصـرٍ ولكسـرى محتـدي وأبـي[1]

فالشاعر ديك الجن في الأبيات المذكورة يفتخر بقيصر وكسرى.

ومن الشعراء الذين كانت شعوبيتهم صارخة الشاعر المتوكّلي الذي ينتسب إلى الخليفة المتوكّل لأنه كان من ندمائه، فقد كان قلبه يمتلئ حقداً وحنقاً على العرب فهو يقول في شعوبية حاقدة:

أنـا ابـن الأكـارم مـنَ نسـل جـم* ... وحـائزُ إرثِ مُلـوك العَجـمْ
وطالـبُ أوتـارِهم جهـرةً ... فمـن نـام عـن حقهـم لـم أنَـمْ
فقـل لبنـي هاشـم أجمعـين ... هَلمّـوا إلـى الخلـع قبـل النّـدمْ
وعـودوا إلـى أرضـكم بالحجـاز ... لأكـل الضّـباب ورعـي الغـنمْ
فـإني سـأعلو سـرير الملـوكِ ... بحـدِ الحسـامِ وحـرفِ القلَـمْ[2]

فالشاعر المتوكلي في الأبيات السابقة لا يكتفي بأن يفخر بانتسابه إلى جمشيد أحد ملوك الفرس، بل يعلن في صراحة عن سعيه للأخذ بثأر الفرس من العرب تحت راية الخارجين من الفرس عليهم، ويطلب من بني هاشم جميعاً أن يبادروا بخلع أنفسهم بأيديهم والعودة إلى حيث خرجوا في البادية الحجازية لرعي الأغنام.

ومهما يكن من أمر، فقد ظهرت أصداء قوية للشعوبية ممثلة بالعناصر الأجنبية من ذوي الحضارات المختلفة إذ برز شعراء من أصل أجنبي يدافعون عن هذه النزعة، وأخذوا يرددون

** البازل: البعير، نبتت سنه، والرجل اكتملت تجربته، ينظر المصدر السابق، ص: 156.

(4)- ديوان ديك الجن، تحقيق الدكتور أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري، ص156، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، لبنان.

* - جم أو جمشيد: من ملوك الفرس، ينظر كتاب الأدب في ظل الخلافة العباسية، علي جميل مهنا، ص61، ط1، 1981م.

(2)- معجم الأدباء ياقوت الحموي، 18/2، ط3، منقحة وفيها زيادات، دار الفكر، 1980م.

ينظر ضحى الاسلام، أحمد أمين، 66/1، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الخامسة، 1956م.

دعاوى الشعوبية، وقد قويت شوكتهم؛ وذلك لمكانتهم الرفيعة في الدولة العباسية واشتراكهم في السياسة العليا لها.

وكان من آثار ذلك أن جهر الشعوبيون بمهاجمة العرب والتهكم عليهم كما رأينا في أبيات بشار وأبي نواس التي تظهر العنصرية الواضحة تجاه العرب وحياتهم، وما كان ذلك ليحدث في شعرنا العربي لولا ذلك التمازج الحضاري في العصر العباسي.

"ومن المحقق أن رجال الفرس البارزين من أمثال البرامكة وآل سهل وآل طاهر ابن الحسين كانوا يذكون نار الشعوبية فيمن حولهم من الفرس، وقد اختلف الناطقون بها بين عالم وأديب وشاعر نذكر منهم: أبا عبيدة اللغوي الإخباري المشهور وأصله من يهود فارس، وقد صبّ عنايته على تسجيل مثالب العرب، وبلغ من فساد طويته أن طعن في بعض أنساب الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- وليس من شك في أن عنايته بتلك المثالب هي التي دفعته إلى شرح نقائض جرير والفرزدق لما تحمله من وقود جزل لهذه الشعوبية".[1]

وقد ردّ بعض شعراء العرب على الشعوبية وأصحابها على نحو ما نجده عند أبي الأصبع محمد بن يزيد الحصني في لاميته المشهورة والتي يناقض فيها قصيدة عبد الله بن طاهر، وكان عبد الله بن طاهر قد افتخر في قصيدة له بنسبه للفرس وبأبيه طاهر بن الحسين قاتل الخليفة الأمين وهذه أبيات منها:

(المديد)

مدمن الإغضاء موصول ... ومديم العتب مملول

وأبي من لا كفاء له ... مَنْ يُسامي مجدَه؟ قولوا

طَحَن المخلوعَ كَلْكَلُهُ ... وحواليه المقاويلُ

قُطِعَتْ عنه تمائمُهُ ... وهو مرهوب ومأمولُ[2]

فردّ عليه أبو الأصبع الحصني بقوله: (المديد)

لا يَرُعْك القالُ والقيلُ ... كُلُّ ما بلّغت تحميلُ

إنْ عَدَدْتَ العذلَ فيّ، إذن ... أنا فيكَ الدّهَر معذول

([1])- الفهرست، لابن النديم، ص79، طبعة القاهرة.

([2])- طبقات الشعراء، لابن المعتز، ص299، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، 1956م.

أيهـــــا البــــــادي بِنِســــــبَتِه	مـــــا لِمـــــا قـــد قُلـــت تحصـــيلُ
قاتِـــــلُ المخلـــــوعِ مقتـــــولُ	ودمُ القاتِـــــــــل مطلـــــــــولُ
بــــأخي المخلـــوعِ طُلْـــتَ يـــداً	لــم يكــن فـــي باعهـــا طـــولُ
وبنعمــــــاه التــــــي كُفِـــرَتْ	فُعِلَـــــتْ تِلــــكَ الأفاعيـــــلُ
يـــا ابـــن بنْـــتِ النّـــارِ يوقــدها	مـــــا لحاذيِــــه ســـــراويلُ
مـــن حســـين مـــن أبـــوه ومـــن	طــــاهر غـــالتهمُ غـــــولُ
مـــــن رُزيـــــق إذ تعــــدّده	نَســـب فـــي الخلـــقِ مجهـــولُ
تلـــــك دعـــــوى لا يناســـــبها	لـــــك آبـــــاء أراذيـــــلُ
مــــا جـــرىَ فـــي عـــود أثلـــتهم	مـــاءُ مجـــدٍ فهـــوْ *مـــدخولُ
*قَـــــدَحَتْ منـــــه أســـــافِلُه	وأعاليــــــــه مَهازيـــــــــلُ[1]

وبلغت هذه القصيدة عبد الله بن طاهر، ولو أراد إنزال العقاب بالحصني لفعل لكنه اختار طريق العفو والحلم، ولما بلغت هذه القصيدة *علاناً الشعوبي ثار لقومه الفرس ورد علـى الحصـني ومدح عبد الله بن طاهر وفضل العجم على العرب وفيها يقول:

أيهـــــا اللاطـــــي بحفرتـــــه	فـــي قـــرار الأرض مجعـــول
قـــد تجاللـــت علـــى دخـــل	واســـــــتخفتك التهاويـــــــل
وأبـــــو العبـــــاس غاديـــــة	لعزاليـــــــة الأهاليـــــــل*
رســـــتمي فـــي ذرى شـــرف	زانـــــه تـــــاج وإكليـــــل
إن لـــــي فخــــراً مباءتـــــه*	فـــي قـــرار الـــنجم مـــأهول
ورجــــالاً شــــربهم غــــدق	هـــم لمـــا حـــاذوا مبانيـــل
كســـــــرويات أبوتنـــــــا	غـــــرر زهـــــر مقاويـــــل[2]

---

* - مدخول: يراد به داخله الفساد.
* - قدحت: أصابها القادح وهو أكال يقع في الشجر والأسنان.

([1])- طبقات الشعراء، لابن المعتز ص: 300، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط2.

* - هو علانَ الوراق الشعوبي، أصله من الفرس، وكان علامة بالأنساب والمثالب والمفاخرات، منقطعاً إلى البرامكة، وينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون ، ينظر: معجم الأدباء12/191، ياقوت الحموي.

([2])- معجم الأدباء، 12/194.

* أهاليل: الدفعات من المطر.
* المباءة: المحل والمرجع والمنزل.

فعلى الرغم من ردّ الشعراء العرب على الشعراء الشعوبيين في العصر العباسي الأول "فقد بلغ النفوذ الفارسي مبلغه فالبلاط فارسي والوزراء فرس، والقواد أغلبهم فرس والحضارة فارسية".(1)

ثانياً: الزّندقة والإلحاد:

تعددت الآراء في أصل كلمتي زنديق وزندقة، وربما اتفق معظم الباحثين على أن أصل الكلمة آرامي وسرياني، وهو (زديق) وأنها انتقلت إلى الفرس بعد أن حرفت إلى (زنديك) ولما انتقلت إلى العربية أصبحت (زنديق)، ولعل أقرب الآراء إلى الصواب، أنه كان بين طبقات المانوية طبقة تسمى طبقة السماعين، وهم الأحرار الذين لم يلتزموا تعاليم المانوية الفارسية من زهد وتقشف ورهبنة، وطبقة تسمى الصديقين، وهم الذين يلتزمون تعاليم المانوية، وكلمة (صدّيق) العربية تستعمل في العبرية بلفظها ومعناها، وكانت كلمة زنديق تطلق أول الأمر على المؤمن المخلص من أتباع ماني (2)، ولكن الزرادشتيين نظروا إلى المانوية على أنهم ملاخدة، وهذا هو المعنى الذي ما زال يفهم من الكلمة في العصور الإسلامية.(3)

وكان من أشد الثورات بأساً وأكثرها خطراً في العصر العباسي الأوّل، تلك الثورات التي أذكى نيرانها الزنادقة، الذين تبعد تعاليمهم عن تعاليم الإسلام وعقائده وتقوم على أنواعٍ من الديمقراطية الفاسدة التي تبيح المحرّمات وتعبث بالآداب الاجتماعية وتعرضُ الحياة السياسية والاجتماعية للخطر".(4)

"ومعروف أن جمهور الفرس قبل الإسلام كانوا مجوساً على دين زرادشت الذي ظهر في ديارهم حوالي منتصف القرن السابع قبل الميلاد، وما وضعه لهم من تعاليم ضمنها كتابه "الأفستا" وفيه زعم أن للعالم إلهين هما: أهورامزد، إله النور خالق الخير وأهرمن إله الظلمة خالق الشر، وأن النار مقدسة، حتى ظهر ماني ومزج بين تعاليمه والزرادشتية والبوذية

---

[1]- المقارنة بين الشعر الأموي والعباسي في العصر الأول، تأليف دكتور عزيز فهمي، ص200، تحقيق محمد قنديل البقلي، دار المعارف، مصر، 1979م.

([2])- هو ماني بن فاتك الحكيم، مصلح ايراني، ظهر في القرن الثالث الميلادي، في زمان الملك سابور ابن أردشير، أعلن النبوة، أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول بنبوة عيسى عليه السلام ولا يؤمن بنبوة موسى عليه السلام (ينظر كتاب الملل والنحل- الشهرستاني، 244/1).

([3])- تيارات ثقافية بين العربي والفرس، د. أحمد محمد الحوفي، ص130، ط3، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1978م.

([4])- ينظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي،د. حسن إبراهيم حسن، 115/2،الطبعة السابعة، 1964م.

والنصرانية فأبقى من الأولى على عقيدة إلهي النـــور والظلمـــة واســـتباحة الـــزواج بالبنـــات والأخوات، وأخذ من الثانية عقيدة التناسخ وتحريم ذبح الحيوان والطيور، وأخذ من الثالثة الزهد والتنسك".(1)

ومن أقوال زردشت "النور والظلمة أصلان متضادان، وهما مبدأ موجودات العالم والخير والشر والصلاح والفساد والطهارة والخبث؛ إنما حصلت من امتزاج النور والظلمة، ولو لم يمتزجا لما كان وجود العالم، وهما يتقاومان إلى أن يغلب النور الظملة والخير الشر، ثم يتخلص الخير إلى عالمه والشر ينحط إلى عالمه، وذلك هو سبب الخلاص، والباري تعالى هـــو الـــذي مزجهمـــا وخلطهما لحكمة رآها في التركيب".(2)

"وقد عامل المسلمون المجوس معاملة أهل الكتب السماوية، فظلت المجوسية قوية حتى العصـــر العباسي، ويظهر أنّ الفرس كانوا قد نشطوا نشاطاً واسعاً في نشر الزندقة بين الناس، وإنّ مسألة التشكيك في الدين مرحلة ضرورية تظهر في كل حضارة إنسانية عند انتقالها من حالة فكريـــة إلى أخرى، أو عندما تلتقي ثقافتها بثقافات أجنبية، فكان من الطبيعي أن تمر الحضارة الإسلامية بهذه المرحلة، وبالتحديد في القرن الثاني من العصر العباسي؛ لأنـــه عصـــر التقـــاء الثقافـــات والانتقال الفكري من حالة إلى أخرى".(3)

فظهر من الشعراء بشار بن برد وأبو نواس في هذا العصر ومثلوا شعر الزندقة وأبـــدأ بـــأبي نواس، فمن أشعاره في الزندقة هذا البيت:

(الكامل)

مـــا جاءنـــا أحـــد يُخبـــر أنّـــه   فـــي جنّـــةِ مـــن مـــات أو فـــي نـــار(4)

وسجن أبو نواس بسبب هذا البيت.

فأبو نواس في هذا البيت منكر للبعث والحساب والجنة والنار، فهذا إلحاد صريح لا يؤمن فيـــه بوجود الله عز وجل. وقد اتهم أبو العتاهية بالزندقة، وأنه يؤمن بتعاليم المانوية في الخير والشر لقوله:

---

(1)- الملل والنحل، الشهرستاني، ، تحقيق محمد سيد كيلاني، ص185. دار المعرفة- بيروت، 1961.

2- الملل والنحل، الشهرستاني، ، تحقيق محمد سيد كيلاني، ص237/1.

3- العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، ص80.

4- الموشح، المرزباني، ص429.

(الرجز)

لكــــلّ إنســـــان طبيعتـــــان　　خيـــر وشـــرّ وهمـــا ضـــدّان[1]

"ولكن الأدباء أمثال الجاحظ وغيره لم يذكروا أبا العتاهية في الشعراء الزنادقـة، مـع أن أبـا العتاهية عاش وسط تيارات من الفلسفات المختلفة فتأثر بهـا ولـيس فـي شـعره مـا يثبـت زندقته"[2].ويقول بشار بن برد في هذا المجال:

(البسيط)

الأرض مُظلِمـــة والنـــار مشـــرقة　　والنّـار معبـودة مـذ كانـت النّـار[3]

فبشار يمجد النار ويقدمها على الطين، ويتمادى بشار إلى ما هو أبشع من ذلك، فيدين بالرجعة، ويكفر جميع الأمة، ويصوب رأي إبليس في تقديم النار على الطين، وهو مذهب المجوسية التي تعتقد بأن النار الإله، وتجعل لها بيوتاً، ويفضل بشارُ إبليس المخلوق من النار علـى آدم عليـه السلام المخلوق من الطين في قوله:　　(الكامل)

إبلـــيسُ خيـــر مـــن أبـــيكم آدم　　فتنبّهـــوا يـــا معشـــرَ الفُجّـــار

إبلـــيس مـــن نـــارٍ وآدم طينـــة　　والأرض لا تســـمو سُـــموّ النّـــار[4]

ويظهر من البيتين المذكورين أن بشاراً يصف الأرض أنّها شريرة لظلمتها، وأنّ النـار خيّـرة لنورها، ومن ثم عبد قوم النار كإله للخير، بينما صارت الظلمة إلهاً للشر وهذا أسـاس التثنيـة الفارسيّة[5].

([1])- ديوان أبي العتاهية، ص493، دار صادر، بيروت، سنة1964م.

([2])- أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، أنيس المقدسي، ص150، دار العلم للملايين، بيروت، ط14، 1981م.

([3])-ديوان بشار بن برد تحقيق مهدي ناصر الدين، ص539، ط1997، الأغاني، 245/3، ينظر البداية والنهاية لابن كثير، 150/10، ينظر كتاب شعراء الدولتين الأموية والعباسية، د. حسين عطوان، ص231.

([4])-ديوان بشار تحقيق مهدي ناصر الدين، ص539، شعر الصراع السياسي في القرن الثاني الهجري، د. إبراهيم الخواجه، ص357.

([5])-الحياة الأدبية في البصرة، د. أحمد كمال زكي، ص135.

والبيتان ليسا سوى ترديدٍ لما قاله إبليس لرب العزة حين أمره بالسجود لآدم كما ورد في القرآن الكريم: "أنا خير منه خلقتني من نارٍ، وخلقته من طين".[1]"والمجوس إنما يعظمون النار لمعان فيها، منها: أنها جوهر شريف علوي، ومنها أنها ما أحرقت الخليل إبراهيم عليه السلام، ومنها ظنهم أن التعظيم لها ينجيهم في المعاد من عذاب النار".[2]

"ويضع أبو العلاء المعري بشاراً في رسالته "الغفران" بين الزنادقة والملحدين ويرسم له صورة في الجحيم وقد ردّ الله له بصره وهو يحاول أن يغمض عينيه حتى لا يرى ما ينزل به من صنوف النقم وأنواع العذاب، ولكنّ الزبانية يفتحونهما بكلاب من نار".[3]

ولقد شدد المعري على الزنادقة والملحدين بقوله: "ولكني أغتاظ على الزنادقة والملحدين، الذين يتلاعبون بالدين، ويرومون إدخال الشبه والشكوك على المسلمين، ويستعذبون القدح في نبوة النبيين صلوات الله عليهم أجمعين، ويعرف المعري الزنادقة بأنهم الدهريون الذين لا يقولون بنبوة ولا كتاب". [4]

وحكى أصحاب المقالات عن بشار أنة كفّر الصحابة وكفّر الإمام علي بن أبي طالب وقد ردّ عليه صفوان الأنصاري بقصيدة قال فيها[5]: (الكامل)

زعمتَ بأنّ النار أكرمُ عنصراً ... وفي الأرض تحيا في الحجارة والزّند

ويخلق في أرحامها وأرومها ... أعاجيب لا تحصى بخط ولا عقد

وفي القعر من لجّ البحار منافع ... من اللؤلؤ المكنون والعنبر الوردِ

إلى أن يقول هاجيا بشاراً:

فيا ابن حليف الشُؤم واللؤم والعمى ... وأبعد خلق الله من طرق الرّشْدِ

أتهجو أبا بكر وتخلع بعده ... علياً وتعزو كلّ ذاك إلى برد

كأنّك غضبان على الدين كله ... وطالب ذَحْلٍ[6] لا يبيت على حِقد

تواتب أقماراً وأنت مشوّه ... وأقرب خلق الله من نسب القِردِ

([1])- سورة ص، آية، 76.

([2])- الملل والنحل، الشهرستاني، 255/1.

([3])- ينظر كتاب: في الشعر العباسي نحو منهج جديد، د. يوسف خليف، ص35، الغفران لأبي العلاء المعري، دراسة نقدية: الدكتورة عائشة عبد الرحمن، بنت الشاطئ، ص169، دار المعارف، مصر، 1962.

([4])- رسالة الغفران للشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعري، شرح وإيجاز كامل كيلاني، 24/1، مطبعة المعارف، مصر.

([5])- الفرقُ بين الفِرق وبيان الفرقة الناجية منهم، عبد القاهر البغدادي، ص39، 41، ط3، 1978م.

([6])- ذحلْ: الثأر والحقد وجمعها أذحال وذحول.

وهذا الشاعر عمر الخاركي الماجن، ينكر البعث ويعلن زندقته في شعره بقوله: (السريع)

إن كنت أرجوك إلى سلوة   فطال في حبس الضنى لبثي
وعش كالمغرور في دينه   يوقن بعد الموت بالبعث[1]

ويتهم أبو نواس الشاعر أبان بن عبد الحميد اللاحقي بالزندقة والإلحاد اتهاماً صريحاً في هذه القصيدة[2]: (المجتث)

شهدت يوماً أباناً   لا درّ درُّ أبان
ونحن حضر رواق الـ   أمير بالنهروان
حتى إذا ما صلاة الـ   أولى دنت لأوان
فقام منذر ربي   بالبر والإحسان
وكلما قال قلنا   إلى انقضاء الأذان
فقال: كيف شهدتم   بذا بغير عيان
لا أشهد الدهر حتى   تعاين العينان
فقلت: سبحان ربي   فقال: سبحان ماني
فقلت عيسى رسول   فقال: من شيطان
فقلت: موسى نجي الـ   مهيمن المنان
فقال: ربك ذو مقـ   لة إذن ولسان
أنفسه خلقته   أم من فقمت مكاني
وقلت: ربي ذو رحـ   مة وذو غفران
وقمت أسحب ذيلي   عن هازل بالقرآن
عن كافريتمرى   بالكفر بالرحمن
يريد أن يتساوى   بالعصبة المجان

فهذه القصيدة تمثل رأي هذه الطائفة من الفرس، الذين أظهروا الإسلام ديناً، وأبوا أن يؤمنوا إلا بما هو فارسي، فأبو نواس يتهم أباناً بالزندقة واعتناق الديانة المانوية.

(1)- رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية، القسم الثالث، المرحلة العباسية، د. مصطفى الشكعة ص: 23.
(2)- ديوان أبي نواس، ص543، تحقيق أحمد الغزالي.

ولربما كان هذا الاتهام مجرد هجاء من أبي نواس وغيره للشاعر أبان فالشاعر يقول ما يحلو له إذا غضب وثارت عصبيته، وإن كان يبدو في الأبيات المذكورة الصفات التي كان يوصف بها الزنديق في العصر العباسي، فهناك إشارة إلى المانوية من أبي نواس.

وفي المعنى نفسه يقول المعذل بن غيلان في هجاء أبان:

(الطويل)

رأيت أباناً يوم فطر مصليا	فقسم فكري واستفزني الطرب
وكيف يصلي مظلم القلب دينه	على دين ماني إن ذاك من العجب[1]

"وكان بالكوفة ثلاثة يقال لهم الحمادون: حماد عجرد وحماد بن الزبرقان، وحماد الراوية، يتنادمون على الشراب، ويتناشدون، وكانوا جميعاً يرمون بالزندقة، وإذا رأى الناس واحداً منهم قالوا: زنديق، اقتلوه"[2]

وهكذا سارت الزندقة جنباً إلى جنب مع الشعوبية، "فقد أدرك الشعوبيون أن أساس السيادة العربية هو الإسلام الذي أخرج العرب من جاهليتهم إلى تلك الحضارة التي فتحوا بها أقطار الأرض، وأنهم لو قضوا على الدين، لكان ذلك قضاءً على الحضارة العربية، فمضوا يهاجمون الإسلام، ويكيدون له ويعملون على نشر الديانات والمذاهب الفارسية من مانوية وزرادشتية ومزدكية[3].

"فالشعوبية والزندقة حركتان تصدران في واقع الأمر عن أصل واحد، وهو كراهية العرب، ومحاولة الانتقام منهم بتشويه الإسلام".[4]

وكان البرامكة يرمون بالزندقة إلا من عصم الله منهم حتى قال الأصمعي بشأنهم:

(المتقارب)

إذا ذكر الشرك في مجلس	أنارت قلوب بني برمك
وإن تليت عندهم آية	أتوا بالأحاديث عن مزدك[5]

([1])- الأغاني، 74/20، طبعة بولاق.

([2])- الطبقات، ابن المعتز، ص69.

([3])-تاريخ الشعر في العصر العباسي د. يوسف خليف، ص22، طبعة 1981م.

([4])- التيارات الأجنبية في العشر العربي منذ العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، د.عثمان موافي، ص257.

([5])- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد لابن العماد الحنبلي، 337/1.

وقد ساعد على انتشار الزندقة في هذا العصر وارتفاع موجتها إلى الذروة عاملان[1]:

أولهما: تلك الحضارة الجديدة التي تدفع الناس دفعا إلى اللهو والتحلل من قيود الدين والاستهتار بشعائره، فتزندق بعض الشعراء خفة وظرافة يقول الشاعر الحصيف:

(الوافر)

تزنـــدق مُعلنـــا ليقـــول قـــوم إذا ذكـــروه زنـــديق ظريـــفُ

وثانيهما: تلك الحياة العقلية التي ازدهرت في العصر العباسي والتي استوعبت جميع الثقافات العقلية الأجنبية من يونانية وفارسية وهندية، وما كانت تنطوي عليه من أبحاث فلسفية وجدل في الإيمان مما كان يثير في نفوس الشباب كثيراً من الشكوك الدينية.

وهنا يجب أن أقف عند نقطة مهمة في تاريخ الزندقة وهي أن كثيراً مـن المجـان قـد رمـوا بالزندقة وليسوا بالزنادقة وإنما اتخذوا هذه الظاهرة ليوسموا بالظرف والفكاهة.

وقد تنبه الخليفة المهدي لانتشار هذه الملل المجوسية المارقة في أمصار العـراق، ورأى فيهـا خطراً على الدولة والإسلام، فأمر باتخاذ ديوان خاص لتعقب من يعتنقهامن المسلمين، ونصـب لها حرباً لا هوادة فيها ولا لين، فكل من تثبت عليه زندقته قدّم وقوداً لتلك الحـرب[2]، "وكـان المتولي أمر الزنادقة عمر الكلواذي"،[3] ويظهر أن الفرس قد نشطوا نشاطاً واسعاً في نشـرها بين الناس، ونشط معهم كثيرُ من الزنادقة يترجمون كتب النحل الفارسية إلى العربية.[4]

ولم ينصب المهدي وخلفاؤه للزنادقة حرب السيف وحدها، فقد نصبوا لهم حرب اللسان بالبرهان القاطع والدليل الساطع.[5]

يقول الدكتور يوسف خليف بشأن الشعراء الذين عرفوا بالزندقة "ويبدو أننا لن نتـردد فـي أن نضع بشاراً على رأس أصحاب الزندقة الدينية وإلى جانب بشار حماد عجرد، وشهرته بالزندقة أوسع من شهرة بشار، وكذلك الشاعر مطيع بن إياس، ويذكر الرواة أن ابنته حـين أحضـرت للخليفة هارون الرشيد للتحقيق معها في تهمة الزندقة اعترفت وقالت "هذا دين علمنيه أبي".[6]

"وعلى كثرة الشعراء الذين عرفوا بالزندقة في هذا العصر لم يصل إلينا من شعرهم إلا أبيـات قليلة، وربما كان السبب في ذلك هو تحرج الرواة من روايته لما فيه من طعن فـي الإسـلام،

([1])- تاريخ الشعر في العصر العباسي د. يوسف خليف، ص19.

([2])-العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، ص80.

([3]) ينظر : البداية والنهاية لابن كثير، 149/10.

([4])-العصر العباسي الأول، د. شوق، ص80.

([5])- المرجع نفسه، ص81.

([6])- في الشعر العباسي نحو منهج جديد، د. يوسف خليف، ص20.

ودعوة صريحة إلى الإلحاد، وربما كان السبب حرص الشعراء أنفسهم على إخفاء هذا الشعر إيثارا للسلامة، في وقت كانت الزندقة فيه تهمة خطيرة تحاسب عليها الدولة[1].

ولكن في الجانب الآخر فقد ثبت تأثير العرب في الفرس من اعتناق الفرس للإسلام ومن شيوع اللغة العربية بينهم، ومن استمرار الفرس في تلقي علم التوحيد من كتب العرب[2].

ثالثاً: المجون:

المجون: لغة واصطلاحاً:

ورد في لسان العرب (مادة مجن) مجن الشيء: إذا صلب وغلظ، ومنه اشتقاق الماجن لصلابة وجهه وقلة استحيائه، والجمع مجّان.

والماجن عند العرب[3]: الذي يرتكب المقابح المرديِة والفضائح المخزية، ولا يمضّهُ عَذلُ عاذلِه ولا تقريع من يقرعُه.

والمجْنُ: خلط الجِدّ بالهزل، والمجون: أنْ لا يبالي الإنسان بما صنع[4].

ومن هذا نعرف المجون في الاصطلاح: بأنة ارتكاب الأعمال المخلّة بالآداب العامة والعرف والتقاليد دون تستر أو استحياء، وبهذا التعريف نجد أنّ المجون ظاهرة خطيرة في أيَّ مجتمع إنساني.

ولعل مجتمعا عربياً لم يعرف اللهو والمجون كما عرفها المجتمع العباسي في "العصر الأول فقد غرق الناس في الكوفة والبصرة وبغداد في الحضارة الفارسية، وما يطوى عليها من خمر وغناء".[5]

ويصف الدكتور طه حسين بدء انتشار المجون بقوله "لم يكد يبتدئ القرن الثاني الهجري حتى ظهر المجون وانتشر ووصل قصور الخلفاء، ثم كانت ثورة العباسيين فتم انتصار الفرس على

([1])- ينظر : تاريخ الشعر في العصر العباسي د. يوسف خليف، ص25.

([2])- حضارة العرب: جوستاف لوبون، ص201.

([3])- لسان العرب: لابن منظور، (مادة مجن بان النون فصل الميم)

([4])- المصدر نفسه، (مادة مجن).

([5])- ينظر : الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د. شوقي ضيف،ص100، الطبعة العاشرة، بدون تاريخ.

العرب، وانتقل مركز الخلافة من الشام إلى العراق، وأصبح الأدب عراقياً، لا شامياً ولا بدوياً، أي أصبح خاضعاً من كثب، لتأثير الفرس وحضارة الفرس فتم انتصار العبث والمجون(1)".

"ولكن الحقيقة أنّ نزعة اللّهو لم تكن وليدة العصر العباسي وحده، وإنمّا بدأت مع مطالع القرن الثاني الهجري، فلم يكد ينقضي القرن الأول الهجري، وتنقضي معه خلافة العادل عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين حتى بدأت هذه الموجةُ في الظّهور، وبدأنا نسمع عن البلاط الأموي، وما كان ينتشر فيه من أسباب الخلاعة والتحلل".(2)

وفي منتصف القرن الثاني الهجري مضت بغداد تشق طريقها لتصبح المركز الأول للحضارة العباسية بكل ما فيها من مظاهر الترف والنعيم والثراء واللهو والمجون.

وفي منتصف القرن الثاني الهجري، انفتح العصر العباسي على مختلف المؤثرات البشرية والاجتماعية والثقافية والحضارية والفكرية نتيجة لطبيعة الحياة المستقرة التي عاشها العرب المسلمون في البلاد المفتوحة وما ترتب على هذا الاستقرار من تمازج بين العرب وبين سكان تلك البلاد المفتوحة مما أفسح المجال أمام العرب للاطلاع على ثقافات وحضارات ومدنيات تلك الأمم، ناهيك عن تغلغل الأعاجم في مختلف نواحي الحياة.

وهناك ربط بين المجون والزندقة والشعوبية، وخاصة أنّه وُجد الكثير من الشعراء الكبار الماجنين من الموالي، بل من المتعصبين ضد العرب، والذين قادوا الحملة الشعوبية التي سعت في العصر العباسي إلى هدم مقومات المجتمع الإسلامي(3).
وما زال هذا اللون من الشعر يستشري، ويزداد إعجاب الناس به حتى احتلّ مطالع القصائد عند المادحين من أهل المجون.
وكان بشار بن برد في البصرة، لا يتغنى بالخمرة فحسب، بل أكثر ما يتغنى به وصف ما يدور بين الرجل والمرأة من علاقات حسية"(4).

---

(1)- حديث الأربعاء، طه حسين، 82/2، نشر دار المعارف بمصر، 1964م.
(2)- تاريخ الشعر في العصر العباسي: تأليف الدكتور يوسف خليف، ص32. دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة، 1981م.
(3)- ينظر كتاب أدب العرب: مارون عبود، ص182.
(4)- الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د. شوقي ضيف، ص103.

بل وصلت به المجاهرة باللذة وارتكاب المحرمات إلى تحليل القبلة، وهذا اتجاه خطير في المجون، فهو يقول:

(البسيط)

قالوا: حرام تلاقينا فقلت لهم ... ما في التلاقي ولا في قبلة حرج

من راقب الناس لم يظفر بحاجته ... وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

ومن هذه القصيدة:

لو كنت تلقين ما نلقى قسمت لنا ... يوماً نعيش به منكم ونبتهج

لا خير في العيش إن كنا كذا أبداً ... لا نلتقي وسبيل الملتقى نهج

أشكو إلى الله هماً ما يفارقني ... وشرعاً في فؤادي الدهر تعتلج[1]

وأبو نواس لا يكتفي بالمجاهرة ولكنه يؤكد إصراره على المضيّ في الفساد والغيّ بقوله:

(مجزوء الرمل)

لستُ بالتاركِ لذّا ... تِ النّدامى للصّلاح

قل لمن يبغي صلاحي ... بعت رشدي بطلاحي

ظفرتْ كَفُّ أديب ... باع براً بجناح

أطْيبُ اللذّات ما كا ... نَ جهاراً بافتضاح[2]

ويبدو أنّ أبا نواس قد سار على نهج بشار بن برد في الدعوة للفسق والفجور، فنراه في هذه الأبيات يمزج بين الخمر والمجون والكفر بقوله:

(الطويل)

ألا فاسقني خمراً، وقل لي: هي الخمر ... ولا تسقني سراً إذا أمكن الجهرُ

فَبُحْ باسم من تَهوى، ودَعْني من الكنى ... فلا خير في اللذات من دونها سِترُ

ولا خير في فتكٍ بدون مَجانةٍ ... ولا في مجونٍ ليس يتبعُهُ كُفْرُ،[3]

وهذا سلْم الخاسر تلميذ بشار في المجون والخلاعة يدعو بصراحة إلى المجون بقوله:

([1])- ديوان بشار، ص236.

([2])- ديوان أبي نواس، تحقيق بدر الدين حاضري، محمد حمامي، ص158.

([3])- المصدر نفسه، ص:226.

(السريع)

مـــن راقـــب النـــاس مـــات غمـــاً   وفـــــاز باللـــــــذة الجســـــور

فهذه دعوة صارخة لاقتحام اللذات والإباحية الجنسية دون حياء أو خوف وهذا البيت قد اشتهر وتردد على الألسنة؛ لأن قائله قد تأثر فيه ببيت بشار بن برد:

(البسيط)

من راقـــب النـــاس لـــم يظفـــر بحاجتـــه   وفـــاز بالطيبـــات الفاتـــك اللهـــج

فأخذ سلم المعنى وجاء بألفاظ أجود وأفصح، فلما بلغ ذلك بشاراً قال: ذهب والله بيتي، لوددت أن ولاءه لغير آل أبي بكر الصديق فأقطعه وقومه بهجوى[1]".

ويقول والبة[2] بن الحباب مخاطباً صديقه الشاعر أبا سلهب:

(الوافر)

شـــربت وفاتـــك مثلـــي جمـــوحُ   يغمـــــى بـــــالكؤوس وبـــــالبواطي
يعـــــاطيني الزجاجـــــة أريحـــــي   رخـــيم الـــدل بـــورك مـــن معـــاط
فمـــا خيـــر الشـــراب بغيـــر فســـق   يتابعـــــــه زنـــــــاء أو لـــــــواط[3]

إن شرب الخمرة يقود إلى الزنا والتحلل من الأعراف والتقاليد والقيم ويؤدي إلى ضعف الإيمان. ويذكر صاحب الأغاني[4] قائلاً، اجتمع يوماً أبو نواس وحسين الخليع وأبو العتاهية وهم مخمورون فقالوا أين نجتمع؟ فقال القراطيسي:

(مجزوء الوافر)

ألا قومــــــــوا بـــــــأجمعكم   إلـــــــى بيـــــــت القراطيســـــــي
لقـــــد هيـــــا لنـــــا المنـــــزل   غـــــــلام فـــــــاره طوســـــــي
وقـــــــد هيـــــــا الزجاجـــــــات   لنـــــــا مـــــــن أرض بلقـــــــيس
وألوانـــــــاً مـــــــن الطيـــــــر   وألوانـــــــاً مـــــــن العـــــــيس
وقينـــــــات مـــــــن الحـــــــور   كأمثـــــــال الطـــــــواويس

([1])- طبقات الشعراء: لابن المعتز، ص100.

([2])- والبة بن الحباب من بني أسد نشأ في الكوفة، ومن شعراء الدولة العباسية يكنى أبا أسامه وهو أستاذ أبي نواس، وكان ظريفاً شاعراً غزلاً وصافاً للشراب والغلمان المرد، وكان يجتمع مع مطيع ابن إياس وبشار بن برد على الشراب وقول الشعر، (ينظر الأغاني148/16).

([3])- الأغاني للأصفهاني، 151/16.

([4])- المصدر نفسه، 89/20.

والناظر في معنى هذه الأبيات يجد الصلة بين المجون والخمرة والإباحية في الاجتماع مع القيان والغلمان.

لهذا من الصعب أنْ نفصل بينَ المجون والشعوبية والإلحاد والكفر خاصة عند هذين الشاعرين اللذين ارتبط اسمهما بالشعوبية،أعني بشاراً وأبا نواس ومع ذلك فقد وجد شعَراء ماجنون، لم يتصلوا بالشعوبية بل دعاهم إلى المجون عوامل أخرى منها: اجتماعية وثقافية وحضارية.

"وساعد في انتشار هذه الموجة عاملان: ظهور مذاهب شاكّة بلبلت الأفكار وعلى رأسها مذاهب الزنادقةِ والدّهريين، ثم انتشار دُور القيان والغناء[1]".

ويمثّل ذلك المجون صراحة وخلاعة الشاعر مطيع[2] بن إياس:

(مجزوء الكامل)

اخلع عذارك في الهوى	واشرب معتقة الدّنانِ
وصِلِ القبيح مجاهراً	فالعيشُ في وصلْ القيانِ
لا يهلينّك غير ما	تهْوى فَإن العمرْ فانِ[3]

وخير ما يمثّل المجتمع الماجن قصيدة أبي العتاهية:

(مجزوء الكامل)

لهفي على الزمن القصير	بين الخورْنق[4] والسدير
إذ نحن في غرف الجنا	نِ نعومُ في بحر السّرور
في فتية ملكوا عنا	نِ الدّهر أمثال الصقور
يتعاورون مدامةً	صهباء من حلب العصير[5]

إلى أن يقول:

ومخصرات زرننا	بعد الهدوّ من الخدور
غُرّ الوجوه مُحجبا	تٍ قاصرات الطرف حور

([1])- الفن ومذاهبه في الشعر العربي. د. شوقي ضيف، ص100.

([2])- مطيع بن إياس شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان ظريفاً خليعاً، حلو العشرة مليح النادرة، متهماً في دينه بالزندقة، ويكنى أبا سلمى— ومولده ومنشأه الكوفة وكان أبوه من أهّل فلسطين (ينظر الأغاني، 80/12).

([3])- الديارات، الشابشتي، تحقيق كوركيس عواد، ص: 166، الطبعة الأولى بغداد، 1951م.

([4])- الخورنق والسدير: قصران تروي الأساطير أن النعمان الأكبر بناهما بالقرب من الكوفة.

([5])- ديوان أبي العتاهية، ص212.

متنعمـــــــــاتٍ فـــــــي النعـــــيم مضـــــــــمخاتٍ بـــــــــــالعبير
يـــــرفلن فـــــي حُلـــــل المحـــــا ســـــن والمجاســـــد[1] والحريـــــر

ويبدو أن أبا العتاهية قد تأثر بقصيدة المنخل اليشكري التي يقول فيها:

(مجزوء الكامل)

ولقـــــد دخلـــــت علـــــى الفتـــــا ة الخـــــدر فـــــي اليـــــوم المطيـــــر
الكاعـــــب الحســـــناء تـــــر فـــل فـــي الـــدمقس وفـــي الحريـــر
فـــــــدفعتها فتـــــــدافعت مشـــــي القطـــــاة إلـــــى الغـــــدير
فلثمتهـــــــا فتنفســـــــت كتـــــــنفس الظبـــــــي البهيـــــــر
ولقـــــد شـــــربت مـــــن المـــــدا مـــــة بالصـــــغير وبـــــالكبير
فـــــإذا ســـــكرت فـــــإنني رب الخورنـــــق والســـــدير
وإذا صـــــــحوت فـــــــإنني رب الشـــــــويهة والبعيـــــــر
يـــــا هنـــــد مـــــن لمتـــــيم يـــــا هنـــــد للعـــــاني الأســـــير[2]

ويذكر صاحب الأغاني أن المنخل قد قتل بسبب مجونه وخلاعته، قتله النعمان بين المنذر؛ لأنه وجده مع زوجته المتجردة[3].

والناظر في هاتين القصيدتين يجد مدى تأثر أبي العتاهية بالمنخل اليشكري في القافية وفي البحر وفي تكرار بعض الألفاظ مثل الخورنق، والسدير، وترفل، والحرير والدمقس وفي ذكر الخمرة والحديث عن النساء الجميلات والسهر معهن.

رابعاً: الغزل بالمذكر (الغلمان):

بدأ هذا النوع المنحرف من الغزل في شعر أبي نواس خلال النصف الأخير من القرن الثـــاني للهجرة، ومنذ ذلك الحين والشعراء يخوضون فيه دون تحرج أو مبالاة[4]، يقول أبو نواس فـــي الغزل بالمذكر:

([1])- المجاسد: جمع مجسد، وهو القميص الذي يلي البدن.
([2])- الأغاني: الأصفهاني، 154/18.
([3])- المصدر نفسه، 154/18.
([4])- الشعر العربي بين الجمود والتطور، محمد عبد العزيز الكفراوي، ص97.

(السريع)

يــا ماســح القُبلــة مــن خَــدّه — مــن بعــد مــا قــد كــان أعطاهــا

خشــيت أن يعــرفَ إعجامهــا — مــولاك فــي الخــدّ فيقراهــا

ولــو علمنــا أنّــه هكــذا — كُنّــا إذا بُســنا مســحناها[1]

فهذا غزل وليد حضارة جديدة، جعلت الجمع بين الأجناس المختلفة وبين الإناث والذكور من السهولة واليسر.

والجديد في غزل أبي نواس بالمذكر شيوع اصطلاحات أصحاب الكلام والفقه والمنطق[2]، مثل قوله[3]:

(الوافر)

فــلان جــاد لــي بعــد امتنــاعٍ — كــذاك الله يفعــل مــا يريــد

ولقد فاضل أبو نواس بين الغلام والجارية، وفضّل الغلام على الجارية في أشعاره "وعدّ الجاحظ ما قاله أبو نواس في تمليح الغلمان وذم النساء من الهزل[4].

وتتنوع الآراء في تفسير ظاهرة الميل إلى الغلمان في العصر العباسي الأول، فبعضهم يراه مظهراً حضارياً مألوفاً في الحضارات الإنسانية الكبرى، حيث ينشأ الميل إلى حب الجنس نفسه، وبعضهم يجعله أثراً من آثار بروز العنصر الفارسي وبخاصة عقيدة المانوية، والتي كان من مظاهرها السلوكية استخدام الرّجل غلاماً أمردَ في قضاء شؤونه، وهو من جهة أخرى يتفق مع التفسير الحضاري لشيوع تلك الظاهرة، فيرى فيه مظهراً من مظاهر التحضّر[5].

أياً كانت الآراء في مَيل أبي نواس للغزل بالمذكر، فلقد كان السقاة الغلمان، مداراً لأكثر أشعار أبي نواس في الغزل بالمذكر، وهذا النوع من الغزل فيه المعنوي[6] وفيه الحسي الفاحش الذي

([1])- ديوان أبي نواس، تحقيق بدر الدين حاضري، محمد حمامي، ص593.

([2])- حركة الشعر العباسي في مجال التجديد بين أبي نواس ومعاصريه، د. حسين خريس، 153/2.

([3])- ديوان أبي نواس تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، ص419، طبعة آصاف القاهرة.

([4])- ينظر: حركة الشعر العباسي في مجال التجديد بين أبي نواس ومعاصريه، د. حسين خريس، 160/2.

([5])- في الأدب العباسي، الرؤية والفن، د. عز الدين إسماعيل، ص:398.

([6])- ينظر كتاب: أبو نواس شاعر الخطيئة والغفران، د. محمد حمود، ص168.

يتضمن سمات الغلام في التقاطيع البارزة والقد الممشوق، والتّبذّل في الحركات والحديث والتدلل والتخنث وذلك قوله[1]:

(الوافر)

غنيــت عــن الكواعــب بـالغُلام | وعــن شــرب المــروّق بالمُــدام
وعــن سُــبُل الرشــاد بِطُــرقِ غَــيّ | وعــن طلــب المحلــل بــالحرام
عَشــقتُ لِشــقوتي، رشــأربيباً | رخــيمَ الــدلّ مجنــوح الكــلام
كــأن جبينــه قمــر تَــلألا | عــداه الــدُّجْن مــن خَلَــل الفِحــام

يقول أيضاً[2]:

(البسيط)

يسـعى بهـا خَنِـث فـي خُلْقِـه دمَـث | يستأثر العـينَ مـن مسـتدرج الرائـي
مُقــرّط وافِــر الأرداف ذو غــنج | كــأنّ فــي راحتيــه وســمَ حِنّــاء
قــد كَسّــرَ الشَّــعْرَ واواتٍ ونَضّــده | فــوق الجبــين وردّ الصّــدغ بالفــاء

فأبو نواس يصف ساقياً من الغلمان المخنثين الذين كانوا يتشبهونَ بالنساء في تصـفيف الشـعر والغنج والدّلال.

وهكذا يتحرك معظم شعراء الغزل بالمذكر في إطار الغزل بالمرأة، سواء من حيث الأوصاف الحسية أو العلاقات المعنوية.

ومن الشعراء الذين اشتهروا في هذا الفن يوسف بن حَجاج الثقفـي والحسـين بـن الضـحاك والخاركي وسعيد بن وهب قبل أن يتنسك، والحقيقة إنّ أحداً لم ينظم في التغزل بالمذكر مثلمـا نظم الحسين بن الضحاك[3]، حتى ليعد الشاعر الأوّل في هذا الفن، ويعد غزله معنوياً بعيداً عن الفُحش الذي نجدُه عند أبي نواس[4].

([1])- ديوان أبي نواس تحقيق بدر الدين حاضري، محمد حمامي، ص507.

[2]- ديوان أبي نواس، تحقيق بدر الدين حاضري، محمد حمامي، ص38.

[3]- الحسين بن الضحاك: مولى لباهلة وهو بصري المولد والمنشأ، من شعراء الدولة العباسية وأحد ندماء الخلفاء من بني هاشم، شاعر أديب ظريف مطبوع حسن التصرف في الشعر، لشعره قبول ورونق صاف، وكان أبو نواس يأخذ معانيه في الخمر فيغير عليها، كان يلقب الخليع والأشقر، هاجى مسلم بن الوليد فانتصف منه وله غزل كثير جيد، مات في خلافة المستعين. (الأغاني، 170/6)

[4]- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، د. محمد مصطفى هدارة، ص: 522.

فمن أشعار الحسين بن الضحاك الخليع في الغزل بالمذكر قوله في غلام[1]:

(المديد)

أيهـــا النفـــاّثُ فـــي العُقَـــد	أنـــا مَطـــويّ علـــى الكمـــدِ
إنّمـــا زخرفـــت لـــي خـــدعاً	قَـــدَحَتْ فـــي الـــروح والجســـد
ليـــت شـــعري بعـــد حلفـــك لـــي	بوفـــاء العَهـــدِ بَعْـــد غـــد

وقال مَتغزلاً في شفيع، خادم الخليفة المتوكل بالله، لماّ أحب المتوكل منادمته ليرى ما بقي مــن شهوته وكان المتوكل قد أوعز إلى خادمه العبث به فطلب الحسين دواة وقرطاساً وكتــب هــذه الأبيات[2]:-

(الطويل)

وكـــالوردة الحمـــراء حَيّـــا بـــأحمرَ	من الورد يمشي فـــي قراطـــق كـــالوردِ
لـــه عبثـــات عنـــد كـــل تحيّـــة	بعينَيـــه تســـتدعي الحلـــيم إلـــى الوجـــدِ
تمنيـــت أن أُســـقى بكفيـــه شُـــربة	تـــذكرني مـــا قـــد نســـيت مـــن العهـــدِ
ســـقى الله دهـــراً لـــم أبِـــت فيـــه ليلـــةً	خلياً ولكـــن مـــن حبيـــبٍ علـــى وَعْـــدِ

ومن شعره في الغزل بالمذكر قوله في غلام، كثير الاعتداد بنفسه:

(مجزوء المقتضب)

عـــــالِم بِحبيـــــه	مطُـــرق مـــن التيـــه
لا وحَـــقّ مـــا أنـــا مـــن	عطفـــه أرجيـــه
النعـــيم يشـــغله	والجمـــال يطغيـــه
فهـــو غيـــر مكتـــرثٍ	للـــذي ألاقيـــه[3]

---

[1]- الأغاني للأصفهاني، 183/6، طبعة بولاق، سنة 1970م، ينظر كتاب اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، د. محمد مصطفى هدارة، ص527.

([2])- الأغاني، 183/6، طبعة بولاق.

([3])- الحسين بن الضحاك "الشاعر الخليع- د. محمد حمود، ص145.

ومن أشعاره في الغزل بالمذكر قوله:

(المنسرح)

أحيت صبوحي فكاهة اللاهي وطاب يومي لقرب أشباهي

فاستثر اللهو من مكامنه من قبل يوم منغص ناه

يا ابنة كرم من كف منتطق مؤتزر بالمجون تياه

يسقيك من طرفه ومن يده سقي لطيف مجرب داه

كأساً فكأساً كأن شاربها حيران بين الذكور والساهي[1]

حتى الشاعر أبو تمام لم يخل شعره من هذا الغرض فيقول في غلام، طغى جماله على قلبه وحسه وشعوره فشغله عن كل شيء حتى عن السنن[2]:

(المديد)

لو تراه يا أبا الحَسَنِ قمراً أوفى على الغُصُن

قمراً أَلْقَت جواهِرُه في فؤادي جَوْهر الحَزَنِ

كل جزء من محاسنه فيه أجزاء من الفتن

لي في تركيبه بِدع شغلت قلبي عن السُّنن

والغزل بالمذكر يصوّر في حقيقة الأمر مدى ما وصلت إليه الحضارة من انحطاط في العصر العبّاسي، وكان أكثر الشعراء في هذا الفن وخاصة الفساق منهم من الأجانب وعنهم انتقل إلى بقية الشعراء في القرنين الثاني والثالث الهجريين.[3]

وموضوع هذا الغزل جديد، لم يعرفه الشعر العربي قبل القرن الثاني الهجري ولو عرفه العرب لكان أعداؤهم من الشعوبية، قد سجلوا ذلك عليهم.[4]

وأختم الحديث بما قاله الدكتور حسين خريس، و"إنّ غزل أبي نواس في الغلمان لا يُمثل قمة شذوذه فحسب، بل هو قمة شذوذ العصر؛ لأنه أخلى الغزل من موضوعه الأصلي وهو المرأة،

([1])- الأغاني، 193/6.-

([2])- شرح ديوان أبي تمام،ايليا الحاوي، ص776.

([3])- التيارات الأجنبية في الشعر العربي منذ العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، د. عثمان موافي، ص279، مؤسسة الثقافة الجامعية، 1973.

([4])- المرجع نفسه، ص284.

لينحرف به إلى التعبير عن علاقة شاذة منحرفة، ولم يُثر فن من فنون أبي نواس ضجة كالضجة التي أثارها غزله في الغلمان".[1]

ولا بد من الرجوع بشيء من مبالغات أبي نواس في الولع بالغلمان إلى البدعة التي نشأت في زمانه ولم تكن لها سابقة في الأدب العربي قبله فلم يسمع عن شاعرٍ من الجاهليين والمخضرمين أنه نظم الشعر غزلاً بالمذكر.[2]

وأما عبث أبي نواس في حياته فهو عبث شديد، ولعله أول شاعرٍ أجرى هذا اللون من الأدب المكشوف عارياً مفضوحاً.

وأما وصفه الغلمان والتشبيب بهم فخلاعة عارية بالتأكيد وشذوذ معاب وهو ليس بمعذور فيه إلا في كونه كان صريحاً صادقاً لم يكذب ولم يتكلف المراء، كما يفعل سواه من الماجنين العابثين.[3]

ولقد أثار أبو نواس اهتمام المستشرقين، كما أثار اهتمام العرب، فدرس شعره المستشرقان نولدكه وفون كريمر، ومهما يكن من أغراض شعره فقد جاء شعره مرآةً لحياته.

خامساً: الغزل بالجواري والغلاميات:

شاع الغزل في العصر الجاهلي والإسلامي والأموي، وكان يسير في ثلاثة تيارات هي: تيار الغزل التقليدي، وتيار الغزل الصريح، وتيار الغزل العذري.

أما في العصر العباسي فقد اختلفت صورة الغزل تبعاً للمتغيرات الجديدة التي طرأت على الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية، ويعد أبو نواس زعيم الغزل بالغلاميات.[4] وقد فرضت الجواري سلطانها الأخلاقي والاجتماعي والثقافي على غزل الشاعر أبي نواس فظهرت المناجزات الغزلية الشعرية، فوقف كل من الشاعر والجارية موقف الند للند في صراحة وحرية، من غير إحساس بحياء أو تقدير لأي اعتبار، وهذه العلاقات الجديدة في العصر العباسي قربت بين الرجل والمرأة.[5]

فمن شعر أبي نواس في الغزل، غزله بجارية اسمها جنان:

([1])- حركة الشعر العباسي في مجال التجديد بين أبي نواس ومعاصريه،د. حسين خريس، 140/2.

([2])- أبو نواس الحسن بن هاني، عباس محمود العقاد، ص139، دار الهلال.

([3])- أبو نواس في تاريخه وشعره ومبانله وعبثه ومجونه، ابن منظور المصري، ص246، ط2، 1919م.

([4])- ينظر: حركة الشعر العباسي في مجال التجديد بين أبي نواس ومعاصريه، د. حسين خريس، 110/2.

([5])- المرجع نفسه ، 122/2.

باتت تتأثر قليلاً بالثقافات الأجنبية المتزايدة عن طريق الترجمة والنقل، فاليونان عرفوا الشعر التعليمي ونظموا فيه ولا سيما ما يتعلق منه بتاريخ آلهتهم، وبحياتهم الاجتماعية، وبحروبهم. (1)

ولقد أشرت إلى نظم اليونان في الشعر التعليمي في بداية الفصل التمهيدي بعنوان تاريخ الصراع الحضاري، وذكرت أن الشاعر اليوناني هيسيودوس قد نظم قصيدتي الأعمال والأيام وأنساب الآلهة.

وأول الشعراء الذين نظموا في هذا الفن أبو يعقوب الخريمي فهو صاحب ثقافة واسعة، "نظم أطول قصيدة في رثاء بغداد حين تعرضت للمحن الكثيرة الشديدة أيام حرب الأمين والمأمون".(2)

وهذه القصيدة تبلغ مائة وخمسة وثلاثين بيتاً، صور فيها كل ما حل ببغداد من ألوان الخراب والدمار والحريق، وهذه بعض أبياتها:

(الرجز)

قالوا: ولم يلعب الزمان ببغـ	ـداد وتعثر بها عواثرها
إذ هي مثل العروس باطنها	مشوق للفتى وظاهرها
فلم يزل والزمان ذو غير	يقدح في ملكها أصاغرها
حتى تساقت كأساً مثملة	من فتنة لا يقال عاثرها
وافترقت بعد ألفة شيعاً	مقطوعة بينها أواصرها(3)

فكان الخريمي من أوائل الشعراء الذين شقوا الطريق إلى رثاء المدن والممالك الذي شاع في الأندلس.

ولذلك فإن قصيدة الخريمي على الرغم مما حوته من لمسات فنية كثيرة، فهي في واقعها رصد لأحداث التاريخ في الدولة العباسية، لذا فإنها تدخل في باب الشعر التعليمي، ويمكن اعتبارها نواة للشعر التعليمي الذي نما وترعرع بعد ذلك على يد عبد الله بن المعتز في أراجيزه والتي تعد وثائق تاريخية واجتماعية لحياة الدولة العباسية، وفي ذلك يقول ابن المعتز مصوراً الظلم الذي كان متفشيا في بغداد فجاء الخليفة المعتضد فقضى عليه.

---

(1)- المختار من الشعر والشعراء في العصر العباسي، تأليف الدكتور محمد محمود قاسم نوفل، ص279، الطبعة الأولى، مطبعة، واوفست النصر، نابلس، 1981م.

(2)- رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية، د.مصطفى الشكعة، ص406.

(3)- ديوان الخريمي، ص27-28.

فكم وكم من رجل نبيل ... ذي هيبة ومركب جليل

رأيته يعتل بالأعوان ... إلى الحبوس وإلى الديوان

حتى أقيم في جحيم الهاجره ... ورأسه كمثل قدر فائره

وجعلوا في يده حبالا ... من قنب يقطع الأوصالا

وعلقوه في عرى الجدار ... كأنه برادة في الدار

وجاءه الأعوان يسألونه ... كأنهم كانوا يذللونه

فالآن زال كل ذاك أجمع ... وأصبح الجور بعدل يقمع

ولا بني بان من الخلائف ... ولا ملوك الروم والطوائف

كما بني من أعجب البناء ... لا زال فينا دائم البقاء[1]

وفي العهد الأندلسي وامتداداً لهذا الفن الشعري الهام، قام الشاعر أحمد بن عبد ربه الأندلسي بنظم أرجوزة زادت على 450 بيتاً، أرخ فيها لعشرين حرباً من حروب أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد أشهر ملوك الأندلس، وهي:

(الرجز)

سبحان من لم تحوه أقطار ... ولم تكن تدركه الأبصار

ومن عنت لوجهه الوجوه ... فما له ند ولا شبيه

حتى يقول:

أقول في أيام خير الناس ... ومن تحلى بالندى والباس

ومن أباد الكفر والنفاقا ... وشرد الفتنة والشقاقا[2]

ويقول في أول غزوة غزاها الأمير عبد الرحمن بن محمد:

([1])- ديوان ابن المعتز، ص494-495، دار صادر، بيروت، 1961.

([2])- العقد الفريد، أحمد ابن عبد ربه الأندلسي، 225/5. تحقيق محمد سعيد العريان، دار الفكر ، 1940.

(الرجز)

ثـــم انتحـــى جيـــان فـــي غزاتـــه بعســـــكر يســــعر مــــن حماتـــــه

فاســـتنزل الـــوحش مـــن الهضـــاب كأنمـــا حطـــت مـــن الســـحاب

فأذعنـــــت مراقهـــــا ســـــراعا وأقبلـــت حصـــونها تـــداعى[1]

وأخذ ابن عبد ربه يحدد السنوات في كتابه العقد الفريد وينظم أرجوزته الطويلة ذاكراً أسماء الغزوات التي خاضها الأمير عبد الرحمن حتى سنة 321هـ حيث اختتم ارجوزته بهذا البيت:

وأمـــن القفـــار مـــن أنجاســـها وطهـــر الـــبلاد مـــن أرجاســـها[2]

وقد عمل الشاعر أبان بن عبد الحميد اللاحقي، شاعر البرامكة، على إشاعة هذا الفن الشعري الجديد حين نظم كتاب "كليلة ودمنة" الذي كان ابن المقفع قد ترجمه من الفارسية إلى العربية- في نحو خمسة آلاف بيتٍ من المزدوج، وفَرغ منه في أربعة أشهر، كما نظم كتاب سيرة أردشير وكتاب سيرة أنوشروان[3]، وقد نظم أبان في الأحكام المتعلقة ببابي الصوم والزكاة وصنع قصيدة في مبدأ الخلق.[4]

وهذان البيتان من أرجوزته كليلة ودمنة يقول فيهما:

(الرجز)

هـــــذا كتـــــاب أدب ومحنـــــة وهـــو الـــذي يـــدعى كليلـــة ودمنـــة

فيـــه احتيـــالات وفيـــه رشـــد وهـــو كتـــاب وضـــعته الهنـــد[5]

وعلى قبسٍ من عمل أبان، ينظم "أبو العتاهية مزدوجته التي سماها "ذات الأمثال" وتتضمن حكماً وأمثالاً، ويقال إنها كانت تبلغ أربعة آلاف بيت".[6]

(1)- العقد الفريد، أحمد ابن عبد ربه الأندلسي،227/5

(2)- المصدر السابق، 246/5

(3)- في الأدب العباسي الرؤية والفن، د. عز الدين إسماعيل، ص407.

(4)- العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، ص191.

(5)- الأغاني 73/20 طبعة بولاق

(6)- المصدر نفسه، 143/3.

وقد كان من الممكن لهذا الفن أن يتطور إلى نوع من الشعر الملْحمي، ففيه نَفَسُ طويل، ولكن ما يؤسف له أنهَ تطور في اتجاه آخر لا ينتمي في كثير أو قليل إلى الفن الأدبي بل متون يحفظها المتعلمون في تحصيل المادة التعليمية[1].

على أن الشاعر العباسّي استطاع أن يشُتق من الشعر القديم موضوعات جديدةً مستلهما البيئة الحضارية والحياة العقلية، فجاء الشعر التعليمي مثالاً على هذا التطور الذي سّجل فيه الشّاعر العباسي كثيراً من القصص والتاريخ والدين والعلم والحكمة شعراً سَهْلاً استطاع المتعلّمون أن يستوعبوه دون جهد أوْ عناء.

سابعاً: الزُهد:

الزهد في اللغة، كلمة مشتقة من الفعل زهدَ ومصدره زُهداً وزهادةً، ومعناها: أعرض عنه وتركه لاحتقاره، أو لتحرجه منه، ويقال: زهد في الدنيا: ترك حلالها مخافة حسابه. وترك حرامها مخافة عقابه، والزهادة في الشيء: خلاف الرغبة فيه، وأخذ أقل الكفاية، والرضا باليسير مما يتيقن حله وترك الزائد على ذلك لله تعالى[2].

الزّهد هو التخلي عن متع الدنيا ومباهجها والانقطاع إلى العبادة طمعاً في نعيم الأخرة، ومرضاة الله عز وجل، فمع ما كان في المجتمع العباسيّ من مجونٍ وزندقة وشعوبية وغـزل بالمذكر والجواري والغلاميات وما صاحبه من خمرٍ وغناء ومظاهر ترفٍ مختلفة، فإنّ ذلك كلّه لم يكن إلاّ عند طوائفَ محدودةٍ وطبقات معينة في المجتمع العباسي، أما عامَة الناس فإنهم لم يكونوا يعرفون ترفاً ولا زندقة، فإن المساجد وحلقات العلم والقرآن قد امتلأت بالعبّاد والنسّاك والزّهّاد الذين آثروا الحياة الأخرة على الحياة الدنيا، وانتشرت في المجتمع حلقات الوعظ التي تذكرُ النّاس بالله واليوم الآخر وتحذرهم من الانغماس في الملذّات والجري وراء متع الدنيا الزّائل.

" وقد اشتهر في هذا العصر عدد كبير من الزّهاد والنسّاك الذين كانوا يحيون حياة كلها تقشف وانقطاع إلى الله عز وجل ومن هؤلاء إبراهيم بن أدهم المتوفى سنة 160هـ، وسفيان الثوريّ المتوفى سنة 161هـ، وداود الطائي المتوفى سنة 165هـ، ورابعة العدويّة المتوفاة سنة 180هـ"[3].

---

(1)- ينظر في الأدب العباسي الرؤية والفن، د. عز الدين إسماعيل، ص408.

(2)- المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس ورفاقه، مادة زهد.

(3)- الأدب في ظل الخلافة العباسية، د. على جميل مهنا، ص64.

ولم يقتصر دور الزّهاد والعبّاد عند الوعظ باللّسان، بل كانوا يقتحمون أبواب الخلافة ليعظوا الخلفاء، كما أنّهم لم يقفوا موقفاً جامداً إزاء موجة المجون والانحلال.

ومثلت هذه الأشعار الظاّهرة الزّهدية بكثرة في العصر العبّاسي.

تقول رابعة العدوية[1]: (المتقارب)

أحبّك حبّين: حبَّ الهوى وحبّاً لأنّك أهل لذاكا

فأمّا الذي هوَ حبُّ الهوى فشغلي بذكرك عمّن سواكا

وأمّا الذي أنت أهل له فكشفك للحجب حتّى أراكا

فلا الحمدُ في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمدُ في ذا وذاكا

ومما لا شك فيه، فإن حبّ الذاتِ الإلهية كان من أسس مذهب رابعة الزهدي، فلم تكن رابعة مجرد متنسكة زاهدة، ولكنها تُعدُ من أوائل الشعراء الصوفيين.

ويدور الزمن بعض دورات وإذا نزعات الزهد والتصوف تتواصل في العصور التالية للعصر العباسي فابن الفارض له مجاهدات روحية تستمد فلسفتها من مبادئ الإسلام فأكثر الحنين إلى مكة المكرمة، وحب الذات الإلهية وقد تأثر برابعة العدوية في أشعاره، ومن ذلك قوله:

(الخفيف)

تـه دلالاً فأنت أهل لذاكا وتحكم فالحسن قد أعطاكا

ولك الأمر فاقض ما أنت قاضٍ فعلي الجمال قد ولاكا

وتلافي إن كان فيه ائتلافي بك عجل به جعلت فداكا

وبما شئت في هواك اختبرني فاختياري ما كان فيه رضاكا

فعلى كل حالة أنت مني بي أولى إذ لم أكن لولاكا

وكفاني عزاً بحبك ذلي وخضوعي ولست من أكفاكا

فاتهامي بالحب حسبي وانـي بين قومي أعد من قتلاكا[2]

غير أن ابن الفارض قد ارتفع بأسلوبه ورموزه الصوفية عن فهم العامة.

([1])- شهيدة العشق الإلهي "رابعة العدوية" ، عبد الرحمن بدوي، ص64.

([2])- ديوان ابن الفارض، تحقيق كرم البستاني، ص156، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعةوالنشر، بيروت، 1957م.

وقد يحسب الناظر في أبيات ابن الفارض أنها شعر غزلي بامرأة، وقد يبدو صعباً أن يميز بين شعر الغزل العادي والشعر الصوفي، ولكن الأمر في حقيقته ذلك المذهب المتمثل في الحب الإلهي وهذا مذهب سبقت إليه رابعة العدوية، ويبدو أن ابن الفارض في أبياته وفي القافية متأثر بأبيات رابعة العدوية والتي مطلعها:

أحبك حبين حب الهوى   وحبا لأنك أهل لذاكا

ومن أشهر الشعراء الذين نظموا في الزّهد، عبد الله بن المبارك المتوفى سنة 181هـ، ويدور منهجه في الزّهد حول التنفير من الدنيا وذمّ الإقبال عليها؛ لأنّها خداعة تغرُ الإنسان بمتاعها الزائل، وما متاع الدنيا في نظره إلاّ سموم يقول في هذا المعنى:

(المتقارب)

همومك بالعيش مقرونة   فما تقطع العيش إلا بِهَمّ

حلاوةُ دنياكَ مسمومة   فما تأكلُ الشَهدَ إلا بِسُم[1]

وابن المبارك ينهج منهجاً عملياً في زهده، يلبي نداء الوطن ويتقدم صفوف المجاهدين ويعد الجهاد أفضل من الانقطاع للنسك والعبادة بقوله: (الكامل)

يا عابد الحَرمَيْن لو أبصرتنا   لعلمت أنك في العبادة تَلعب

من كان يخضب جيده بدموعه   فنحورنا بدمائنا تتخضّبُ[2]

وهناك ظاهرة في هذا الفن الرفيع تستحق الوقوف عليها وهي وجود الشعراء الزّهاد في العصر العباسي بعد مرحلة من المجون واللهو، وامتازت هذه الطائفة من الزّهاد بعنصر الندم والإخلاص، وقد غلب على أشعارهم التأمل والنظر في شؤون الناس والحياة، ومن هؤلاء الشعراء أبو العتاهية "فقد أجمع الباحثون على أنّ أبا العتاهية، قد ختم حياته بالزّهد، وظلّ نحو ثلاثين سنة يتغنى بالكأس الخالدة، كأس الموت الدائرة على الخَلْق، فالكل مصيره إلى الفناء، والكل سيصبح تراباً في تراب".[3]

([1])- أدب الزّهد في العصر العباسي، د. عبد الستار السيد متولي، ص43.

([2])- فصول في الشعر ونقده، د. شوقي ضيف، ص63.

(3)- أدب الزهد في العصر العباسي، عبد الستار السيد متولي، ص85.

فيقول في هذا المعنى: (الوافر)

لـــدوا للمـــوتِ وابنـــوا للخـــراب فكلكـــم يصـــير إلـــى تبـــابِ
لمـــن نبنـــي ونحـــن إلـــى تـــراب نصـــير كمـــا خلقنـــا مـــن تـــرابِ
ألا يـــاموت لـــم أر منـــك بـــدا أتيـــت ومـــا تحيـــف ومـــا تحـــابي
كأنـــك قـــد هجمـــت علـــى مَشـــيبي كما هجـم المشـيب علـى الشـبابِ[1]

فنحن أمام واعظ يرشد الناس بالإقناع إلى سبل الخير والرشاد وكم كان أبوالعتاهية يندم على ما كان منه من الذنوب! (الوافر)

إلهـــــي لا تعـــــذبني فـــــإني مقـــرّ بالـــذي قـــد كـــان مِنّـــي
فمـــا لـــي حيلـــة إلاّ رجـــائي وعفـــوك إن عفـــوت وحســـن ظنـــي
وكـــم مـــن زلـــة لـــي فـــي البرايـــا وأنـــت علـــيّ ذو فضـــلٍ ومَـــنّ
إذا فكـــرت فـــي نـــدمي عليهـــا عضضـــت أنـــاملي وقرعـــت ســـني
يظـــن النـــاس بـــي خيـــراً وإنـــي لَشـــرّ الخلـــق إن لـــم تعـــف عنّـــي[2]

ويقول أيضاً:

(مجزوء الكامل)

النـــــاس فـــــي غفلاتهـــــم ورحـــــى المنيـــــة تطحـــــن[3]

ويتغنى أبو العتاهية بالموت كثيراً، فمعظم زهدياتـــه تتمحـــور حـــول فكـــرتين: زوال الـــدنيا وغرورها، وهول الموت ووحشة القبر: (البسيط)

حتى متى أنـت فـي لهـوٍ وفـي لعـب والمـوت نحـوك يهـوي فـاغرا فـاه
مـا كـل مـا يتمنـى المـرء يدركـه رُبّ امـرئ حتفـه فيمـا تمنـاه
نلهـو وللمـوت ممسـانا ومُصْـبحَنا مَنْ لم يصَبّحْه وجـه المـوتِ مَسّـاه[4]

" ولا غرابة في القول بأنّ أبا العتاهية أكبر الزّهاد في العصر العباســي الأوّل افتــتن بشــعره الزهدي، العامة والخاصة، وكان لشعره صدىً عميق في النفوس، "ولأبي العتاهية فضل ريــادة

([1])- ديوان أبي العتاهية، ص46.

([2])- المصدر نفسه، ص425.

([3])- الأغاني، 151/3.

([4])- ديوان أبي العتاهية، ص470، طبعة بيروت، 1964م.

الزهد في الأدب العربي بشعره السهل الممتنع القريب من الشعبية[1]، يظهر فيه بوضوح طابع النثر من وضوح للفكرة واقتصادٍ في الخيال، كل ذلك من أجل الجماهير وعامة النّاس".[2]

وامتدّ تيار الزّهد إلى شعراء آخرين، لم يعرفوا الزهد فقط، كأبي نواس، الذي عُدّ من أكبر المجان في القرن الثاني الهجري،"كما ظهرت في شعره أحاديث الشعوبية والزندقة واللهو والخمرة لم يَخل شعْره من التعبير عن الجانب الخيّر، فظهرت فيه أحاديث الزهد والتوبة والندم والرّجوع إلى الله يسأله العفو والمغفرة عما فرّط منه من ذنوبٍ وآثام"[3] فمن زهدياته:

(مجزوء المجتث)

المـوتُ منّـا قريـب	وليـس عنّـا بنـازِحْ
فـي كـل يـوم نَعِـيٌّ	تصـيح منـه الصـوائحْ
تشـجي القلـوبَ وتبكـي	مولـولات النـوائحْ
حتّـى متـى أنـت تلهـو	فـي غفلـة وتمـازحْ
والمـوت فـي كـل يـوم	فـي زنـد عيشـك قـادحْ
فاعمـل ليـوم عبـوس	مـن شـدة الهـول كـالحِ[4]

فمدار هذه المقطوعة حول معان كثيرة منها الاستهلال بالحديث عن الموت والدعوة إلى العمل من أجل الآخرة، وعدم الاغترار بنعيم الدنيا لأنه زائل مثلها.

وفي آخر المطاف أعلن أبو نواس التوبة والندم على المعاصي والذنوب التي اقترفها، وأخذ يرجو الله عز وجل أن يعفو عنه، فيقول في هذا المعنى:

(الكامل)

يـا ربّ! إن عظمـت ذنـوبي كثـرةً	فلقـد علمـت بـأنّ عفـوك أعظـمُ
أدعـوك رب كمـا أمـرت تضـرعاً	فـإذا رددت يـدي فمـن ذا يـرحم
إن كـان لا يرجـوك إلا محسـن	فمـن الـذي يرجـو ويخشـى المجـرم
مـالي اليـك وسـيلة إلا الرجـا	وجميـل عفـوك ثـم أنـي مسـلم[5]

([1])- أدب الزهد في العصر العباسي، نشأته، وتطوره، وأشهر رجاله، د. عبد الستار السيد متولي، ص114.

([2])- تاريخ الشعر في العصر العباسي، د. يوسف خليف، ص103.

(4)- المرجع نفسه، ص 80.

([4])-ديوان أبي نواس، تحقيق بدر الدين حاضري، محمد حمامي،ص 168،169

([5])-ديوان أبي نواس، تحقيق بدر الدين حاضري، محمد حمامي، ص 515

إن هذه الأبيات المذكورة ليست بعيدة عن موضوع الجدل في الثواب والعقاب، فذنوب أبي نواس كثيرة، ولكن ماذا تكون الذنوب هذه إلى جانب عظمة عفو الله، ثم إذا كان المحسنون وحدهم هم أصحاب الرجاء في العفو وهم غير محتاجين إليه بحكم ما قدموا من إحسان فإلى من يلجأ المجرمون، والشاعر يلتمس العفو لأنه مسلم يؤمن بالوحدانية.

"لقد أجاد أبو نواس في فن الزهد إجادةً لا بأس بها، وذلك مفهوم أيضاً: فلو أردت أن تتبين فلسفة أبي نواس لما استطعت إلا أن تقول: إنّ أبا نواس كان يزدري الحياة، ويسخر منها ولعلّك تدهش إذا قلت لك إنّي أشبه أبا نواس بأبي العلاء المعري".(1)

وتأتي هذه الغرابة عند طه حسين؛ لأن أبا نواس رجل لذة وفُجوُر، في حين كان أبو العلاء رجل زهدٍ وحرمان، فكلاهما يمقت الحياة، بينما الفرق بينهما: أنّ أبا نواس يكره الحياة ويستعين عليها باللذة واللّهو، وإنّ أبا العلاء كان يكره الحياةَ فيستعين عليها بالزهد والحرمان.
وأختم الحديث عن ظاهرة الزهد بهذه الأبيات لأبي نواس يقول فيها:

(السريع)

أيّة نارٍ قَدح القادِحُ	وأيَّ جِدٍّ بلغَ المازح
لله دَرُّ الشيب من واعظٍ	وناصحٍ لو سُمِعَ الناصحُ
يأبى الفتى إلا اتباع الهوى	ومنهج الحق له واضحُ
فاسْمُ بعينيك إلى نسوة	مهورُهُن العمل الصالحُ
لا يجتلي الحوراء من خدرها	إلاّ امرؤ ميزانه راجحُ
من اتقى الله فذاك الذي	سيق إليه المتجر الرابحُ
شمّرْ فما في الدين أغلوطة	ورُحْ لما أنت له رائح(2)

"ولقد عاش أبونواس حياة متناقضة فهو تارة ماجن خليع يأتي بالألفاظ القذرة التي تخجل منها النفوس، وتارة يأتي بألفاظ عفيفة فيها الزهد والخوف من الله، ولعل هذا راجع إلى اختلافه إلى

---

(1)- من تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، د. طه حسين، ص233.

(2)- ديوان أبي نواس، تحقيق بدر الدين حاضري، محمد حمامي، ص169.

المساجد وحلقات العلم والفقه، وأما انحرافه فنتيجة لرفقاء السوء والمجان، وأهل الفساد أمثال أستاذه والبة بن الحباب". [1]

"ومهما يكن من امتزاج الفكر الآري مع الفكر السامي فقد ولّد أفكاراً جديدةً وحضارات جديدةً لا هي بالأعجمية البحتة، ولا العربية الخالصة ولكنها مزيج من التراثين، وخلاصة الحضارتين ولباب الفلسفتين" [2].

ومما لا شك فيه، أنّ الذي أحل الأدب العربي تلك المكانة الرفيعة، هو ذلك التمازج الخير والتلقيح الفكري المفيد بين الحضارةِ الوافدة الجديدةِ والحياةِ العربيةِ الأصيلةِ، ولم تكنْ مشاركةُ العناصر الوافدةِ الجديدة مشاركة سطحيةً بل كانت أشبه بمنافسة الأقران وصراع القوى المتوازنة ولهذا لم تمضِ فترة قصيرة حتى كانَ من الفرس، الفحول من الشعراء والأدباء والبلغاء واللغويين، وزخرت المكتبة العربية بمؤلفاتهم في علم اللسان والمعَاجم الضخمة التي خدَمت كتاب الله الكريم وسنة رسولنا محمد -صلى الله عليه وسلم-، ولولا هذا التمازج والتفاعل بين الحضارة العربية والحضارة الجديدة الممثلة في الشعوب الأعجمية؛ لما رأينا الكثير من الأغرَاض الشعريّة الجديدة في العصر العباسي الأول مثل الشعوبية والزّندقة والغزل بالجواري والغلاميات والغزل بالمذكر والمجون والشّعر التعليمي والزهد.

(1)- الحكمة في الشعر العربي من بداية العصر العباسي الأول حتى نهاية العصر العباسي الثاني، إعداد، محمد محمود قاسم محمد، ص148.

(2) - تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني. إبراهيم علي أبو الخشب، ص:42.

الفَصل الثّالث

أثر الصراع الحضاري في شعر العصر العَباسي الأوّل من حيث:

1- الألفاظ

2- المعنى والخيال

3- الأسلوب الشّعري

4- البديع

أثر الصراع الحضاري في شعْر العَصر العبّاسي الأوّل:

لم يسلك الشعر العباسي طريقاً جديداً في هذا العصر، وإنّما كان امتداداً للعصر الأموي، فاستمر الشعراء العباسيون ينظمون في الموضوعات القديمة، من مدح وهجاء ورثاء وغزل... الخ، ولكنّهم لم يتناولوا هذه الموضوعات كما تناولها أسلافهم تماماً، وإنما خضعت عندهم لمجموعة من التغيرات، في المعاني والألفاظ والصّور والتزيين.

وما هذا التغير والتطور في الشّعر إلا بسبب الاختلاط بين الأمة العربية وغيرها من الأمم الأخرى التي سبقتها إلى الحضارة، فنشأت أجيال ورثت المزاج الفارسيّ وغيره، إلى جانب المزاج العربي، ونقلت هذه الأجيال آثار الفرس والهند واليونان في الحكمة والموعظة والسياسة والأخلاق والمنطق والفلسفة.

"والباحث في تأثير العرب في الأمم التي اختلطوا بها يصل إلى إحدى نتيجتين: إما أن تكون حضارة العرب قد حلت محلّ حضارة الأمة المقهورة، وإما أن تكون قد امتزجت بحضارة الأمة المغلوبة كما حدث في بلاد فارس والهند"[1]

كل هذا كان مصدر تغيّر قوي في حياة النفس العربية، أنتج أدباً لمْ تنتجه تلك الحياة البدويّة الخالصة في الجاهلية وصدر الإسلام، أنتج أدباً حضرياً مناسباً لروح العصر الجديد تبعاً للتغيرات الاجتماعية والسياسية التي حدثت فيه.

ولم يقف التأثير الحضاري في موضوعات الشعر فقط بل تعدى ذلك إلى حدّ التأثير في الشكل وسهولة الألفاظ والأساليب، وصياغة الشّعر صياغة فلسفية، وخصوبة الخيال عند الشعراء العباسيين.

إنّ الحياة العباسية قد افسحت المجالَ أمام الشعراء، فكان طبيعياً أنْ يتأثر الشعراء بالحضارة الجديدة، فجاءت أشعارهم مليئةً بالتجديد والتغيير، وهذا ما لاحظته عند كتابتي عن الأغراض الشعرية الجديدة التي أنتجتها الحضارات المتصارعة في الفكر والدّين وطريقة الحياة التي عايشتها، وسأتناول في الصفحات الآتية أثرَ الحضارات في شكل القصيدة ومضمونها والخيال والأسلوب الذي انتهجه الشعراء في هذا العصر مبتدئاً بالألفاظ:

([1])– حضارة العرب، جوستاف لوبون، ص205.

1- الألفاظ:

لقد أخذ العرب عن الفرس الكثير من الألفاظ التي يضيق الحصر بها والتي ذكرتها الكتب الطّوال مثل كتاب "المعرب لأبي منصور الجواليقي" وكتاب "شفاء الغليل بما في كلام العرب من الدخيل" للشهاب الخفاجي وغيرها، ومن النظر في هذه الكتب أرَى أنهم نقلوا عن الفارسية ألفاظاً كثيرة منها: النرجس والنسرين والمسك والعنبر والجوز واللوز والسندس[1] والاستبرق[2] والكوز والجرّة والمهرجان، كما أخذوا عن الروم ما مسّت إليه الحاجة وبخاصة في الشؤون الطبيّة والفلسفية كالترياق[3] والكيموس[4] والفلسفة والهيولي"[5]

" وأخذ العرب عن الأمم الأعجميّة بعض التراكيب التي ذاعت في المجتمع الجديد، وتعلموا ظاهرة الإطناب عن الفرس، وصاغوا الأسماء من الحروف والضمائر مثل الكمّية والكيفية والماهّية والهوُية، وكما أدخلوا الألف والنون قبل ياء المتكلّم مثل نفساني وروحاني وهذه من خواص اللّغة الآرية". [6]

ومما لا شك فيه، أنّ كثيراً من الألفاظ الأجنبية قد تسرّب إلى لغة الشعر وأسلوبه.

وفي القرآن الكريم الكثير من الألفاظ الأجنبية منها كلمة إستبرق والتي وردت في سورة الرحمن في قوله تعالى: "متكئين على فرشٍ بطائِنُها من إستبرق"[7] والإستبرق كلمة فارسية معناها: غليظ الديباج.[8]

([1])- السندس: ضرب من رقيق الديباج، ينظر المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس، ص454.

([2])- الاستبرق: ما غلظ من الديباج، المرجع نفسه، ص17.

([3])- الترياق: ما يمنع ميكانيكيا امتصاص السمّ من المعدة أو الأمعاء، المرجع انفسه، ص85.

([4])- الكيَمُوس: الخلاصة الغذائية، وهي مادة لبنية بيضاء صالحة للامتصاص تستمدها الأمعاء من المواد الغذائية، المرجع نفسه، ص808.

([5])- الهيولي: مادة الشيء التي تصنع منها، كالخشب للكرسي، المرجع انفسه، ص1004.

([6])- تاريخ آداب اللغة العربية، جورجي زيدان، 41/2. طبعة دار الهلال، الطبعة الثانية، 1924، مصر.

([7])- سورة الرحمن، آية 54.

([8])- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، لأبي منصور الجواليقي، ص108، ط1، دار القلم، دمشق، 1990م.

وفي سورة الفيل وردت كلمة فارسية أخرى وهي سِجّيل في قوله تعالى: "ترميهم بحجارةٍ من سِجيل".[1] والسجيل معناها: حجارة وطين، وأصلها الفارسي سَنك وكِلْ.[2]

وقد ذكر صاحب كتاب الاشتقاق[3] والتعريب بعض الألفاظ الأجنبية، التي وردت في القرآن الكريم، فمن الألفاظ الرومية قسطاس، وصراط، وشيطان، وإبليس ومن اللغة الحبشية، أرائك، وجِبْت، ودُرّي، ومن السريانية سُرادق، ويَمّ، ومن الزنجية حَصَب، ومن العبرانية فوم، ومن الهندية مشكاة ومن القبطية هيْتَ لَك.

وليس هذا كل ما في القرآن الكريم من الكلمات الأعجمية، بل إن فيه كثيراً منها ، ولما حوى القرآن علوم الأولين والآخرين، ونبأ كل شيء، فلا بُدّ أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن ليتم إحاطته بكل شيء.[4]

وفي الشعر الجاهلي الكثير من الأمثلة الشعرية التي تظهر فيها الألفاظ الأجنبية ومن ذلك قول الأعشى.

(الخفيف)

وكأنّ الخمر العتيق من الإسفنـ طِ ممزوجة بماءِ زُلال[5]

فكلمة الإسفنط[6]، اسم بالروميّة لعصير العنب.

وقد ورد الكثير من الأمثلة في شعر امرىء القيس ومن ذلك قوله في المعلقة المشهورة:

(الطويل)

مهفهفة بيضاء غير مفاضةٍ ترائبها مصقولة كالسجنجل[7]

([1])- سورة الفيل، آية4.

([2])- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، لأبي منصور الجواليقي، ص108، ط1، دار القلم، دمشق، 1990م.

([3])- الاشتقاق والتعريب تأليف، عبد القادر بن مصطفى المغربي، ص27، ط2/1947.

([4])- المرجع نفسه، ص28.

([5])- ديوان الأعشى تحقيق فوزي عطوي، ص24، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، لبنان، 1968م.

([6])- المعرب: أبو منصور الجواليقي، ص18، تحقيق، أحمد شاكر، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1942م.

([7])-ديوان امرئ القيس، طبعه وصححه الأستاذ مصطفى عبد الشافي، ص115، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دون تاريخ.

حتى أنشده جميع القصيدة وهذه القصيدة قالها ابن مناذر في رثاء صديقه عبد المجيد وأنت تقول:

(الهزج)

ألا يـــــا عتبـــــة الســـــاعة أمـــــوت الســـــاعة الســـــاعة

ولو رضيت أن أقول مثل هذا لأكثرت[1].

وحين سئل أبو العتاهية عن معرفته بالعروض قال: (أنا أكبر من العروض) وله أوزان لا تدخل في العروض، ويقول عنه ابن الأعرابي: "فوالله ما رأيت شاعراً قط أطبع ولا أقدر على بيت منه وما أحسب مذهبه إلا ضرباً من السحر."[2]

فقد حاول أبو العتاهية الخروج عن وزن القصيدة العربية في التحلل مـن القافيـة فاسـتحدث المزدوج ومثال ذلك قوله:

(الرجز)

لكـــل شـــيء معـــدن وجـــوهر وأوســـط وأصـــغر وأكبـــر

إن الشـــباب والفـــراغ والجـــدة مفســـدة للمـــرء أي مفســـدة[3]

والمزدوج: فهو ما اتفقت عروضه وضربه في القافية، وفي البيتـين السـابقين تكـون تفعيلـة العروض جوهر وتفعيلة الضرب أكبر وهما متفقتان في قافية الراء.

"وسار شعره الزهدي على ألسنة الخواص والعوام لسهولته ولنغمته الدينية، وهو كثير الترديـد للمعاني والتراكيب".[4]

وقد أكثر الشاعر العماني[5] من الأراجيز من مزدوج وغيره ومما يستحسن مـن شـعره فـي هارون الرشيد.

(الرجز)

لمـــا أتانـــا خبـــر كالشـــهد شـــيب بمـــاء نقيـــرة صـــلند*

جـــاءت بـــه البـــرد وغيـــر البـــرد ودعـــت هنـــدا وقطـــين هنـــد

وكنـــت فـــي ســـلوة عـــيش رغـــد مـــع الحســـان الخفـــرات الخـــرد

([1])- الموشح، المرزباني، ص398.

([2])- الأغاني للأصفهاني، 131/4، طبعة بولاق، 1970م.

([3])- المصدر نفسه، 143/4.

([4])- تاريخ الأدب العربي"الأعصر العباسية والأدب المحدث" إلى آخر القرن الرابع الهجري.
عمر فروخ،ص 191، دار العلم للملايين، بيروت، ط1 1968 م.

([5])- هو محمد بن ذؤيب، من بني نهشل بن دارم من بني فقيم، لقب بالعماني لصفرة وجهه، وغلب على شعره الرجز. ينظر: طبقات الشعراء لابن المعتز، ص109.

وله أوزان سهلة وأراجيز كثيرة توزن بالعجاج ورؤبة، بل كان أطبع منهما.[1]

وتختلف القافية من بيت إلى آخر، وغالباً ما يكون المزدوج من بحر الرجز.

ولبشار بن برد أرجوزة مشهورة على قافية الدال يقول فيها:

(الرجز)

يـــا طلـــل الحـــي بـــذات الصـــمد ... بـــالله خبـــر كيـــف كنـــت بعـــدي

الحـــر يلحـــى والعصـــا للعبـــد ... ولـــيس للملحـــف مثـــل الـــرد[2]

وأبو نواس قد حاول الخروج على القصيدة العربية فظهرت عنده المزدوجات[3] والمسمطات[4] والمخمسات[5]، ويعد هذا تجديداً في الوزن والقافية وتطويراً لهما، وقد كتب لهذا النمط أن يشيع في الأندلس باسم الموشحات ومن أمثلة ذلك موشح ابن سهل والتي مطلعها:

هل درى ظبـــي الحمـــى أن قـــد حمـــى ... قلـــب صـــب حلـــه عـــن مكـــنس

فهـــو فـــي حـــر وخفـــق مثـــل مـــا ... لعبـــت ريـــح الصـــبا بـــالقبس

ومن أمثلة المسمطات قول أبي نواس:

ســـــــــــــــــلاف دنِ ... كشـــــــــــمس دجـــــــــــنِ

كـــــــــــدمع جفـــــــــــنِ ... كخمـــــــــــر عـــــــــــدن

طبـــــــــــيخ شـــــــــــمسِ ... كلـــــــــــون ورســـــــــــي

ربيـــــــــــب فـــــــــــرسِ ... حليـــــــــــف ســـــــــــجنِ

يـــــا مـــــن لحـــــاني ... علـــــــى زمـــــــاني

اللهـــــــــــو شـــــــــــاني ... فـــــــــــلا تلمنـــــــــــي[6]

---

[1] - طبقات الشعراء لابن المعتز، ص111، *صلند: صلب أملس.

[2] - المصدر نفسه، ص36.

[3] - المزدوجات: وهو أن يؤتى بشطرين من روي ثم بآخرين من روي آخر حتى آخر القصيدة.

[4] - المخمسات: وهو أن يؤتى بخمسة أشطر من وزن وروي، ثم بخمسة أشطر أخرى من وزن وروي جديد، حتى آخر القصيدة.

[5] - المسمطات: قصائد تتألف من أدوار، وكل دور يتركب من أربعة شطور، أو أكثر، وتتفق شطور كل دور في قافية واحدة ما عدا الشطر الأخير فإن قافيته تختلف.

[6] - ديوان أبي نواس، ص346.

فكلمة السجنجل: معناها بالرومية[1]: المرآة، فامرؤ القيس لم يجد بأساً في استعمال سجنجل في معلقته المشهورة التي كانت العرب تسجد لفصاحتها.

فظاهرة التأثر بالتيارات الأجنبية وجدت في الشعر الجاهلي، واستمرت في العصر الإسلامي والأموي، وقد كان هناك صراع دائم بين الشخصية العربية، وبين التأثيرات الوافدة، على أن هذه الظاهرة قد اتسعت في العصر العباسي، فالعناصر الأجنبية سيطرت في العصر العباسي على جميع شؤون الحياة ومنها الأدب مما ترك أثراً كبيراً في ألفاظ الشعر ومعانيه.

فها هو ذا خمّار نبطي يودّع إبراهيم الموصلي فحكى الموصليُّ تحيته فقال:

إزلْ بشين حين ودعني   وقد لعمرك زلنا عنه بالشّيْن.

وإزل بشين كلمة سريانية تفسيرها امض بسلام.[2]

واستعار الشعراء العرب لفظة البِطريق بدل الرئيس للمدح والذّم.

يقول أبو تمام: (الخفيف)

يستغيث البِطريق جهْلاً وَهل   تَطْلبُ إلاّ مُبطرقَ البطريق

ويعني بمبطرق البطريق: ملك الروم.[3]

يقول البحتري من قصيدة في هجاء أبي قماش:

وحدثوها بالدستبان وبالضَنِ   فكادت تشفى على التّلف[4]

والدستبان: كلمة فارسية في الأصل، مكونة من قطعتين هما: دست" وبان" ومن معاني بان: حافظ وصاحب ومترقب، أما دست: فمن معانيها الصحراء والوسادة والبيت والمجلس.[5]

ومن الأمثلة الأخرى على دخول الألفاظ الفارسية في الشعر قول الشاعر البصري محمد بن ذؤيب الفقيمي المعروف بالعماني حين مدح الخليفة هارون الرشيد بإحدى أراجيزه[6]:

([1])- الاشتقاق والتعريب، عبد القادر المغربي، ص53، الناشر لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1947م.

([2])- الأغاني، للأصفهاني، 176/5.

([3])- ديوان أبي تمام، 437/2، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، مصر.

([4])- ديوان البحتري، ج1412/3، طبعة دار المعارف، تحقيق حسن كامل الصيرفي، مصر.

([5])- المعرب، للجواليقي، ص238، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1942م.

([6])- الحياة الأدبية في البصرة، أحمد كمال زكي، ص194.

مــــن يلقـــه مـــن بطـــلٍ مُســـرندي فـــي زغفـــة مُحكَمـــةٍ بالسَّـــرد

يجـــول بـــين رأســـه والكـــردِ

فَمُسرندي: تعني الراكب، وزغفة: تعني الدرع، والكرد: تعني العنق، وكلّها ألفاظ فارسية.

وقد ظهرت الألفاظ الفلسفية بكثرة في الشعر العباسي مثل ألفاظ الحركة والسكون والروح والجسد والكل والبعض والجوهر والعرض والجزء والقليل والأقل بقول الخريمي:

(الوافر)

إذا مـــا مـــات بعضـــك فابـــك بعضـــاً فـــإن الـــبعض مـــن بعـــضٍ قريـــب

يمنينـــــي الطبيـــــب شـــــفاء عينـــــي وهـــل غيـــر الإلـــه لهـــا طبيـــب[1]

وفي البيت المذكور يرثي الخريمي عينه.

"وتتجلى صياغة الألفاظ في شعر الشعراء العباسيين، ومنهم أبو نواس، الذي تظهر صياغته في ثلاثة مظاهر[2]:

أولها: جملة من الألفاظ والتعابير التي كانت نتاج حضارة المدن ومن ذلك قوله:

(الكامل)

صـــــفة الطّلـــــول بلاغـــــةُ القِـــــدْم فاجعـــــل صـــــفاتك لابنـــــة الكـــــرمِ

لا تُخـــــدَعَنَ عـــــن التـــــي جُعلـــــت سُـــــقْمَ الصـــــحيح وصـــــحة السُّـــــقمِ

لا كَرْمُهـــــا ممّـــــا يـــــزالُ ولا قتلـــــتْ مرائرهـــــا علـــــى عَجْـــــمِ[3]

وثانيها: استكثاره من استخدام الألفاظ والمصطلحات الأجنبية سواءً أكانت فارسية أم سريانية أم تعابير دينية مسيحية يقول في وصف الخمرة:

([1])- ديوان الخريمي تحقيق علي جواد الطاهر، محمد جبار المعيبد، ص65، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، ط 1971.، الأغاني 109/15، ينظر معالم الشعر وأعلامه، محمد نبيه حجاب، ص117.

([2])- حركة الشعر العباسي في مجال التجديد بين أبي نواس ومعاصريه، د. حسين خريس، 329/2.

([3])- ديوان أبي نواس، تحقيق بدر الدين حاضري، محمد حمامي، ص480.

(البسيط)

حتى إذا اصطفّتَ الأقداح وانتطحت بيض القوارير من أعيان كِيوانِ[1]

فكلمة كيوان فارسية وتعني: زُحل.

ويقول أيضاً:

(مجزوء الرمل)

بادرِ الكأس نهارا واشرب الراحَ العقارا

واسقنيها مثلما تشـ ربُها كَيْلاً عِيارا

خندريساً تنفح المِسْ كَ وتحكي الجلّنارا[2]

فكلمة خندريس يونانية وتعني الخمرة القديمة، وتعني كلمة الجلّنار: زهر الرمّان وهي فارسيّة.

والثالث: اصطناعه المثل في شعره كنوعٍ من الشعبية في المعنى والمبنى".[3] ومن ذلك قوله:

(المنسرح)

أمشي إلى جنبها أزاحمها عمداً وما بالطريق من ضيق

كقول كسرى فيما تمثله من فرص اللص ضجة السوق[4]"

فعجز البيت الثاني: من فرص اللص ضجة السوق يُعدّ مثلاً.

ويقول أيضاً:

(المنسرح)

سألتُها قبلةً ففزت بها بعد امتناع وشدة التعبِ

فقلت: بالله يا معذبتي جودي بأخرى أقضي بها أربي

فابتسمتْ ثُمّ أرسَلتْ مثلا يعرفه العجم ليس بالكذب

"لا تُعطَينّ الصبي واحدةً يطلب أخرى بأعنفِ الطلب"[5]

فالبيت الأخير يُعدّ مثلاً.

([1])– ديوان أبي نواس، ص535.

([2])– المصدر نفسه، ص283.

([3])– حركة الشعر العباسي في مجال التجديد بين أبي نواس ومعاصريه د. حسين خريس، 329/2.

([4])– ديوان أبي نواس تحقيق بدر الدين حاضري، محمد حمامي، ص408.

([5])– ديوان أبي نواس، تحقيق بدر الدين حاضري، محمد حمامي، ص72.

فليس غريباً أن تكثر الألفاظ الأجنبية وبخاصة الفارسية في شعر أبي نواس، فأمه جلبان فارسية الأصل، كما أنّ اللغة الفارسية بعد قيام الدولة العباسية أصبحت كثيرةَ التداول في حواضر العراق بالإضافة إلى الثقافة المتنوعة لأبي نواس في علوم الفلسفة والديانات واللغات[1].

ومن الشعراء الذين استخدموا الألفاظ الفارسية في أشعارهم والبة بن الحباب:

(مجزوء المجتث)

قد قابلتنا الكؤوس ودابرتنا النحوس

واليوم هرمز روزٍ قد عظمته المجوس[2]

فكلمة هرمز روزٍ تعريب لأهورامزد: إله النّور عند الفرس. ولم تخلُ أشعار أبي تمام فيقول في مدح الخليفة المأمون:

(الطويل)

في كل جوهرة فرند مشرق وهم الفرند لهؤلاء الناس[3]

والفرند[4]: كلمة فارسية، وأصل معناها: جوهر السيف وطرائقه وماؤه.

والشاعر أبو نواس استخدم الكلمة نفسها بقوله:

دعاني إليه حسنه وجماله وسحر بعينيه وخال بخده

كأن فرند المرهفات بخده ويختال ماء الورد تحت فرنده[5]

فكلمة فرند فارسية وتعني جوهر السيف.

وقد بلغ العباسيون من محاكاتهم للفرس أن احتفلوا بعيد النيروز كما كان الفرس يحتفلون، وها هو ذا خالد البرمكي من وزرائهم تُقدمُ له فيه الهدايا العظيمة وتقول بعض كتب التاريخ والأدب إن أحد الشعراء داعبه بهذه المناسبة فقال:

(الخفيف)

ليت شعري أما لنا منك حَظُّ يا هدايا الأمير في النيروز

([1]) - حركة الشعر العباسي في مجال التجديد بين أبي نواس ومعاصريه، د. حسين خريس، 232/2.

([2]) - طبقات الشعراء لابن المعتز، ص87.

([3]) - ديوان أبي تمام، 246/2، طبعة دارالمعارف تحقيق محمد عبده عزام.

([4]) - المعرب، أبو منصور الجواليقي، ص243، تحقيق أحمد شاكر طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1942.

([5]) - ديوان أبي نواس، تحقيق بدر الدين حاضري، محمد حمامي، ص196.

ما على خالد بن برمك في الجو د نوال ينيله بعزيز

ليت لي جام فضةٍ من هدايا هُ سوى ما به الأمير مجازي

فأمر له بجميع ما كان من الجامات[1] والأواني الفضية والذهبية[2].

"ويعتقد الفروس أن النيروز، هو اليوم الذي خلق الله عز وجلِ فيه النور"[3]

ومن الشواهد على أثر الفلسفة في شعر أبي نواس قوله:

(مجزوء المجتث)

وذاتُ خدٍّ مورّد فضية المتجرّدْ

تأمّلُ العينِ منها محاسناً ليس تنفَدْ

فبعضه قد تناهى وبعضه يتولّدْ

والحسن في كل شيءٍ منها معاد مردّد[4]

ويقول أبو نواس:

(مجزوء المجتث)

يا عاقد القلب عنّي هلاّ تذكرتَ حلاّ

تركت منّي قليلا من القليل أقلاّ

يكاد لا يتجزا أقلّ في اللفظ مِنْ لا[5]

فإن النظام قد لاحظ في قول أبي نواس دقة النظر الفلسفي ما ليس في كلام الفلاسفة انفسهم يقول النظام لأبي نواس" أنت أشعر الناس في هذا المعنى والجزء الذي لا يتجزأ من دهرنا الأطول نخوض فيه ما خرج فيه لنا من القول ما جمعته أنت في بيت واحد[6].

ويقول أبو تمام في وصف الخمرة:

---

(1)- الجامات: الآنية للطعام والشراب من فضة ونحوها.

(2)- تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني، إبراهيم علي أبو الخشب، ص46.

(3)- نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، 185/1، دار الكتب المصرية، 1935م.

(4)- أبو نواس، تحقيق ايليا الحاوي، 241/1.

(5)- أخبار أبي نواس لابن منظور المصري، 13/1.

(6)- المصدر نفسه، 149/1.

بهر أبو تمام النقاد بشعره حيث قال عنه ابن الأثير بأنّه (ربّ معانٍ وصيقل ألباب وأذهان، وقد شهد له بكل معنى مبتكر، لم يمش فيه على أثر)[1].

وإنّ الصور الشعرية والمعاني التي بنى عليها أبو تمام شعره، قد جاء مِن نوعٍ جديد يخالف النمط القديم، وما كان يتسنى لشاعرٍ عربي مثل أبي تمام هذا التجديد والإبتكار لولا ثقافاته المتنوعة[2].

ومن المعاني المبتكره عنده قوله في وصف مصلوبين: (الكامل)

بكروا وأسْروا في متونِ ضوامرٍ قيدت لهم من مربِطِ النّجار
لا يبرحونَ ومن رآهم خالَهُمْ أبداً على سَفَرٍ من الأسفار[3]

ومن ميزات الشعر في هذا العصر قربُه من أذواق الناس، ومن أوائل الشعراء الذين نمت ظاهرة الشعبية في شعرهم بشار بن برد، وقد لحظ ذلك الدكتور زكي مبارك بقوله: وهناك جانب آخر هو قدرة بشار على جعل الشعر مادة أساسية في الحياة اليومية، فقد استطاع أن يقدم إلى أهل عصره جميع ما يشتهون، فكانت أشعاره زاداً للاهين من الفتيات والفتيان، وكانت مَسْلاة للباكين والنّائحات، وساعده على ذلك افتقاره بسبب عماه إلى الأُنس بجميع الناس من عوام وخواص ورجال ونساء، فدخلت في ذهنه صور كثيرة من حياة المجتمع، واستطاع أن يصوّر الأفراح والأتراح تصويراً يمتزج بالنفوس والقلوب[4].

وقد راع معاصريه بهذه الألوان، فهم الذين أنكروا عليه أن يقول:

ربابة ربة البيت تصب الخلّ في الزيت
لها عشرُ دجاجات وديك حَسَنُ الصوت[5]

([1])- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الأثير، 113/1، تحقيق أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة، ط1، 1959م، مصر.

([2])- ينظر كتاب حركات التجديد في الأدب العربي، الفصل الرابع تحت عنوان "حركات التجديد الثقافي،خروج أبي تمام على عمود الشعر، د. حسين نصار، ص72.

([3])- شرح ديوان أبي تمام، ايليا الحاوي،ص294، ط1، 1981م.

([4])- ينظر كتاب الشعر العباسي ، التيار الشعبي، د. سعد إسماعيل شلبي، ص138.

([5])- ديوان بشار بن برد، شرحه ورتب قوافيه، مهدي محمد ناصر الدين، ص226.

وعد النقاد هذين البيتين ذوي سخافة ووضاعة في المعنى، وتخالفُ شرف المعنى وصحته في عمود الشعر العربي.

وقد أجاب بشار بأنّ هذين البيتين قيلا في مدح امرأة عاميّة[1]، وهما عندها أحسن من قول امرئ القيس: (الطويل)

قفانبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ومن مظاهر التجديد في أجزاء القصيدة العربية التي تتصل بالموضوعات الشعرية، أنّ الشعراء العباسيين قد تحولوا في بعض قصائدهم عن وصف رحيلهم إلى الممدوحين في البراري والقفار على ظهور الإبل والنوق إلى وصف البحر وركوبهم السفن، وهي ظاهرة لا تشيع عند واحد منهم، بل تشيع عند أكثرهم أمثال بشار، ومسلم وأبي تمام[2].

يقول بشار مصوراً رحلة الهادي بن المهدي من البصرة إلى بغداد في السفن: (البسيط)

وقُرِّبَتْ لمسير منك يومئذٍ   مراكبُ منك لم تولدْ ولا تلدُ
يغلي بهنّ طريق ما به أثر   في مستوى مابه حَزْنٌ[3] ولا جَدَدُ[4]
لا في السماء ولا في الأرض مسلكها   ولا تقوم ولا تمشي ولا تخدُ[5]
ولا يذقن أكالاً ما بقين ولا   يشربن ماءً وهُنّ الشُرَّعُ الورُدُ[6]

وإذا كان أبو نواس قد دعا إلى نبذ المقدمة الطللية في خمرياته خاصة، فإن أبا تمام أبقى على القديم وجدّد فيه، فلجأ إلى مناظر الطبيعة الرائعة التي يكتسي بها وجه الأرض في الربيع بأزهارها وورودها وسُحُبها التي تتحرك في سمائها، فأخذ يستمد بعض مقدماته، من صور الطبيعة الفاتنة وليس هذا ما يميزه فقد أشاع في مقدماته الجديدة من المعاني الغامضة النادرة المبتكرة التي وشاها بزخرف البديع.

يقول في وصف سحابة ماطرة:

([1])- ينظر كتاب الشعر العباسي ، التيار الشعبي، د. سعد إسماعيل شلبي، ص138.
([2])- ينظر مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول، د. حسين عطوان، ص39.
([3])- الحزن: ما غلظ من الأرض.
([4])- جَدَد: الأرض المستوية.
([5])- تخدُ: تسرع.
([6])- ديوان بشار تحقيق مهدي محمد ناصر الدين، ص323، الطبعة الاولى.

(الخفيف)

ديمـــــة ســـــمحة القيـــــاد ســـــكوب ... مســـتغيث بهـــا الثـــرى المكـــروبُ

لـــو ســـعت بقعـــة لإعظـــام نُعمـــى ... لســـعى نحوهـــا المكـــانُ الجـــديبُ

لـــذّ شـــؤبوبُها وطـــابَ فلوتســـ ... تطيـــع قامـــت فعانقتهـــا القلـــوبُ

فهـــي مـــاء يجـــري ومـــاء يليـــه ... وعزال [1] تُنشـــى وأخـــرى تـــذوبُ[2]

فالشاعر يرفد بهذه السحابة إلى العطاء الجميل الذي يأمله من الممدوح محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم والواثق.

وهناك أدلة صريحة على أن أبا العتاهية، كان يأخذ بعض المعاني الأجنبية، ويدخلها في شـعره ومنها قوله في رثاء صديقه علي بن ثابت: (الخفيف)

يا شـريكي فـي الخيـر قربـك اللـ ... ـه فـنعم الشـريك فـي الخيـر كنتـا

قد لعمري حكيـت لـي غصـص المـو ... ت فحركتنـــي لهـــا وســـكتا[3]

ويعلق المبرد على البيت الأخير بقوله: "هذا مأخوذ من قول بعض الأعاجم، حضر موت صديق له، فلما قضى ارتفعت الأصوات عليه بالبكاء، فقال حركنا بسكونه[4]".

ولما دفن صديقه علي بن ثابت وقف أبو العتاهية على قبره يبكي طويلاً أحر البكاء ويردد هـذه الأبيات: (الوافر)

ألا مـــن لـــي بأنســـك يـــا أخيـــا ... ومـــن لـــي أن أبثـــك مـــا لـــديا

طوتـــك خطـــوب دهـــرك بعـــد نشـــر ... كـــذاك خطوبـــه نشـــرًا وطيـــا

فلـــو نشـــرت قـــواك لـــي المنايـــا ... شـــكوت إليـــك مـــا صـــنعت إليـــا

بكيتـــك يـــا علـــي بـــدمع عينـــي ... فمـــا أغنـــى البكـــاء عليـــك شـــيا

وكانـــت فـــي حياتـــك لـــي عظـــات ... وأنـــت اليـــوم أوعـــظ منـــك حيـــا[5]

([1])- عزال: جمع عزلاء، وهي فم المزادة الأسفل.

([2])- ديوان أبو تمام: 291/1، تحقيق محمد عبده عزام، طبع دار المعارف، مصر.

([3])- ديوان أبي العتاهية، ص105.

([4])- الأغاني، 4/ص43-44.

([5])- ديوان أبي العتاهية، ص491.

قال صاحب الأغاني: "وهذه المعاني أخذها كلها أبو العتاهية من كلام الفلاسفة لما حضروا تابوت الإسكندر ليدفن، فقال بعضهم: كان الملك أمس أهيب منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس وقال آخر: سكنت حركة الملك في لذاته وقد حركنا اليوم في سكونه جزعاً لفقده وهذان المعنيان هما اللذان ذكرهما أبو العتاهية في هذه الأشعار المذكورة[1].

أما أبو نواس إمام التجديد في العصر العباسي فقد جدّد في موضوعات المقدمةالطللية فاستبدل الخمرة بالأطلال، واستهل بها قصائده في مدح كبار الناس وعظام الشخصيات في العصر العباسي، حتى أصبحت ظاهرته عامة في مطالع معظم الشعراء في عصره، إلاّ أن أبا نواس قد استكثر منها وأصلها ومن الأمثلة على مقدماته الخمرية هذه الأبيات من الرائية التي مدح بها الأمير الخَصيب بن عبد الحميد أمير مصر:

(الكامل)

يا منّةً امتنها السُّكْرُ ... ما ينقضي مني لك الشّكرُ
أعْطَتْك فوق مُناك من قُبَلٍ ... من قيل إن مرامَها وَعْرُ
يثنى إليك بها سوالفه ... رشأ صناعةُ عينه السّحرُ
ظلت حُميا الكأس تبسطنا ... حتى تهتك بيننا السّترُ
في مجلسٍ ضحك السرورُ به ... عن ناجذيه وحلّت الخمْرُ

إلى أن يقول في المدح:

أنت الخصيبُ وهذه مِصرُ ... فتدفقا فكلاكما بحرُ
ويحق لي إذ صرت بينكما ... ألاّ يحلّ بساحتي فقرُ
النيلُ ينعشُ ماؤه مصراً ... ونداك ينعش أهله الغمرُ[2]

وظهرت المبالغة في الشعر وإن كانت ليست من مستحدثات العصر العباسي، وإنما الجديد هو التهويل والغلو، وللفرس مبالغات منذ القدم، تأثر الشعر منذ العصر العباسي بها فمن مبالغات أبي تمام: (الطويل)

تكاد عطاياه يجن جنونها ... إذا لم يعوذها بنغمة طالب[3]

حيث جعل نغمة الطالبين تعويذه لعطايا الممدوح.

([1])- الأغاني، 147/3.

([2])- ديوان أبي نواس، ص295، تحقيق بدر الدين حاضري، محمد حمامي.

([3])- ديوان أبي تمام، 204/1، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام.

وقول بشار يفخر بولائه في قبيلة مضر: (الطويل)

إذا ماغضـــبنا غضـــبة مضـــرية هتكنا حجاب الشمس أو أمطرت دمـا[1]

ومن المبالغات الشديدة والتهويل الزائد قول منصور النميري في مدح الرشيد: (البسيط)

خليفـــة الله إن الجـــود أوديـــة أحلـــك الله فيهـــا حيـــث تجتمـــع

من لـــم يكـــن ببنـــي العبـــاس معتصـــما فلـــيس بالصـــلوات الخمـــس ينتفـــع

إنْ أخلـــف القطـــر لـــم يخلـــف مخايلـــهُ أو ضـــاق أمـــر ذكرنـــاه يتســـع[2]

ومن المبالغات الممقوتة التي لا يقبلها العقل قول أبي نواس في مدح الرشيد: (الكامل)

وأخفـــت أهـــلَ الشـــركِ حتـــى إنـــهَ لتخافُـــك النطـــف التـــي لـــم تُخلـــقِ[3]

ويقول أبو نواس في هذا المعنى: (الكامل)

هـــارون ألفنـــا ائـــتلاف مـــودة ماتـــت لهـــا الأحقـــاد والأضـــغان

حتى الذي في الـــرحم لـــم يـــك صـــورة لفـــؤاده مـــن خوفـــه خفقـــان[4]

ولما لم يكن صورة فكيف يكون له فؤاد؟ فقد أحال وأسرف وتجاوز.

ويذكر أن العتابي لقي أبا نواس، فقال له: يا أبا علي؛ أما خفت الله حيث تقول: وأخفـت أهـل الشرك ... فقال له أبو نواس: فما خفت أنت الله حيث تقول: (البسيط)

ما زلت في غمـــرات المـــوت مطرحـــاً يضيق عني وسيع الـــرأي عـــن حيلـــي

فلـــم تـــزل دائبـــاً تســـعى بلطفـــك لـــي حتى اختلست حياتي مـــن يـــدي أجلـــي

فقال العتابي: قد علم الله وعلمت[5].

ورأى بعض النقاد أن الخيال إبداع يستحق الشاعر المدح عليه، ولكن لا يعنى أنْ يخرج الشاعر عن نواميس الطبيعة، فإن مصداقية الشاعر محدودة بما يسمح به الخيال الممكن.

([1])- ديوان بشار، ص14، تحقيق مهدي محمد ناصر الدين.

([2])- الشعر العباسي تطوره وقيمه الفنية،د. محمد أبو الأنوار، ص98.

([3])- ديوان أبي نواس، ص407، تحقيق بدر الدين حاضري، محمد حمامي.

([4])- الموشح، المرزباني،ص 439.

([5])-الموشح، المرزباني،ص 416.

على أنه إذا كان في شخص الرشيد ما يغري بالمبالغة، فإن أبا نواس شاعر الخليفة الأمين لم يتورع عن الارتفاع بالأمين فوق مستوى الإنس والجن وأنه لا نظير له:

(الوافر)

ألا يا خير من رأت العيونُ ... نظيرُكَ لا يحس ولا يكون

وفضلك لا يحدّ، ولا يجارى ... ولا تحوي حيازته الظنونُ

فأنت نسيج وحدك لا شبيه ... نحاشيه عليك، ولا خدين

خلقت بلا مشاكلة لشيء ... فأنت الفوق والثقلان دون

كأن الملك لم يك قبل شيئاً ... إلى أن قام بالملك الأمين[1]

وقد بلغت قداسة الخليفة أقصى غايتها عند أبي نواس فيعد تقبيل راحته، مساوياً في الدرجة نفسها، لتقبيل الركن:

(البسيط)

يا ناق لا تسأمي أو تبلغي ملكاً ... تقبيل راحته والركن سيان[2]

وهذه الهالة والقداسة والرهبة جاءت من تأثر الشعراء في هذا العصر بالمؤثرات الأجنبية وخاصة الفرس.

هذا وقد أثارت مبالغات أبي نواس هذه اعتراضات النقاد والشعراء جميعاً[3].

ولم تقتصر مبالغات أبي نواس علىالخلفاء بل تجاوزهم إلى من دونهم من الوزراء لقوله يمدح الفضل بن الربيع حاثا الخليفة الرشيد على استحجابه.

(السريع)

أوحده الله فما مثلهُ ... لطالب ذاك ولاناشد

وليس لله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد[4]

([1])- ديوان أبي نواس، تحقيق الغزالي، ص419.

([2])- المصدر نفسه، ص420.

([3])- الموشح في مآخذ العلماء علىالشعراء، محمد بن عمران موسى المرزباني، ص416.

([4])- شرح ديوان أبي نواس تحقيق ايليا الحاوي، ص349/1.

وقال أيضا شعراً في الخليفة الأمين لا يتكلم به مسلم وهو قوله: (البسيط)

تنـــازع الأحمـــدان الشـــبه فاشـــتبها _ خلقـــا وخُلقـــاً كمـــا قـــد الشـــراكانِ
اثنـــان لا فصـــل للمعقـــول بينهمـــا معنـــا همـــا واحـــد والعـــدّة اثنـــان [1]

وقصد بالأحمدين الرسول -صلى الله عليه وسلم- والخليفة الأمين.

3- الأسلوب:

إنّ التجديد الذي حدث في الموضوعات الشعرية قد واكبه تجديد مماثل للأساليب الشعرية في هذا العصر، فقد شهد القرن الثاني الهجري انقلاباً في أساليب الشعر تمثل في شيوع السهولة وإيثار البساطة والسرعة في قول الشعر، وظهر بين الشعراء من بهر الناس بسرعته في نظم الشـــعر ووزنه.

"ولأبي العتاهية أشعار في عُتبة (جارية من جواري المهدي) تتسم بالسهولة واللين في العبارات والأسلوب، ويخرج فيها عن المألوف"[2] فمن ذلك قوله:

(البسيط)

بـــالله يـــا حلـــوة العينـــين زوريـنـــي قبـــل الممـــات وإلاّ فاســـتريني
هـــذان أمـــران فاختـــاري أحبهمـــا إليـــك أو لا فـــداعي المـــوت يـــدعوني
إن شـــئت موتـــاً فأنـــت الـــدهر مالكـــة روحـــي وإن شـــئت أنْ أحيـــا فـــأحييني
يـــا عُتـــب مـــا أنـــت إلا بدعـــة خُلقـــت من غير طين وخلق الناس مـــن طـــين[3]

وقد كان أبو العتاهية يسف في غزله أحياناً حتى يهبط بأسلوبه وتراكيبه إلى العامية المبتذلة.
ومن المواقف التي تدل على سرعة قوله للشعر يذكرها صاحب الموشح قال: لقي ابن مناذر أبا العتاهية، فقال له: أبو العتاهية: كم تقول في اليوم؟ قال ربما قلت العشرين وأكثر، وربما خمسة أو ستة، فقال له أبو العتاهية لكنني لو أشاء أن أقول ألف بيت لقلت، فقال ابـــن منـــاذر لأبـــي العتاهية أنا أقول مثل قولي:

(الخفيف)

هـــل لشـــيء فـــات مـــن مـــردود أولحـــي مؤمـــل مـــن خلـــود

([1])- ينظر الموشح، المرزباني، ص416.
([2])- الشعر في بغداد، أحمد عبد الستار الجواري، ص292.
([3])- أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تحقيق شكري فيصل، ص651، دار الملاح للطباعة والنشر.

ولقد سلك الشاعر أبان بن عبد الحميد اللاحقي مسلك أبي العتاهية في السهولة والسلامة والطبع ومن الأمثلة الشعرية على سهولة أسلوبه قوله يتوسل إلى بعض بني هاشم ليوصله إلى البرامكة:

(الخفيف)

يا عزيز الندى ويا جوهر الجو	هر من آل هاشم بالبطاحِ
إنّ ظني وليس يخلف ظني	بك في حاجتي سبيل النجّاح
إنّ من دونها لمصمت باب	أنت من دون قُفله مفتاحي[1]

ومما هو جدير بالذكر، أن الشعراء الذين ذهبوا هذا المذهب في أشعارهم، كانوا على اتصال بالثقافات الأجنبية الجديدة.

وثمة جانب آخر في تفسير هذه الظاهرة، وهو غلبة الأعاجم في حياة المجتمع العباسي، وكان هؤلاء بحكم الضرورة أكثر تذوقاً للسهل البسيط، والحياة العباسية التي غمرتها الحضارة الجديدة لم تدع للبداوة مكاناً واسعاً، فتجافت الأذواق عن الأساليب القديمة[2].

4-البديع

البديع لغة مشتق من الفعل بدع[3]: ومعناها أنشأ وبدأ، والبديع والبِدْع: الشيء الذي يكون أوّلاً، والبديع: المَحدث العجيب، والبديع من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها "بديع السموات والأرض" فهو الخالق المخترع لا عن مثال سابق، والبديع: الزّق الجديد والسقاء الجديد.

والبديع: المخترعُ الموجَد على غير مثالٍ سابق.

أما في الاصطلاح: علم يُعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حُسناً وطلاوة وتكسوه بهاءً ورونقاً، بعد مطابقته لمقتضى الحال[4].

لقد كان البديع تجديداً من وجه وتقليداً من وجه آخر، فهو في الحقيقة ليس إلاّ إكثاراً من فنون التعبير التي عرفها الشعر العربي قديماً، وهو من ناحية أخرى تجميل في الأسلوب، تأثر فيه الشعراء بمظاهر الحضارة الجديدة.

(1)- طبقات الشعراء ابن المعتز، 75.

(2)- الشعر في بغداد، أحمد عبد الستار الجواري، ص299.

(3)- لسان العرب، لابن منظور، مادة بدع.

(4)- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي ص: 360.

وكان مسلم بن الوليد أول من تكلّف البديع من المولّدين وجعله طريقته في الشعر وهو في نظر النقاد زهير المولّدين.[1]

تشبيهاً له بزهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي صاحب مدرسة الحوليات التي تهتم بالصنعة والزخرفة والتكلف.

" ولقد تميز البديع عند بشار بن برد بشيءٍ جديدٍ قد يصح أن يُعّد خروجاً على المألوف في الشعر، وهو ضربٌ من الاستقصاء في التصوير والميل إلى التفصيل في التشابيه ويجهد نفسه لإيضاح الصورة البيانية".[2]

وكانت صور الحضارة الجديدة قد غزت ذهن بشار فامتلأت بها نفسه وفاضَ بها شعوره، ومن أجل ذلك أقبل بشار على البديع بعد أنْ هجر البداوة، وملأ نفسه من لين الحضارة وترفها، ولقد أحدث بشار في الشعر ما يسّمى اليوم بالتشخيص Personification ويقصد به إخراج المعاني في صورة الأشخاص.

فمن ذلك قوله متغزلاً:

(المتقارب)

وبيضاء يضحك ماء الشبا ... ب في وجهها لك إذ تبتسم[3]

فجعل الشاعر للشباب ماءً، ثم أضفى عليه صفة الإحياء وجعله يضحك.

" وكان بشار أرق المحدثين ديباجة كلام، وسمّي أبا المحدثين؛ لأنّه فتق لهم أكمام المعاني، ونهج لهم سبيل البديع، فاتبعوه، وكان ابن الرومي يقدّمه ويزعم أنه أشعر من تقدم وتأخّر".[4]

ثم جاء أبو تمام فبلغ البديع به القمة، حيث قال عنه صاحب العمدة "ولقد جعل أبو تمام الشعر صناعة يتكلّف الصناعة المعنوية والصناعة اللفظية، وولع بالإغراب في تقصي أوجه المعاني وفي التشابيه والاستعارات التي تملأ شعره".[5] ومثاله في ذلك قوله:

ديمة سمحة القياد سكوب ... مستغيث بها الثرى المكروب

فقد شبه السحابة بالناقة الذلول وشبه الثرى بالإنسان العطشان، على سبيل الاستعارة المكنية.

([1])- العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني، 131/1، مطبعة السعادة، مصر ط3، 1963.

([2])- تاريخ الشعر في بغداد: أحمد عبد الستار الجواري، ص380.

([3])-تاريخ الشعر في بغداد: أحمد عبد الستار الجواري، ص 310.

([4])- زهر الآداب وثمر الألباب للحصري، 472/1، دار الجيل، بيروت، ط1972م.

([5])- العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني، ص85.

"ولم يكتف الشاعر أبو تمام بأن ينظم القصائد على وزنٍ واحد وقافية واحدة، بل تجلّت قدرته في تقسيم بعض الأبيات إلى أجزاءٍ منظومة تنسجم مقاطعها ومن ذلك قوله في وصف معركة عمورية بقيادة الخليفة المعتصم:

(البسيط)

مـن كَـف معتصـمٍ، بـالله منـتقمٍ ... لله مرتقـبٍ، فـي الله مرتغِـبِ[1]

ويذكر صاحب الأغاني "أن عمارة بن عقيل قدم بغداد فاجتمع الناس حوله وأنشدوه قول أبي تمام:

(الطويل)

وطولُ مقام المـرء فـي الحـي مخلـقٌ ... لديباجتيـه فـاغترِبْ تتجـددْ

فـإني رأيـت الشـمس زيـدت محبـةً ... إلى النـاس أن ليسـت علـيهم بسـرمَدْ

فقال عمارة: "لله درّه، لقد تقدم في هذاالمعنى كل من سبقه إليه على كثرة القول فيه، حتى لقد حبّب الاغتراب إلى نفسه، ثم قال عُماره: "كمل والله، لئن كان الشعر بجودة اللفظ وحسنِ المعاني واطراد المراد واتساق الكلام، فإنّ صاحبكم هذا أشعرُ الناس[2]".

ومما لا شك فيه، أنّ المتصفح لديوان أبي تمام، يحسّ أنه أمام شاعرٍ يُحسن التزويق، فكلّ بيتٍ في قصائده إنمّا هو وَحدة من وحدات هذا التنميق،و لقد استخدم أبو تمام الجناس والطباق والتشبيه والاستعارة ونوافر[3] الأضداد.

ومن الأمثلة على نوافر الأضداد:

(الطويل)

هـي البـدر يغنيهـا تـودّد وجههـا ... إلى كلّ مـن لاقـت وإنْ لـم تـودَدِ[4]

ويظلّ تفسير ظاهرة البديع في العصر العباسي مشدوداً إلى الواقع الاجتماعي الذي عاشه أبو تمام ومسلم وغيرهما، فمنذ خروج العرب من جزيرتهم، اتسع اتصالهم بالأمم الأخرى، وساد

---

(1)- شرح ديوان أبي تمام، ايليا الحاوي، ص27، ط1، 1978م.

(2) -شرح ديوان أبي تمام، ايليا الحاوي، ص197.

(3)- نوافر الاضداد: فن من الفنون البديعية يشبه الطباق، حيث يتناول الشاعر المعنى وضده.

(4)- شرح ديوان أبي تمام، ايليا الحاوي، ص197، ط1، 1981م، دار الكتاب اللبناني.

الترف في المجتمع الجديد، مما ساعد على التأنق في حياتهم، فكان من الطبيعي أن يُصبغ أدبهم بهذه الصبغة الجديدة، وأنْ يكثر الشعراء من فنون البديع المختلفة استجابة لحياة عصرهم[1].

وفي نهاية هذا الفصل أقول: إنّ الصراع بين الجديد والقديم في الأسلوب لم ينتـه إلـى نهايـة حاسمة، فلم ينتصر القديم على الجديد، ولا اكتسح الجديدُ القديم، وإنّما أثمرت المنافسة في الحياة العباسية في الشعر العربي بين الشعراء إلى الحفاظ على الأساليب القديمة وتقاليدها وإلى ظهور أساليب جديدة سايرت الحضارة الجديدة ومتطلباتها، فقد تأثر الشعراء في العصر العباسي الأول بالحياة العقلية وشاركوا فيها، وظهرت آثار ذلك في شعرهم، وجَدّت في هذا العصـر معـارف وأفكار بعضها أجنبي دخيل وبعضها أصيل مستمد من تطور الحياة العقلية.

---

(1)- ينظر القصيدة العباسية، قضايا واتجاهات، د. عبد الله التطاوي، ص103.

الفَصلُ الرّابعَ

الآثار العامة لصراع الحضارات:

1-الآثار الإيجابية

2-الآثار السلبية

"الآثار العامّة لصراع الحضارات"

لقد أخذت آثار الحياة الحضاريّة الجديدة، تتضح في الشعر العباسي، وسيطرت على مناحي الحياة، ومنها الأدب والشعر، وقد كان للفرس أثر كبير في هذا التأثير الحضاري.
على أنّ هذا التأثر بالحضارة لم يؤت ثماره دفعة واحدة، وإنّما بدأ عند بعض الشعراء في ثورة جامحةٍ على القديم، تريد أن ينسلخ منه الشعر جملة واحدة، فيعرض عن المعاني الموروثة التي تناقلها الشعراء تقليداً للأسلاف من دون أن يحسّوا بها؛ ولم يقيض لتلك الثورة أن تحقق ما تريد، ولكنّها نبّهت الشعراء إلى الحياة الحضريّة الجديدة وجذبتهم إليها شيئاً فشيئاً، فأقبلوا عليها يستمدون منها أغراضهم ومعانيهم، ثم أخذ الشعر يمثّل الحضارة بالتدريج حتىأصبح يحملُ طابع الحضارة في الذوق والمظهر والصّورة.

على أنّ هذا الشّعر قد ترك آثاراً سلبية في الحياة العباسية. وفيما يلي سأتناول الآثار الإيجابية والسلبية التي خلّفها الصراع الحضاري من خلال الشعر.

1- الآثار الإيجابية:

إنّ التمازج الحضاري الذي تم في العصر العباسي الأول بين العرب وغيرهم من الأعاجم سواءً من أسلموا أم ظلوا على ديانتهم، قد أثر تاثيراً لا يستهان به في مجال الشعر في العصر العباسي الأول.
فلقد شارك الشعراء في الحياة الفكرية مشاركة تليق بمكانتهم في الحياة الاجتماعية، فكانوا دعاةً للعقائد والمذاهب، فالشاعر بشار بن برد كان من أصحاب واصل بن عطاء، شيخ المعتزلة وإمامها في بداية حياته؛ لما كان يتصف به بشار من الفصاحة والبيان، حتى اختلفت بينهما المسالك.[1]
ويبدو أن عقيدة الاعتزال، وهي التي تعد المرء مسؤولا عن مقارفة المعاصي لم تصادف هوى في نفس بشار وهو الماجن المتهتك.
وبشار في مقدمة من أرسوا دعائم الأسلوب المولّد يقول عنه ابن المعتز:
"كان بشار يُعَدّ في الخطباء والبلغاء... وكان شعرُه أنقى من الراحة وأصفى مَن الزجاجة وأسلسَ على اللّسان من الماء العذب".[2]

(1)- الشعر في بغداد، أحمد عبد الستار الجوري، ص178.
(2)- طبقات الشعراء، ابن المعتز، ص28.

ونشأ شعر الزّهد الذي جعله أبو العتاهية "باباً واسعاً للتأمل والموعظة ثم اتسع وقام بدوره في التسرية عن المحرومين والمظلومين".(1)

"وقيمة هذه الزهديات أنّها محصلة أيامٍ من التجربة والتفكير العميق والرؤية الصافية والراحة النفسية بحيث تكون علامات فارقة في حياة البشر وتاريخهم، مرافقةً للإنسان في كلّ زمان ومكان، وموقظة فيه مشاعر الإجلال والرّهبة والخشوع والإيمان".(2)
وكان للفلسفة دور في أن يكون أبو العتاهية علماً لهذا اللون من الشعر وبخاصة الفلسفة اليونانية، فإن تأثره بالفلسفة مكّنه أن يكون مجدداً في شعر الحكمة.
وكان من آثار الحضارة، ظهور ما يعرف بالشعر التعليمي، وقد بدأت صورته الأولى عند الشعراء الذين تصدو للرد على بشار مستخدمين في ذلك ما وصَل إليه علمُهم من المعرفة بالطبيعة وبالأرض، كما أنّ أبان بن عبد الحميد اللاحقي قد نظم كتاب "كليلة ودمنة" شعراً للبرامكة، وقد عمد إليه كبار أساتذة الفنون والعلوم تسهيلاً على الطلاّب في حفظ مفردات المادة العلمية لأن الشعر أسهل في الحفظ من النثر.(3)

"والظاهر أنّ الشعر التعليمي مرحلة من مراحل التطور في شعر الأخلاق والحكمة، فهذا الشعر يكون في أول أمره نُصحاً وإرشاداً ومواعظ تقوم على أساس من التجارب الإنسانية العامة، حتى إذا بلغ الشعراء من العلم والمعرفة حُسناً أغراهم ذلك بأن يستخدموا معارفهم الجديدة في هذا الطراز من الشعر حباً في التجديد وتدليلاً على مشاركتهم في الحياة العقلية".(4)
ومن أهم ظواهر التجديد التي شهدها العصر العباسي الأول وكان له أثر إيجابي في الشعر ظاهرة الثورة على القديم في الشّعر وهذا التطور والتجديد سعى إليه أبو نواس وغيره مدفوعاً بما أصاب الحياة العباسية من تحوّل في الحياة الفكرية والاجتماعية والحضارية، ودعوة الشعراء إلى العيش في واقع الحياة الجديدة بكل صدق، وهذه الثورة الأدبية ظلت مدار جدلٍ بين النقاد والأدباء حتى عصرنا الحاضر.

(1)- الشعر العباسي، تطوره وقيمة الفنية، محمد أبو الأنوار، ص102، ط2.
(2)- الأندية الأدبية في العصر العباسي، علي محمد هاشم، ص28.
(3)- ينظر كتاب، الشعر العباسي، تطوره وقيمه الفنية، محمد أبو الأنوار، ص101.
(4)- ينظر الشعر في بغداد، أحمد عبد الستار الجواري، ص255.

ومن ذلك قوله:

(المنسرح)

دع المعلـــى يبكــي علـــى طللــه   وخــل عوفــاً يقــول فــي جملــه

واغــد علــى اللهــو غيــر متئــد   عنـــه فهـــذا أوان مقتبلـــه

أمـــا تـــرى جـــدة الزمـــان وما   أبـــدع فيهـــا الربيـــع مـــن عملـــه[1]

ويرى الدكتور طه حسين أن "أبا نواس كان يطالب الشعراء بأن يكونوا صادقين، فقد كان يريد أن يحمل معاصريه على أن يعترفوا بحياتهم ولا يكذبوا على أنفسهم؛ لأن سلطان الحضارة أقوى، وانتصرت الحضارة، ولقد أعطى الشعراء الصورة الصادقة عن حياة العصر، فأصبحت العواطف حرّة والألسنة حرة، ونشأ شيء من التنافس بين الشعراء". [2]

ومما لا شك فيه أن الحرية الاجتماعية والفكرية، التي أتاحها الخلفاء العباسيّون للشعوب المختلفة في الدّولة قد ساهمت إلى حدّ كبير في تطور الشعر، وكما ساهمت في تطور وسائل الإبداع وتوليد المعاني وتركيب الصّور تمثلت في شخصية بشار بن برد الذي يعدّ زعيماً للشعر المحدث في ذلك العصر، أمّا أبو نواس فيعد شخصية ذات منزلة رفيعة في الشعر العربي، ويقول ابن المعتز عن أخباره "إنما نفق شعر أبي نواس على الناس لسهولته وحسن ألفاظه وهو مع ذلك كثير البدائع والذي يراد من الشعر هذان".[3]

"ويمكن تحديد ملامح الحداثة على يديه بأنّه صاحب فكرة العصرية، والشخصية معاً، فهو الذي دافع عن ضرورة أنْ يكون الشاعر صدى لعصره".[4]

فهو وبشار بن برد بطلان من أبطال الحداثة في الشعر العباسي.

"علىَ أن الروح العربية لم يخل منها الشعر العربي في هذا العصر، فقد قامت حركة مناهضة لسيطرة الأعاجم على الحياة السياسية والاجتماعية، وقد صرح بذلك بعض الشعراء بما كانوا يحسّون من التبّرم بالأعاجم".[5]

---

(1)- أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، أنيس المقدسي، ص109.

(2)- ينظر: من تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي، د. طه حسين، ص141.

(3)- طبقات الشعراء لابن المعتز، ص204، تحقيق عبد الستار فراج.

(4)- الشعر العباسي، د. محمد أبو الأنوار، ص172.

(5)- الشعر في بغداد، د. أحمد عبد الستار الجواري، ص139.

ومع أن الصراع انتهى إلى تعريب هذه الأجناس المختلفة خاصة الفرس، وبالرغم من غلبة الأعاجم على الساحة الشعرية وكثرة أعدادهم، فإنّ ذلك كلّه لم يمنعهم من الاعتزاز بلغتهم العربية التي أصبحت لغة قوميّة لهم، وعدم التحول إلى لغة أخرى.[1]

ومع ذلك فلم تستطع المجوسية أن تساير الإسلام، ولم تستطع لغات الموالي المختلفة أن تضع من شأن لغة العرب، وهي لغة الدين ولغة الشعر، وأقبل الموالي على تعلمها، ومن الأدلة على ذلك[2] "أن أبا مسلم الخراساني كان يجيد العربية ويفهم أراجيز رؤبة بن العجاج".[3] ولرؤبة ديوان رجز في أغراض مختلفة كالمدح والهجاء، وقد بلغ الرجز مع رؤبة صورته المثالية لأنه أبدع فيه، ومن أراجيزه قوله:

هل تعرف الدار عفت أندابها   فهاج شوقاً شائقاً ذهابها
فدمع عيني لا يني تسكابها   ذكرها من طرب أطرابها[4]

ومهما يكن من أمر فإن الحضارة والتيارات المتصارعة لم تترك ظاهرة أدبية أو فكرية أو اجتماعية أو حضارية إلا وأثرت فيها من حيث التغيير والتحوير وإثراء المعاني والصور والأخيلة والصنعة الفنية.

وينبغي عدم نسيان دور الغناء وأثره في الشعر من حيث تهذيب أذواق الشعراء وتخيرهم للألفاظ والأوزان الملائمة للأسماع والقلوب، فأخذ الشعراء أيضاً يقصدون المعاني والأغراض التي تصلح للغناء.[5]

فقد هجر الشعراء الألفاظ المستكرهة والغريبة والنافرة، وكان من آثار الحضارة في هذا العصر، أن تخلص الشعراء والشعر من طبيعة البداوة إلى حدّ كبير وأصبح الشعر حضَرياً يعُنى بمظاهر الحضارة من رقة في الطبع، وأناقةٍ في المظهر وتناسب بين الأجزاء.

([1])- ينظر كتاب حركة الشعر العباسي في مجال التجديد بينَ أبي نواس، ومعاصريه، 19/2.

([2])- ضحى الإسلام، أحمد امين، 49/1، ط5، 1956.

([3])- الأغاني، للأصفهاني، 123/18.

([4])- ديوان رؤبة بن العجاج، تحقيق وليم بن الورد البروسي، ص20.

([5])- ينظر الشعر في بغداد، أحمد عبد الستار الجواري، ص162.

الآثار السلبية:

صحيح أن الدولة العباسية أعطت الموالي والشعوب المسلمة غير العربية الحرية والمساواة، لكن هؤلاء قد استغلوا هذه الحرية إلى حد الإسراف مما أثّر سلباً في الشعر العربي في هذه الفترة بالتحديد وخاصة أنّ معظم الشعراء المشهورين كانوا من الموالي الفرس وغيرهم، بدأها بشار بن برد بهجاء العرب واحتقارهم وازدرائهم والتهجم عليهم في أشعاره وهذا ما لاحظته عند الحديث عن غرض الشعوبية.

ولم يقف به عند هذا الحد بل أخذ يفاخر بحضارة الفرس في ملبسهم ومأكلهم ويفتخر بكونه أسيراً من أسرى الفرس.[1]

وكانت الشعوبية في هذا العصر أثراً سلبياً في الشعر العربي، فقد كشفت القناع عن وجهها الكريه، الأمر الذي أدّى إلى تمزق المجتمع الإسلامي بما أثارته من أحقاد وضغائن، وهذا مما حذّرنا منه رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في قوله: (دعوها فإنّها منتنة).[2]

"وليس من شكٍ أن المسؤولية في ظهورها مشتركة تقع على الجانبين العربي والأعجمي إلاّ أنّ الحصاد كان شوكاً وعلقماً".[3]

"على أن بعض الشعراء أمثال بشار، كانت شعوبيته تتخذ أسلوب الدفاع عن النفس في مواجهة الخصم".[4]

في حين أنّ هذه حجة باطلة؛ لأنه كان بإمكان بشار، وهو صاحب مقدرة شعرية فائقة أن يرد على الأعرابي الذي تهجم عليه في حضرة الوالي مجزأة ابن ثورٍ السدوسي، فبشّار بن برد ثارت في نفسه العصبية القوميِة الفارسيّة عندما أعطت الدولة العباسية الحرية والمساواة بين أفراد الرعية كلهم، فكلما سنحت له الفرصة أخذ يصب غضبه على العرب ويعرض بهم، فلو قام بشار بن برد بهجاء الأعرابي لأصبح الهجاء شخصياً وحَسْب.

([1])- موقف الشعر من الفن والحياة، في العصر العباسي، د. محمد زكي العشماوي، ص141.

([2])- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، 290/18، طبعة 1978م، دار الفكر العربي.

([3])- الشعر والشعراء في العصر العباسي، د. مصطفى الشكعة، ص174.

([4])- المرجع نفسه، ص 174.

أما أبو نواس فقد انطلق في شعوبيته من عقدة كراهية العرب، فيهجوهم متطوعاً دون أن يحفل باختلاق سبب لهذا الهجاء والتهجم والاحتقار من خلال المقارنة بين حياة الأكاسرة في القصور في الزمن الغابر، وبين حياة العرب في البادية حيث الخيام والإبل ورعي الأغنام، ولقد صب حقده على بني تميمٍ بقوله:

(الطويل)

إذا مـــا تميمـــيٌّ أتـــاك مفـــاخراً	فقل عَدّ عن هـذا كيـف أكلُـك للضـّب
تفـــاخر أولاد الملـــوك ســـفاهةً	وبولك يجري فـوق سـاقك والكَعْـبِ[1]

ولم يجد الشعوبيون من أمثال أبي نواس غير الشعر العربي وتقاليده الراسخة كي يوجهوا إليـه سهامهم المسمومة، فلم تكن شعوبية أبي نواس حضاريّة فحسب بل كانت شـعوبيةً عنصـريةً، اتخذت الهجوم على الشعر العربي وسيلة إلى أغراضها الدنيئة، وإنْ بدت دعوة أبي نواس فـي مهاجمة الواقفين على الأطلال في بداية قصائدهم دعوة تجديدية تتماشى وروح العصر إلا أنّهـا اتخذت وجها آخر سلبيّاً من خلال إصرار أبي نواس في معظم قصائده في هذا الغرض من النيل بالعرب وأمجادهم من خلال أشعارهم وتقاليدهم الشّعرية التي ورثوها عبر الأجيال المتعاقبة من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي، إنّ هذه الدعوة ليست خالصة لوجه الفن والأدب، وإنّمـا تحمل في طياتها شعوبية "جعل منها أبو نواس مذهباً وذلك عن طريق التعريض بكل واقفٍ على رسم أو باكٍ على دمنة مستهدفاً من ذلك النيل من العرب والحط من شأنهم".[2]

"وهناك جانب آخر سلبي طرقه الشعوبيون من الشعراء في هذا العصر وهو محاولة العبـث بالشعر الجاهلي سواء بنسبة الشعر إلى غير قائله أو بوضع الأشعار وإضـافتها إلـى تـراث الجاهليين، حتى لا يكون للعرب أدب موثوق به، وعُرف منهم بهذا العمل حَمّاد الراويـة الـذي جرّحهُ علماء الكوفة والبصرة، واتهموه بصنع الشعر وإفساد التراث، ومثله جناد الكوفي وخلف الأحمر".[3]

([1])- ديوان أبي نواس، تحقيق بدر الدين حاضري، محمد حمامي، ص105.

([2])- الشعر والشعراء في العصر العباسي، د. مصطفى الشكعة، ص176.

([3])- شعراء الدولتين الأموية والعباسية، د. حسين عطوان، ص249.

ومهما يكن من أمرٍ فقد اتسع مجال الهجوم على العرب وتراثهم في هذه الفترة الحاسمة حتى اختلط الشعوبي بالزنديق الماجن يقول الجاحظ: "إنّ عامة من ارتاب بالإسلام إنما كان أول ذلك رأي الشعوبية والتمادي فيه وطول الجدال المؤدي إلى الضلال".[1]

والزندقة مرتبطة بالشعوبية، ولقد كان أكثر الزنادقة من الموالي الفرس الذين عملوا على تفسيخ الدّولة وتصديع كيانها وتدمير أخلاقها ومثلها، ومحاولة نسف الإسلام الذي هو عماد الأمة بهدف إعادة مجدهم الغابرِ، وتواطأ على ذلك الشعراء والأدباء.

"فلم يتحرج بشار من أن يجهر بمذهبه في الدين فأظهر الزندقة وذكر عبادة الاثنين: مذهب المانوية الفارسي، وفضّل النار على الطين، النّار التي يعبدها الفرس على آدم، وفضل إبليس على آدم".[2]

"وما من شك في أن الفرس لعبوا دوراً كبيراً في انتشار الزندقة في المجتمع الإسلامي عامة والعباسي خاصة، لأسباب دينية وقومية وسياسية[3]".

فقد حادَت الزندقة عن أهدافها، فجاهر أصحابها بمعاداتهم للدين الإسلامي والمجاهرة بارتكاب المعاصي فأبو نواس يزعجه شهر رمضان ويثير في نفسه شعوراً بالخيبة والمرارة فيصرخُ بذلك قائلاً:

(مجزوء المديد)

استعذْ من رمضان	بسلافات الدّنانِ
واطوِ شوالاً على القصـ	ـفِ وتغريد القيانِ
وليكنْ في كلّ يومِ	لك فيه سكرتانِ
مَنْ شوّال علينا	وحقيق بامتنانِ
جاء بالقصف وبالعَز	فِ وتخليع العنانِ
أوفق الأشهر لي أبـ	ـعدها من رمضانِ[4]

([1])- الحيوان، للجاحظ، 220/7، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1969.

([2])- ينظر: من تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، (القرن الثاني)، طه حسين، المجلد الثاني ص 82.

([3])- الأندية الأدبية في العصر العباسي، علي محمد هاشم، ص26، دار الآفاق الجديدة، بيروت،ط1، 1982م.

([4])- ديوان أبي نواس، تحقيق بدر الدين حاضري، محمد حمامي، ص592.

بل تعّداه إلى انكار البعث والحساب يوم القيامة بقوله:[1]

(الرجز)

يـــا نـــاظراً فـــي الـــدين مـــا الأمْـــرُ لا قَـــــدَرٌ صــــــحّ ولا جَبْــــــرُ
مـــا صَـــحّ عنـــدي مـــن جميـــع الـــذي تــــــذكر إلا المــــــوتُ والقبــــــرُ

ثم أنشد قوله:

ولــــيسَ بعـــــد الممـــــاتِ مرتَجَـــــع وإنمـــــا المـــوتُ بيضـــــةُ العقْـــرِ[2]

فاستشاط الرشيد غضباً وطار شققا منَ هذه الأبيات، وألقاه في السجن.
وقد جاء شعر أبي نواس في الغزل والمجون مخالفاً للأخلاق وأصول الفضيلة. "وما ظهور هذه الأغراض إلا بسبب التمازج الحضاري الذي شهدته الدولة العباسية وكان أغلب الشعراء في ذلك من غير العرب أمثال بشار وحماد وعجرد وأبي الشمقمق ووالبة ابن الحباب،وأبي نواس ومطيع بن إياس.[3]

وإلى جانب هذه الصورة من الشعوبية والزندقة ضد العرب ودينهم، التي هدفت إلـــى الإطاحـــة بالحكم العربي وتقويض دعائم الحضارة العربية، كانت هناك صورة أخرى لم تكن في حقيقـــة أمرها إلا لوناً من الإعجاب بالحضارة الفارسية وما تتيحه لشباب العصر مـــن فـــرص اللهـــو والعبث التي لا تتيحها الحضارة العربية فهي شعوبية ترمي إلى الرغبة في الاســـتمتاع بالحيـــاة الجديدة المصبوغة بالصّبغة الفارسية، ومن الشعراء الذين مثلوا هذا الاتجاه أبو نواس وبشار بن برد ووالبة بن الحباب والحسين بن الضحاك وهذه الطائفة غَلَبَ عليها الهزل والمجـــون وكـــان معظم أفرادها يدينون بعقائد غريبة دخيلة، ويدعون إلى التحلل من القديم صراحة، ويمارســـون حياة ماجنة خليعة يأباها الدين والعادات الاجتماعية.[4]

([1])- الموشح: للمرزباني،تحقيق محمد علي البجاوي،ص427، 1965م.
([2])- بيضة العقر: بيضة الديك (أي مرة واحدة لا ثانية لها).
([3])- الشعر في بغداد، أحمد عبد الستار الجواري، ص133.
([4])-الشعر في بغداد، أحمد عبد الستار الجواري، ص215.

ومثل ذلك الشاعر والبة بن الحباب بقوله:

(السريع)

قلـــت لســـاقينا علـــى خلـــوة ادن كـــذا رأســـك مـــن رأســـيا

ونـــم علـــى صـــدرك ســـاعة إنـــي امـــرؤ أنكـــح جلاســـيا[1]

أي تحلل من الأخلاق في معنى هذين البيتين؟

ومن أخطر ظواهر التجديد في الشعر ما أصاب الغزل من أثر الحياة الجديدة حيث فُتحت للناس آفاق جديدة للمتاع واللذة، وهُيأت لهم أسبابها، ويسرت لهم سبيل الحصول عليها، فغدت المـرأة متاعاً موفوراً يناله الرجل بالمال، فكثرت الجواري والإماء، وأخذت أسواق النخاسين تعج بهـن على اختلاف الأجناس والألوان من روميات وفارسيات وهنديات، وكان من نتـائج ذلـك، أن ابتذلت المرأة وانحطت قيمتها، وأصبح الغزل مكشوفاً، فيه المجون والخلاعة، ولم يعد قارئه أو سامعه يجد فيه حرارة العاشق الوفي المخلص المحب، وصار على الأكثر تعبيراً عن الشـهوة، ولم يعرفْ العصر العباسي شاعراً عاشقاً عفيفاً غير العباس بن الأحنف فمن غزله قوله:

(البسيط)

كأنهـاً حـين تمشـي فـي وصـائفها تمشي على البيض أو فـوق القـوارير[2]

"وأما ندوات المجّان من الشعراء فكانت من الانحلال والتهتك بحيث لم نكد نشهد لها مثيلاً فـي تاريخ المجتمع الإسلامي، وكثيراً ما كانت النساء الشاعرات تشارك في هذه الندوات، فانتشرت بيوت القيان والحانات والديارات في الكوفة والبصرة وبغداد، واستمرت هذه البيوت تعمل على النيل من تماسك المجتمع لأزمنة متعاقبة".[3]

"وإن كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني مليء بذكر بيوت القيان التي تقدم الخمـر والغنـاء، وتيسر لمرتاديها الكثير من أسباب الفساد والانحراف، وما كان أبو الفرج ليؤلف كتاباً بعنـوان "أخبار القيان" لولا إحساسه بخطورة القيان".[4]

([1])- الأغاني، 148/16.

([2])- طبقات الشعراء، ابن المعتز، ص256.

([3])- رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية، المرحلة العباسية، د. مصطفى الشكعة، ص44.

([4])- المرجع نفسه، ص4.

"وللجاحظ رسالة نفيسة تصوّر هذا القطاع من مجتمع القرنين الثاني والثالث الهجريين بعنوان"رسالة القيان" يحلل فيها نفسية القيان ويعرض للفساد الذي يعود على الرجال منهم وبالتالي على المجتمع عامّة".[1]

ولعل اللواط من المظاهر السلبية في هذا العصر، يعدّان شاهداً على هذا المجون المستحكم رغم ما فُرضَ عليهما من العقاب الصارم، ولا ريب أن للفرس المستعربين أثراً كبيراً في انتشار اللواط وحب الغلمان، فأشهر اللواطيين في العصر العباسي كانوا من أصلٍ فارسي خاصة الشعراء كوالبة بن الحباب وأبي نواس.[2]

ويمثّل ذلك قول والبة:

(الوافر)

فما خير الشراب بغير فسق   يتابعه زناء أو لواط[3]

"وكان من آثار ذلك التمازج بين الحضارات المختلفة الغزل بالمذكر وهو وصف الغلمان والسقاة والندماء الذين تكونت منهم طبقة جديدة في المجتمع العباسي تجمع بين صفات النساء والرجال وتُعنى بالزينة وتتخنث تخنث النساء، ويعبث بها المجّان والعابثون عبثهم بالجواري والقيان ونشأت في هذا العصر ظاهرة من الانحراف الجنسي".[4]

"وساعد على ذلك بصورة قوية انتشار شرب الخمر في هذا العصر انتشاراً واسعاً، فقد أصبحت الخمرة تشرب في كل مكان، وعلى الرغم من محاولات الدولة المستمرة الوقوف في وجه هذه الظاهرة ظلت في انتشارها واتساعها، وساعد على انتشار شرب الخمرة، انتشار الأديرة المسيحية لأن الخمرة تدخل في بعض الطقوس الدينية عندهم".[5]

ويعّد أبو نواس أهم شاعر صوّر حياة العصر العباسي اللاهية بكل ما فيها من خلاعة ومجون وانحراف وشذوذ وخمر في إباحية مسرفة "لقد خسرت الأخلاق من هذا التطور ومن هذا

([1])- المرجع نفسه، ص44.

([2])- الأندية الأدبية في العصر العباسي في العراق حتى نهاية القرن الثالث الهجري، علي محمد هاشم، ص21.

([3])- الأغاني، 151/16.

([4])- الشعر في بغداد، أحمد عبد الستار الجواري، ص132.

([5])- تاريخ الشعر في العصر العباسي، د. يوسف خليف، ص30.

التمازج بين الشعوب المختلفة وربح الأدب فلم يعرف العربُ عصراً كَثُرَ فيه المجون وأتقن الشعراء التصرف في فنونه وألوانه كهذا العصر".[1]

ولكن لا ينبغي أن نعمم في الأحكام، فمن الظلم أن يتهم المجتمع العباسي كله بالانحلال الخلقي لأن عشرات من شعرائه قد عبثوا وتهتكوا وتغزلوا بالمذكر وسلكوا مسلكاً مغايراً لحياة عامة الشعب، وأغلب هؤلاء كانوا من الفرس كبشار والحسين بن الضحاك وأبي نواس، فهذا صنف لا يمثل الشعب بل كان معول هدم لصرحه الحضاري.

(1)- من تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، طه حسين، ص138.

الخاتمة

ومع نهاية هذا البحث، فقد درست فيه أثر الصراع الحضاري في الشعر العربي في العصر العباسي الأول، وقد بدأته بمقدمة تحدثتُ فيها عن سبب اختياري لهذا البحث، وهدف دراستي لهذا البحث، وكيفية تقسيم هذا البحث، ثم مهّدت للبحث بنظرة تاريخية في قيام الدولة العباسية ودور الموالي في قيامها ومنهم القائدان أبو مسلم الخراساني وأبو سلمة الخلال.

انتقلت بعد التمهيد إلى الفصل الأول الذي تناولت فيه نشأة الصراع الحضاري وبداياته والمعاملة السيئة التي كان يلقاها الموالي من بني أمية واستشهدت بأشعارٍ تدل على بداية هذا الصراع كأبيات الشاعر إسماعيل بن يسار أمام الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، ولكن هذا الحال قد تغير بعد قيام الدولة العباسية، فأصبح للموالي وخاصة الفرس منهم، دور مهم في الدولة، ولكنهم استغلوا هذه الحرية وهذه المكانة، وحاولوا تشكيل حزب مستقل لهم، فأبو مسلم الخراساني أراد أن يستقل بخراسان إلا أن المنصور قد قتله وأنهى هذه المحاولة وبذلك حفظ المنصور التوازن في الدولة بين عناصرها فلا يطغى بعضها على بعض لكن الموالي استمروا في التخطيط والعمل في الخفاء، فأسرة البرامكة حاولت التعالي على سلطان الخليفة في بعض النواحي في عهد الرشيد، مما حدا بالرشيد أن يفتك بهم خوفاً من شرهم، فكان البرامكة مثالاً على الصراع الحضاري في السياسة والنواحي الاجتماعية، يحثون الشعراء على قول الشعر ويغدقون عليهم الأموال.

أما ثورة أبي نواس على الأطلال فقد كانت ثورةً على الأدب العربي وأصوله وتقاليده من جانب، وتمجيداً للفرس وحضارتهم من جانب آخر.

ودرست في الفصل الثاني الأغراض الشعرية الجديدة التي أنتجها الصّراع الحضاري عن طريق التمازج الجنسي واللغوي والتزاوج وكان انتصار العنصر الفارسي على العنصر العربي في الثورة العباسية سبباً في ظهور موجة حادّة من الشعوبية مثّلها كثير من الشعراء على رأسهم بشار وأبو نواس ورافقتها موجة حادة من الزندقة والمجون والخمرة والغزل بالمذكر والجواري وفي المقابل تغنى الكثيرون بالزّهد ورفض الدنيا ومتاعها الزائل وظهر الشعر التعليمي مؤشراً على أن الشعر العربي في هذا العصر قد أدى رسالة تعليمية تثقيفية، وشاهد صدق على نمو العقلية العباسية.

ثم جعلت الفصل الثالث للحديث عن أثر الصراع الحضاري في الشعر من حيث الألفاظ والمعنى والخيال والأسلوب الشعري والبديع.

فقد دخلت الألفاظ الأجنبية الشعر وبخاصة الفارسية، وانتشرت ألفاظ الفلسفة أيضاً في الشعر وخاصة عند أبي نواس، وجاءت المعاني عميقة عند بشار وأبي تمام وأبي نواس وظهرت المبالغة الزائدة في مدح الخلفاء والوزراء، فتنوعت الأساليب ومال معظمها إلى السهولة والبساطة التي دعت إليها الحاجة الحضارية، ونالت الأساليب تجميلاً وتزويقاً وتزييناً بالبديع وألوانه التي بدأها مسلم بن الوليد وطورها أبو تمام حيث اخترع خمسة وعشرين لوناً من البديع.

وفي الفصل الرابع تعرضت للنتائج الإيجابية والسلبية لصراع الحضارات، فظهور الشعر التعليمي وشعر الزهد وتطور الحياة العقلية والفكرية، واستحداث الأساليب الجديدة وتوسيع دائرة الخيال في الشعر يعد من الآثار الإيجابية، بيد أن الآثار السلبية لهذا الصراع كانت ماثلة في الحياة العباسية ومنها: ظهور العصبيات الهدامة كالشعوبية والزندقة والشك في الدين والاستهزاء بالعقائد وظهور الغزل بالمذكر، كل ذلك كان له الدور الكبير في تفسخ المجتمع العباسي وتقويض أركانه وانتشرت الخمرة واللهو وطلب الملذات بالطرق غير المشروعة، وأخيرا يمكنني إجمال أبرز النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث ومنها:

أولاً: المعاملة السيئة التي قوبل بها الموالي من بني أمية، كانت الفتيل لنشأة الصراع الحضاري بين العرب وغيرهم من الشعوب الأخرى، ولكن لا ننسى تعاظم الجنسية الفارسية تعاظماً كبيراً أدى إلى ظهور مثل هذه الصراعات.

ثانياً: إنّ الموالي قد استغلوا الحرّية التي أعطاها لهم الخلفاء العباسيون فقاموا بالتعالي على العرب وحضارتهم.

ثالثاً: إن ثورة أبي نواس على الشعر العربي القديم جاءت نتيجة للصراع الحضاري بين العرب والفرس.

رابعاً: كان للتمازج والصراع الحضاري بين العرب وغيرهم في الدولة العباسية أثر في نهضة الشعر العربي واستحداث أغراضٍ شعرية جديدة، لم تكن معروفة من قبل مثل: التغني بالشعوبية والزندقة والمجون والغزل بالمذكر والجواري والشعر التعليمي والزّهد.

ومثال ذلك قول أبي العتاهية في إحدى زهدياته:

(الوافر)

تعالى الله يا سلم بن عمرو ... أذل الحرص أعناق الرجال

هب الدنيا تساق إليك عفواً ... أليس مصير ذاك إلى زوال[1]

([1])- ديوان أبي العتاهية، ص137

ومن أمثلة الغزل بالمذكر قول أبي نواس:

(الوافر)

وعاذلـــة تلـــوم علـــى اصـــطفائي غلامـــاً واضـــحاً مثـــل المهـــاة
وقالـــت: قـــد حرمـــت ولـــم توفـــق لطيـــب هـــوى وصـــال الغانيـــات
فقلـــت لهـــا: جهلـــت فلـــيس مثلـــي بخـــادع نفســـــه بالترهـــات
دعينـــــي لا تلـــــوميني فـــــإنني علـــى مـــا تكـــرهين إلـــى الممـــات
بـــذا أوصـــى كتـــاب الله فينـــا بتفضـــيل البنـــين علـــى البنـــات[1]

خامساً: لقد أثر الصراع الحضاري في العصر العباسي الأول في ألفاظ الشعر فاتســع المجــال لدخول كلمات أعجمية وفلسفية في اللغة العربية أكثرها فارسي، ومالت أساليب الشعراء إلى السهولة والسلاسة، في حين كثرت المبالغة والتهويل في المعاني والأخيلة. ومثــال تلك السلاسة قول أبي العتاهية:

(الكامل)

يـــا عتـــب ســـيدتي أمالـــك ديـــن حتـــى متـــى قلبـــي لـــديك رهـــين
وأنـــا الـــذلول لكـــل مـــا حملتنـــي وأنـــا الشـــقي البـــائس المســـكين[2]

سادساً: أغراض الغزل بالمذكر والمجون واللهو والشعوبية والزندقة عملت على تفتيت كيـان المجتمع العباسي لما أحدثته من انحرافات في العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمــع، حيث مثل البيت التالي لسلم الخاسر ذلك المجون والمجاهرة بالمعاصي:

(مجزوء البسيط)

مـــن راقـــب النـــاس مـــات غمـــاً وفـــــاز باللـــــذة الجســـــور[3]

([1])- ديوان أبي نواس، تحقيق أحمد الغزالي، ص715.
([2])- ديوان أبي العتاهية، ص458.
([3])- طبقات الشعراء، ابن المعتز، ص100.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

1) القرآن الكريم.

2) ابن الأثير ،ضياء الدين ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وحققه الدكتور: أحمد الحوفي، الدكتور بدوي طبانة، الطبعة الأولى، مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر، 1959م.

3) ابن الفارض، الديوان، كرم، البستاني، دار صادر،دار بيروت، 1957م.

4) ابن المعتز، الديوان، دار صادر، دار بيروت ، 1961م.

5) ابن المعتز، طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، 119، كورنيش النيل، القاهرة، ج.م.ع. 1968م.

6) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، مقدمة ابن خلدون مهد لها ونشر الفصول والفقرات الناقصة طبعها وحققها وضبط كلماتها وشرحها وعلق عليها وعمل فهارسها الدكتور علي عبد الواحد وافي،الجزء الأول، ط3، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة،القاهرة، دون تاريخ.

7) ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد، العقد الفريد، الجزء الثاني، المكتبة التجارية، مصر، 1935م.

8) ابن كثير، الحافظ أبو الفداء، البداية والنهاية، طبعة جديدة منقحة، دار الفكر، بيروت، 1978م.

9) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب ، الطبعة الأولى، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1955م.

10) أبو العتاهية، ديوان دار صادر، بيروت، 1964م.

11) أبو تمام ، شرح الديوان، ايليا الحاوي،الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، 1981م.

12) أبو تمام، الديوان، الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، مصر، 1951م.

13) أبو نواس، الديوان، أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي للنشـــر والتوزيـــع، بيروت، القاهرة، 1953م.

14) أبو نواس، الديوان، بدر الدين حاضري، ،محمد حمامي، ، الطبعة الأولي، دارالشـــرق العربي، بيروت، لبنان ، 1992م.

15) أبو نواس، شرح الديوان، ايليا، الحاوي، دارالكتاب العالمي، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، منشورات الشركة العالمية للكتاب، 1987م.

16) الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين ت356هـــ، الأغاني، طبعة بولاق الأصـــلية، الناشران: صلاح يوسف الخليل، دار الفكر للجميع بيروت، سنة1970م.

17) الأعشى ، الديوان، فوزي عطوي،الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، 1968م.

18) الأعشى، شرح الديوان، كامل، سليمان، الطبعة الأولى، دارالكتاب اللبناني، بدون تاريخ.

19) امرؤ القيس، الديوان، محمد إبراهيم، دار الطباعة والنشـــر، دار المعـــارف، مصـــر، 1958م.

20) البحتري ، الديوان، عبد الرحمن، البرقوقي، الطبعة الأولى، مطبعة هندية بالموســـكي، مصر، 1911م.

21) بشار، الديوان، مهدي ناصر الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، 1993م.

22) بشار، الديوان، بدر الدين العلوي، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، 1963م.

23) البغدادي، عبد القاهر ، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، الطبعة الثالثة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1978م.

24) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، البيان والتبيين، دار الفكر للجميع، سنة 1968م.

25) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام هارون،الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت ، سنة 1969م.

26) جرير، شرح الديوان ، محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، مطبعة الصاوي، دون تاريخ.

27) الجمحي ، ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء، شرحه محمود محمد شاكر، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر، 1952م.

28) الجهشياري،أبو عبد الله محمد بن عبدوس ، الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقاء إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، ط1، طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1938م.

29) الجواليقي ، أبومنصور، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم. تحقيق أحمد شاكر، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1942م.

30) حاضري ، بدر الدين ، شرح المعلقات السبع، ط2، دار المشرق العربي، بيروت- لبنان،1998م.

31) الحصري ، أبو اسحاق إبراهيم بن علي ، زهر الآداب وثمر الألباب، شرح وضبط د، زكي مبارك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، دار الجيل، بيروت، الناشر مكتبة المحتسب عمان، 1972م.

32) الحموي، أبو عبد الله ، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، معجم البلـــدان تحقيق عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت.

33) الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين، البغدادي، ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم الأدباء دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، منقحة ومصححة وفيها زيادات، 1980م.

34) الحنبلي، أبي الفلاح عبد الحي، ابن العماد ، شذرات الذهب في اخبار مـــن ذهـــب، دار احياء التراث العربي، بيروت.

35) الخريمي، الديوان، علي الطاهر، محمد جبار-المعيبـــد، ، ط1، دار الكتـــاب الجديـــد، بيروت، لبنان، 1971م.

36) الدينوري ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح أحمـــد محمـــد شاكر، دار المعارف بمصر، 1967م.

37) رؤبة بن العجاج، الديوان ،وليم، البروسي، الطبعة الأولـــى، منشـــورات دار الآفـــاق الجديدة، بيروت، 1979م.

38) الزبيدي، علي ، زهديات أبي نواس، القاهرة، 1959م،

39) الشابشتي، الديارات، تحقيق كوركيس عواد، الطبعة الأولى، بغداد، 1951م.

40) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، الملل والنحـــل، الجـــزء الأول، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، 1961م.

41) طرفه بن العبد، الديوان، الأعلم الشنتمري،تحقيق: درية الخطيـــب، لطفـــي الصـــقال، مطبعة دار الكتاب، 1975م.

42) عروة بن الورد ، الديوان اسماء، محمد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية- بيـــروت، 1992م.

43) العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، راجعة وقدم له وضبط أحاديثه وعلق عليها طه عبد الرؤوف سعد، مصطفى محمد الهواري، السيد محمد عبد المعطي، دار الفكر العربي، الناشر، مكتبات الكليات الأزهرية، طبعة 1978م.

44) _ القرشي، أبو زيد ، محمد بن أبي الخطاب، جمهرة أشعار العرب، طبع بيروت، دار السيرة، طبعة جديدة منقحة، 1978م.

45) القيرواني، أبو الحسن بن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، مطبعة السعادة، مصر، 1963م.

46) المبرد، محمد بن يزيد أبو العباس، الكامل في اللغة والأدب للعلامة ، النحوي، دار الفكر للجميع للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ.

47) المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى ، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر. تحقيق علي محمد البجاوي، ملتزم الطبع والنشر،دار نهضة مصر، مطبعة لجنة البيان العربي، 1965م.

48) المسعودي، أبو الحسين بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبع مطبعة السعادة، مصر، 1958م.

49) المصري، ابن منظور، أبو نواس في تاريخه وشعره ومباذله وعبثه ومجونه، قدم له وأشرف على تنقيحه وتقسيمه وتبويبه عمر أبو النصر، الطبعة الثانية، 1919م.

50) المعري، أبو العلاء، رسالة الغفران، شرح وإيجاز كامل كيلاني، مطبعة المعارف، مصر، بدون تاريخ.

51) النديم، أبو الفرج، محمد بن أبي يعقوب بن اسحاق،الفهرست، ط1، دارالكتب العلميــة، طبعة وشرحه وعلق عليه الدكتور: يوسف علي الطويل، وضع فهارسه أحمد شمس الدين، بيروت، لبنان، 1966م.

المراجع:

1) أبو الأنوار،محمد، الشعر العباسي، تطوره وقيمه الفنية، دراسة تاريخية تحليليــة، الطبعــة الثانية، دار المعارف، 119، كورنيش النيل القاهرة، ج.م.ع 1968م.

2) أبو الخشب، إبراهيم-علي، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني، ملتزم الطباعة والنشر، دار الفكر العربي، دار الثقافة العربية للطباعة، شارع توله، الدماثة، عابدين، بدون تاريخ،

3) أبو ديب، كمال، جدلية الخفاء والتجلي، ط1، دراسات بنيوية في الشعر، دار العلم للملايين، بيروت ، 1979م.

4) إسماعيل، عز الدين، في الأدب العباسي، الرؤية والفن، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1975م.

5) أمين، أحمد، ضحى الإسلام ، الطبعة الخامسة، ملتزمة النشر والطبــع، مكتبــة النهضــة المصرية، الجزء الأول، مطبعة لجنــة التــأليف والترجمــة والنشــر، القــاهرة، 1956-1375هـ.

6) أنيس، إبراهيم، المعجم الوسيط، ، الطبعة الثانية، أشرف على طبع هذا المعجم الأستاذ عبد السلام هارون، 1972م.

7) بدوي، عبد الرحمن ، شهيدة العشق الإلهي "رابعة العدوية" نشر مكتبة النهضة المصـــريّة، القاهرة، 1948م.

8) بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، الغفران لأبي العلاء المعري، دار المعـــارف مصــر، 1961م.

9) التطاوي،عبد الله، القصيدة العباسية، قضايا واتجاهات ، الطبعة الثانية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، بدون تاريخ.

10) الجبّوري، يحيى، الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه، الطبعة الثامنة، مؤسسة الرســالة، بيروت، 1997م.

11) الجواري، أحمد ، الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري، دراسة في الحيـــاة الأدبية في العصر العباسي، ساعدت على نشره وزارةالمعارف العراقية، 1956م.

12) حجاب، محمد، مظاهر الشعوبية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجـــري، الطبعة الأولى، مكتبة نهضة مصر، الفجالة، 1961م.

13) حجاب، محمد، معالم الشعر وأعلامه في العصر العباسي الأول، الطبعة الأولـــى. دار المعارف مصر119، كورنيش النيل، القاهرة، ج.م.ع 1977م.

14) حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتمـــاعي، تـــأليف الدكتور: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السابعة، 1964م.

15) حسن، حسين الحاج، أعلام في العصر العباسي، الطبعة الأولى، المؤسســـة الجامعيـــة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1985م.

16) حسن، عزة ، شعرُ الوقوف على الأطلال، من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث، دراســـة تحليلية، طبعة الترقي دمشق، 1968م.

17) حسين، طه ، من تاريخ الأدب العربي "العصر العباسي الأول (القرن الثاني): الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، 1971م.

18) حسين، طه، حديث الأربعاء ، الجزء الثاني، دار المعارف، مصر، 1964م.

19) حمود، محمد ، أبو نواس، شاعر الخطيئة والغفران، الطبعة الأولى، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994م.

20) الحوفي، أحمد محمد، تيارات ثقافية بين العرب والفرس ، الطبعة الثالثة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1978م.

21) خالد، خالد، رجال حول الرسول، ط1، دار الفكر، بيروت، 1996م.

22) خريس، حسين ، حركة الشعر العباسي في مجال التقليد بين أبي نواس ومعاصريه، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دار البشير للنشر والتوزيع، 1994م.

23) خريس، حسين، حركة الشعر العباسي في مجال التجديد بين أبي نواس ومعاصريه، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دار البشير للنشر والتوزيع،1994م.

24) خليف، يوسف ، دراسات في الشعر الجاهلي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 1981م.

25) خليف، يوسف ، في الشعر العربي نحو منهج جديد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1981م.

26) خليف، يوسف، تاريخ الشعر في العصر العباسي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1981م.

27) خليل ،السيد أحمد ، الاتجاهات الأدبية في العصر العباسي، دار مكتبة الجامعة العربية، بيروت، بدون تاريخ.

28) دار الثقافة للطباعة والنشر، حركات التجديد في الأدب العربي، القاهرة، 1979م.

29) الدوري، عبد العزيز ، العصر العباسي الأول، طبع مطبعة التفيض، بغداد، 1945م.

30) الرفاعي، أحمد فريد ، عصر المأمون، الطبعة الرابعة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1928م.

31) الزركلي، خير الدين، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الطبعة الثالثة، بيروت، 1969م.

32) زريق، قسطنطين ، في معركة الحضارة "دراسة في ماهية الحضارة وأحوالها في الواقع الحضاري" الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت، 1977م.

33) زكي، كمال، الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري ، دار المعارف، مصر كورنيش النيل، 119، القاهرة، ج.م.ع. 1971م.

34) زيدان، جورجي ، تاريخ آداب اللغة العربية، الطبعة الثانية، مطبعة الهلال، 1924م، مصر.

35) سلام، محمد، دراسات في الأدب العربي، "العصر العباسي" الناشر، منشأة المعارف بالأسكندرية، جلال حزي وشركاه، دون تاريخ.

36) السيد متولي،عبد الستار، أدب الزّهد في العصر العباسي، نشأته، تطوره، أشهر رجاله، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984.

37) الشكعة، مصطفى، الشعر والشعراء في العصر العباسي، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، 1979م.

38) الشكعة، مصطفى، رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية "القسم الثالث" المرحلة العباسية، دار النهضة العربية، بيروت، 1973م.

39) شلبي، سعد، الشعر العباسي"التيار الشعبي"، مكتبة غريب شارع كامل صدقي – الفجالة- القاهرة، دون تاريخ.

40) الشيخ، حسين، الرومان، ط2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998م.

41) الشيخ، حسين، اليونان ، ط2، دار المعرفة الجامعية الفنية للطباعة والنشر، الإسكندرية ، 1998م.

42) ضيف، شوقي ، العصر العباسي الأول، الطبعة التاسعة، دار المعارف، 119، كورنيش النيل، القاهرة، ج.م.ع. 1966م.

43) ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الطبعة العاشرة، دار المعارف، مصر. 119. كورنيش النيل، القاهرة، ج.م.ع. 1978م.

44) ضيف،شوقي، فصول في الشعر ونقده، دار المعارف، مصر، 1119، كورنيش النيل القاهرة، ج.م.ع. دون تاريخ.

45) عبود، مارون، أدب العرب، مختصر تاريخ نشأته وتطوره وسير مشاهير رجاله وخطوط أولى من صورهم، دار الثقافة، بيروت، 1960م.

46) العشماوي، محمد، موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981م.

47) عطوان، حسين، الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، الطبعة الأولى، مكتبة المحتسب عمان، دار الجيل بيروت، 1974م. بيروت.

48) عطوان،حسين، مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول ، دار المعارف، مصر1119، كورنيش النيل، القاهرة. ج.م.ع.

49) العقاد، عباس، أبو نواس: الحسن بن هاني، دار الهلال، دون تاريخ،

50) عودة، إبراهيم ميخائيل، مجمل تاريخ العالم من بدء الخليفة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ،دارالبقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، دون تاريخ.

51) الفاخوري، حنا ، الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، لبنان ، 1986م.

52) فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي "الأعصر العباسية في الأدب المحدث إلى آخر القرن الرابع الهجري ، دار العلم للملايين، 1968م.

53) فهمي، عزيز ،المقارنة بين الشعر الأموي والعباسي في العصر الأول، دار المعارف، مصر، مكتبة الدراسات الأدبية، سنة1980م.

54) فيصل، شكري، أبو العتاهية، أخباره وأشعاره، دار الملاح للطباعة والنشر طبعة محققة، سنة 1964م.

55) قطب، سيد، في ظلال القرآن ، ط12، دار الشروق، بيروت، 1986م.

56) القيسي، نوري حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، الطبعة الأولى، دار الإرشاد، بيروت، 1970م.

57) الكفراوي، محمد عبد العزيز، الشعر العربي بين الجمود والتطور ، الطبعة الثانية، دار القلم، بيروت، لبنان، دون تاريخ.

58) لوبون، جوستاف، حضارة العرب، نقله إلى العربية محمد عادل زعيتر،دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1945م.

59) المصري، يسرية يحيى، بنية القصيدة في شعر أبي تمام، الهيئة العربية العامة للكتاب، 1997م.

60) المغربي، عبد القادر، الاشتقاق والتعريب، الطبعة الثانية، الناشر: لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1947م – 1366هـ.

61) المقدسي، أنيس ، أمراء الشعر في العصر العباسي، الطبعة الرابعة عشرة، دار العلم للملايين، بيروت، 1981م.

62) الملثم، البدوي ، البستاني وإلياذة هوميروس، دار المعارف، القاهرة، 1963م.

63) مندور، محمد ، النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة،دون تاريخ.

64) مهنا، علي، الأدب في ظل الخلافة العباسية، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء، 1981م.

65) موافي، عثمان ، التيارات الأجنبية في الشعر العربي منذ العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مؤسسة الثقافة الجامعية، 1973م.

66) مير، فليب فان نس ، التاريخ العام، ترجم عن الانجليزية، طبع في المطبعة الأمريكية، بيروت..

67) نصحي، إبراهيم، تاريخ الرومان من أقدم العصور حتى عام 133ق،م ، الجزء الأول، الناشر، مكتبة الأجلو المصرية، 1983م.

68) نوفل ، محمد ، المختار من الشعر والشعراء في العصر العباسي، الطبعة الأولى، مطبعة واوفست النصر، نابلس، 1981م.

69) هاشم، علي محمد ، الأندية الأدبية في العصر العباسي حتى القرن الثالث الهجري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ.

70) هدارة،محمد ، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجـري، دار المعـارف 119 كورنيش النيل القاهرة، ج،م،ع 1963.

ثالثاً: الرسائل الجامعية:

1. الخواجة، إبراهيم ، شعر الصراع السياسي في القرن الثاني الهجري، جامعة القاهرة، كلية الآداب، 1977م، رسالة دكتوراه، مركز التوثيق والأبحاث، جامعة النجاح الوطنية، نابلس.

2. نوفل، محمد، الحكمة في الشعر العربي من بداية العصر العباسي الأول حتى نهاية العصر العباسي الثاني، إشراف الأستاذ الدكتور: سليمان حسن ربيع، مطبعة الجريسـي، رسـالة دكتوراه، مصر 1979م.

رابعاً: الدَّوريات:

1) دار الصدى للنشر والتوزيع، مجلة الصدى، العـدد الثـاني والثلاثـون، الإمـارات،دبي، 1999م.

"تمت هذه الأطروحة بحمد الله ورعايته"

An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

The Cultural Conflict and it Effect on Arab Poetry of the First Abbasid Period (2^{nd}. Century A.H)

Prepared by
Ahmad Abd Alkader Mahmoud Aqil

Supervised by
Prof. Muhammed Mahmoud Qasem Nofal

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arts in Arabic Language and Literature Faculty of Graduate Studies, at An-Najah National University, Nablus, Palestine
2003A.D/ 1424A.H

Abstract

In this research , I studied the impact of the cultural conflict on the poetry of the first Abbsid period (the 2nd Century A.H).

I start it with the History of cultural Conflict between the Persians, the Greeks , and the Romans. Then , I discuss the origins of Abbasid phase And the great cultural conflict among the nations that is embodied inside the country especially the Persian . I state two examples of such conflict : The first one is political and administrative entitled by the Caliph Haroun Al –Rasheed and his conflict with Al-baramikah. The other example is cultural which is embodied by Abu Nuwas in his revolution against the ruins and his attempts to steal the Arab glories and their poetry. However, the great cultural conflict in the Abased period allows that some new purposes in poetry appear and embody the Abased life such as glorifying discrimination ,atheism , homosexual eroticism , educational poetry and asceticism .This conflict affects the poetry so there are many changes take place in this field such as colloquial and philosophical expressions and the styles inclined to be very simple and clear in the poetry of Abu-Atahiya and the exaggerations are clear particularly in the poetry of Abu Nuwas.

There are many positive and negative results for this conflict . The positive ones embodied in using philosophy and logic in the poetry which advance poets to mental life and the appearance of educational poetry that becomes distinguishing mark in this age which leads to educational message and a witness in the growth of Abbasid life.

But the negative effects embodied in the destructive issues of poetry such as discrimination , atheism , impudence , and male homosexual that destroyed the Society of Abbasid Unity .This made D.Taha Husein say "Morals were lost but literature won " but we must not generalize the rules on the Abbasid Society as a whole of weakness because of a minority of poets who did evils and this section doesn't represent the nation.